

المجلة

مارس سنة
١٩٣٢

الجزء
١١

من

موضوعات هذا الجزء

- الفرق كما أراه ... : للأثير ضيف شامل
فن القصص ... : الدكتور احمد ضيف
تاريخ حياة الف ليلة وليلة : للأستاذ احمد حسن الزيات
لسان الدين بن الخطيب ... : للأستاذ احمد السكندري
على باشا مبارك .. : لعبد الرحمن الرافعي بك
حياتنا الأدبية .. : للدكتور زكي مبارك
عبارة من التاريخ ... : لشيخ عبد الوهاب النجار
نحاري في الحياة ... : للأستاذ أسعد لطفى حسن
بركان الشرق الأقصى ... : لسيد محمد شاه كوجين
شاعر شاكر إلى إخوانه .. : للشاعر محمود أنى الوفا
نحية لشاعر أنى الوفا .. : للأستاذ فؤاد صروف
المملوك (قصة مصرية) .. : للأستاذ محمود نيمور
كيف ننقذ بقوانين الوراثة ؟ : للأستاذ حامد عبد القادر
النتظوم والنتشور ... : للأستاذ الباعى السامى
فى المغرب الأقصى .. : لسيد سعيد الزاهرى
بشار بن برد ... : للأديب احمد القرني

وغير ذلك من الموضوعات

تليفون المجلة
رقم (٥٨٩٦٥)



للمناسبة بحث الأستاذ عبد الرحمن الرافعي عنه
على باشا مبارك



زعيم مسلمي قفقاسيا بمناسبة حديثه عن الشرق
الأمر سعيد شامل

الجزء ١١
السنة الأولى

المعرفة

أول مارس سنة ١٩٣٣
شوال سنة ١٣٥٠

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناسرها ومحررها المسؤول

عبد العزيز الإبراهيمي

الثاني

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

هديتنا الأولى

ابن سينا والغزالي

بقلم الاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ علم النفس والتربية بدار العلوم وكلية أصول الدين

كتاب متمم وبحث مستفيض توفر عليه الاستاذ حامد عبد القادر ، بأسلوبه الطلي ، وتفكيره السديد ؛ وهو يصور لك ما أنتجه هذان الرجلان العظيمان أروع تصوير ، بما أذاعه من ترجمتهما ترجمة دقيقة وافية ، حل فيها فلسفتها وارهائهما الاجتماعية والدينية والعلمية والطبية والصوفية وغير ذلك . وليس من شك في أن هذا الكتاب يعتبر بحق فتحاً جديداً في الثقافة العربية ، وأنه جدير بالناية والتقدير من المعلمين والمتعلمين ، والأدباء والمتأديين ، ووجهرة المشتغلين بالثقافة الاسلامية . وقد أخذت « المعرفة » في طبعه ، وستقدمه هدية إلى من سددوا اشتراكها عن السنة الأولى . ولا نحسب إلا أن ذلك الكتاب سيكون فرصة تحفز المتأخر في اشتراكه على تسديده لاقتناء هذا المؤلف الجليل .



الأستاذ أحمد حسن الزيات
كاتب « تاريخ ألف ليلة وليلة »



الأستاذ محمود تيمور بك
راجع قصة « المملوك »



الشاعر التايبة الأستاذ محمود أبو الوفاء
راجع قصيدته في مهر جانه



الأستاذ الزطون بك الجيل
لمناسبة مقال «الكتاب والأدباء المعاصرون»



الأديب أحمد حسين القرني
اقرأ بحثه عن بشار



السيد محمد السعيد الزهراني
لمناسبة مقالته « في المغرب الأقصى »

الشهـــــــــــــــــرق كما أراه

وثبات الشرق — انتصار المستعمرين — أمراضنا — كيف نتجو —
المؤتمر الاسلامي — شخصيات — حياتنا — دعوة إلى النجدة
حديث خاص بمجلة (المعرفة)

لم يفلت من إسار الشباب ، فما يزال في دخيلة مراحل وفي صميم خطواته ، له النظرة
السديدة والرأي السديد، وله دأب كدأب الأسود في مجالدة الفريسة، ومناهضة الصائدين ، يستطيع
أن ينفذ إلى نفسك، لأنه في آرائه لا يتدافع مع الخيلاء ، ولا يسير الصلف والكبرياء: كما سألته ،
كما أتاح لك سؤالك الطلوع على ناحية جديدة فيه ، فهو علامة فهامة ، مافي ذلك من ريب .
وكما لقيته كما جابهك منه لون من ألوان التواضع وأي تواضع ... إنه ذلك الذي يدعوك
المدوء في جانبه . حتى لتحس من أعماقك أنك لم تستروح في جلستك روائح أمير خطير !
ولكنه نبيل حتى لتلمس النبيل وكأنه حاسته السادسة .

ذلك هو الأمير الشركسي الشاب .. سعيد شامل ..

لقيناه في فندق (الكوتنتنتال)، وكنا لقيناه من قبل في دار العروبة فتحدثنا إليه وتحدث
إلينا، والحق أن حديثه قد استحال إلى دين، فكان لنا من حديثه المتع تروة نافعة ندفع بها
إلى قراء «المعرفة» مغتربين .

وثبات الشرق :

قال الأمير : « لقد كانت للشرق وثبات هائلة حافلة بالخير والسداد ، كان ينبغي أن يدفع
عنه إسار الاستعمار ، فأخرج لهذا الكفاح من بنيه جنودا أقوياء ، وقادة أشداء ، ورؤساء
قد اتهموا من قمة الدراية إلى الأوج .

ولا أستطيع أن أعدد لك ، وأحصى عليك من أسماء أولئك الأبطال ومن أعمالهم ، فقد
يستنفذ هذا التعداد وذلك الإحصاء جوانب «المعرفة» كلها ، ولكني أذكر لك ثلاثة أبطال
وقعت الدنيا على رؤوسهم لتبليها وتدفع بها إلى الحضيض ، فلم تفلح الدنيا ، ولم تنفع في سحقهم
مماوها ! أولئك هم : أبو الأميرة الملكية في مصر ساكن الجنان محمد علي باشا ، والمرحوم
المفتور له الأمير عبد القادر الجزائري ، وجدى المفتور له الأمير شامل ... لقد وثب أولئك
الرجال الثلاثة بالشرق وثبة كبرى ، فهذا محمد علي باشا ، قد خلق مصر حين أزاح عنها كابوس

الجهل ، وهذا هو الأمير عبد القادر قد كافح الفرنسيين وجالدهم متفانيا مستخفاً بالمذاب ، وهذا جدى : ماذا أقول عنه ؟ لقد ظمر بنفسه فى أتون الحوادث راضياً أن تبديد عنه النعماء فى الدنيا ، لتكون له فى حلبة الجهاد جولات الرجل الأشد .
انتصار المستعمرين :

على أنك تسألنى : لماذا انتصر المستعمرون إذن ؟ إذن فاليك الجواب :
لقد كان المستعمرون يحاربوننا بسلحين : سلاح الحرب المألوف ، وسلاح العلم الطارىء ، وإذا كنا قد جالدهم بسلح الحرب وحده ، فقد قدر لهم أن ينتصروا ، لأنهم دفعوا إلى معارقتنا سلاح العلم أيضاً ... كنا نحاربهم بالحديد والنار ، وكانوا يحاربوننا بالحديد والنار .. والعلم : كنا نقاتلهم بهذه السيوف التى ألقها الميادين ، ولكنهم قاتلونا بسيوف أخرى ، علمتنا أن لهم أدمغة توفرت على مالم تتوفر عليه من فنون ... !
وما يضيرنى أن أقول لك إن الشرق فى هذه الفترة كان يجتاز محنة وبيلة حتمت عليه الرضوخ لاسار المستعمرين .

ذلك أن غشية الجهالة كانت تعمى عيونه ، وتوفر آذانه ، وتدفع بتفكيره إلى الحضيض .
ولقد بقيت له هذه الظاهرة ، ظاهرة الجهل والعقوق ؛ حتى أزاحت ألقاها عليه ، فكان له من ورائها إسفافاً فى الذلة ، وإسرافاً فى الموان .
أمراضنا :

وتهيب فى هذه المرحلة التى أذعتها عليك من مراحل الشرق ، تهيب فى إلى تسجيل أمراضه ، أو تشخيصها كما يقول الأطباء ، وقبل أن أسجلها لك ، وقبل أن أشخصها ، أريد أن أقرر حقيقة لا لبس فيها ، وهى أننى أعنى بالشرق ، ما يتصل منه بالاسلام وحده .
إن هذه الأمراض من الكثرة حتى لتروع الطبيب الصناع ، وإنها من الدقة حتى ليخطئ ، فى استئصالها مبضعه ، ولكن الأيام وحدها كفيلا بانزعاجها من ذلك الجسم الطيب العنصر ، المتين البناء .

فى الشرق : انصراف هائل عن تعاليم الاسلام ، وانكباب هائل على مدينة الغرب ، وفيه تقاطع بين الأسرة ، وتنابد بالألقاب ؛ وتفاخر بالأنساب ، وتغلغل فى صميم المباحج ، وتوفر على مستكره البهرج ... أما انصرافه عن تعاليم الاسلام فإن ذلك يبدو لك فى أخذه بعشورها ، وتقاعده عن استكناه بواطنها ، وإنه يبدو لك فى لهوه وعبه وفى تمزيق كلمة الاسلام بين أطرافه ، لأنها لم تعد الكلمة الجامعة كما كانت فى روعتها وروائها من قبل ؛ وأما انكبابه على مدينة الغرب ، فإن ذلك يبدو لك من مظاهر حياة بنيه ، تلك الحياة التى تتلصق فى أبوابها وجوه الزينة والأناقة ، دون أن تأخذ من هذه المدنية بوجوهها النافعة وروائها الفنية الخالدات .

إن حياة الأسيرة في الشرق صورة قلقة لا تكاد تطلع فيها على جانب مستقر ، أو لون مادي : فهلا ينقلك أن تعلم بأن الوالد لا يغرس في ولده من طقوله روح الدين ، ولا روح الكرامة ؟

وهلا ينقلك أن تعلم بأن الابن كثيراً ما نازع أباه وخرج عليه ، وانتقم منه ، وتربص به الدوائر ..؟ إنك ترى في الأسيرة الشرقية تبايناً في الميول ، وتناقضاً في المبادئ ، وعداء في اتجاهات أفرادها ، لأنهم لم ينتهلوها من معين واحد ، ولم يصيبوا حظهم في الثقافة من رأى واحد ...

وإذا كانت هذه الحقائق مؤلمة حتى لتدفع الحنق إلى كثير من النفوس ، فإن الإفصاح عنها خطوة سديدة قد تجدي وقد تنفع .

كيف نتجوز ؟

الحق أن هذه الأمراض تستنفد من عقولنا بقدر ما تستنفد من حياتنا ، فهي تجذب العقول ، وتزيد في متاعب الحياة ، ولكننا نستطيع بشيء من الجلد وشيء آخر من التعاضد أن نتجوز من وعنائها وضيرها .

أريد من المسلمين أن يعلموا بأن دينهم قد وسع كل شيء ، وأن شعائره إذ يتبعونها وينثثون إلى ظلها الوارف قد تقيم مصارع السوء ، وأن تعاليمه فيها من وسائل التربية العديدة ما يحقق لهم وجوه النفع في حياتهم على ضروبها ، من مادية وروحية ، ومن ثقافة وتهذيب . وأدعهم ليفكروا ويفكروا طويلاً في سير الشعوب ومنطق الحوادث التي جابت الأمم حتى يأخذوا عن هذه السير ما فيها من عبر وما تضم من عظات ، وحتى يصيبوا من منطق الحوادث العالمية ما يكون لهم سبيلاً يدبون فيه ، ومنهلاً يعبون منه ، وروحاً يتجهون به إلى سبيل المثل العليا .

لقد أفهم أن يأخذ المسلمون من حضارة الغرب نواحيها الدالة على شخصية أبنائه ، تلك الشخصية التي تركز في صنائعهم جميعاً ، ولكنني لا أستطيع أن أفهم علة الأخذ بنقائص الغرب وعيوبه ... هناك جمعية الأمم ، وهذه الجمعية ما تكاد تنفض حتى تجتمع ، وما تكاد تنتهي من دورة قديمة حتى تبدأ دورة جديدة ... هي برلمان عالمي دائم العمل ، دائم الجهود .

المؤتمر الاسلامي :

وهنا ... لا أريد أن أثقل عليك فأحدثك طويلاً عن هذه العثرات التي توفرت على طريق المؤتمر الاسلامي المتواضع ، حتى كادت تدفع به إلى الرمن قبل أن يشهد الضوء ، ولا أريد أن أحدثك طويلاً عن هذه الروح المتقاعدلة التي دعت المؤتمرين إلى تسجيل كبيرة كبرى وهي أن لا يقدوا مؤتمرهم إلا كل طامعين ... نعم لقد قرر المؤتمر ذلك وهم يعلمون أن

جئير لا سبيل إلى تقوده في الأعمى إلا أن يبقى داوياً كثير المصنف ، وهو يعمون إلى ذلك أن جلال المؤتمر لن يكون الجلال المنشود إلا أن تم عليه نعمة العمل الصالح في فترات متقاربة ... إن وسائل النقل في العالم قد انتهت في أسباب السرعة إلى أشوأ ، فقد أصبح ميسوراً عليك أن تجوب الدنيا في بضعة أيام ، وأن تتحدث إلى طرفها في ثور معدودات ، وما من ريب في أن التحكك بشاق الطريق ، ووعناء السفر قد أصبح في عرف الحاضر ، وكأنه حديث خرافة !

ألم يكن في وسع المؤتمر إذن أن يقتضب من عهد أجازته ؟

شخصيات :

وئحه الحية أخرى أريد أن أسجل فيها نقدة جديرة - فيما رى - بالتقدير والتحقيق . فقد حضرت المؤتمر الاسلامي واسلعت على شخصياته ولا يسته وعملت معها . ولى لأمرح لك غلباً بأنها كانت شخصيات نافعة لها قيمتها ، ولها روحها الوثوب ، ولها أفكارها اسديدة . ولكني تلت حول رجاء مني أن أصلح على شخصيات أخرى تشبه هذه الشخصيات التي تجتمع في عصبة الأمم . فلم أعر منها في المؤتمر إلا على النذر اليسير ... إن في المسلمين شخصيات بارزة لها الخطر الموفور . والكلمة الأخيرة . والقوة والنفوذ . ولقد كان حقاً عديداً أن تمر إلى المؤتمر في بداءة خطواته . ومستهل مراحلها حتى تزيد في قوته ، وحتى تجعل لقراراته من التأثير ما يوفر عليها مظاهر الجدد إنك ترى ن عصبة الأمم التي تجتمع في كل عام بضع مرات في عدة مدن .. ترى أنها تزدهم في اجتماعاتها بالشخصيات الكبيرة ما يبر و وراء وسرارة وعشاء وأدياء .. أما المؤتمر الاسلامي فقد كانت شخصية المعاء فيه تبرز ظهوراً .. وهو لم يجتمع - في زعمي - لكي يتحدث في شعار الدين وحدها ، ولكنه اجتمع ليظهر العالم على أن الاسلام قد رفع رأسه . وأراد المضي في حلبة الجهاد ليكافح الصهيونية والاستعمار والالحاد والعقوق .. وفي يقيني أن هذه الأبواب الشاقة كان من حقها أن تنفرج لينفذ إلى باطنها عديد من شخصياتنا الكبيرة .

إني أرى أنه من خير عطاء المسلمين ، ألا يؤمنوا في أنفسهم أنهم قادة لا تتناول إلى أقدامهم دوافع الحياة وما فيها من بواعث تدعو إلى العمل ، وإنما الخير لهم كل خير أن يؤمنوا بأنهم - قد وصعوا في مكانه الدروة - هداة للناس ومبشرين للعالم ... جئير مبشرو ولو انصفوا . فهكذا شاءت لهم الأقدار . ومن حقهم أن يستيقظوا من سباتهم ليعموا أن الأقدار حين رفعتهم إنما أرادتهم على أن يدفعوا الثمن جهاداً وتضحية في ذمة دينهم القويم

حياتنا :

أعود به إلى جانب عام تتلقفه وجهة شخصية لتفهم عنى كل شيء ... أما أنه جانب عام

ذلك لعوده إلى الاسلام في صوبه الأخير . وأما أنه جانب شخصي فذلك لأنه يتناول البلد الذي خرجت عنه ...!

وما أريد أن تذرف الدمع ، أو يذرف واحد من قرائث دمعاً . وإن تكر النكبة مما تهون في التوجع منها سيول الدموع .

فإن هناك - هناك بين أحضان البلاشفة - ثلاثين مليوناً من المسلمين قد دفعت بهم تشويه إلى مواقف التهلكة . إنهم يتبرمون من شيوعية الروس . ولكن حزاء على تبرمهم الفت والموت والعذاب والتشريد .

لقد هوى الروس بتمامهم على مساجدنا في (التفكاس وأيدال أورال) غربوها ، ولقد مزقوا مصاحب وجعلوا من كتب الدين طعاماً للنار ، وحقدوا على اللغة العربية فأزهدوها ، ولقد صارت شيوعية ولا رجاء لنا في تقويم أبنائنا وفق ما شئنا : لأنها تدرس لهم تعاليمهم بقوة الحديد والنار . ولقد ضربت على أيدينا بيد من فولاد لأننا أيقنا عليها أن تعصى بنا بعيداً عن ديننا الحنيف وتعاليمه الرشيدة . وماذا يجدي القول بل ماذا يجدي الاحتجاج حيال أمة قوية من شعبة ضعيفة لا نصير لها . ؟

دعوة إلى النجدة :

ليس على أن أعيد عليكم فظائع الروس في أمتنا ، فقد علم بها كل ناطق بالصاد . ولكنني أهاب لكم أن تدفعوا إلى قراء « المعرفة » ذلك الأمل الذي نشد . والرجاء الذي أريد . آمن في كل مسم أن يتوجه باحتجاجه إلى مراجع المظومين : أجل ! أمل في كل مسلم أن يدرك ثلاثين مليوناً من إخوانه يسمون في بلدنا الخسف ، ويتلفون لابلقة لساعة ولا بالكلمة عبثة . وإنما طعامهم من زقوم . ومقامهم من الدلة في حصيصها .. فإذا ما احتجوا على ما يلحقهم من عذاب . فقد تخف عنهم النكبة . أو ترحل عن كواهلهم الأعباء . أو يجردون في جهاد شبيهاً من السوى . أو يفتن عدوه الألد - وهو عدو لعالم بأسره - إلى جريرته فيضعف من حدتها ، ويقلل من شدتها .

لأن كان احتجاج الاستاد الأكبر شيخ الجامع الأزهر بلداً لهذه الجراح : وحياء لهذه الجهود التي احتسبناها من الموت . ولكنني أريد أن يتأثره كل مسلم يدب على الأرض . وآمن أن تكون الشخصيات الكبيرة « بين المسلمين » قد فضت إلى واجبها حيال هذا المصاب . فإن في صوتها دويًا ، وفي جاراتها روحاً قويا ١٠٠٠

رسائل باريس

للاستاذ عثمان أمين

يعرف قراء «المعرفة» الأستاذ عثمان أمين عضو هيئة الجامعة المصرية بجامعة
سوربون ، ديباً فذاً بما قرأوا له من النصول الممتعة والقيمة .
وقد أرسل اليها هذه الرسالة الخاصة ، قائلاً : « قد نرانا أن نشارك معكم قراء «المعرفة»
الأعزاء في إعجابنا بما فيها من آراء وحياة »
المحرر

... ولا أدري ماذا أكتب . ولا كيف أعتذر من تقصيري عن الكتابة إليك .
والحق أنني معترف بهذا التقصير ، ولكنه عن حسن نية : وأنت تشاركني في أن الأعمام
باليات ، ولا شك أنك تعلم ما للنية من مقام في نظر الأديان وفي تقدير الأخلاق . وفي اعتبار
القوانين — فأعتذر إليك إذن بضيق الوقت أم بكثرة العمل ، أم بالانشغال بالتمودعي ساليب
من الحياة جديدة ، أم أزعم لك أنني كنت مريضاً ..؟ قد يكون هذا أو بعضه ولكنه ليس
بمانع ؛ ولا أنا أحاول الاعتذار بشيء منه . ولكنني أكتفي في هذه المحالة بأن أرسم لك
قطعاً سريعة متقطعة ومضطربة في بعض الأحيان ، ولكنها قد توقفت على بعض الحقيقة من
الامر الذي أنا فيه :

إذن فاعلم يا أخي أنني وإن كنت منذ جئت باريس معافى الجسم موفور صحة البدن ، إلا أن
نفسى قد حانت آلاماً ومهوماً وأوهاماً .

رأيت باريس واطلعت بنفسى على بعض نواحي الحياة فيها ، فسخطت عليها وبرمتها
وعافتها نفسى ، حتى خيل إلى حيناً أنه قد يكون من الخير لي أن أغادرها لأنجو بنفسى مصونة
محفوظة . ولكنني تماسكت وتجلدت ، فقضيت الشهر الأول في شيء يشبه الأزيمة العسية ؛
ولكنها كانت مضنية مرهقة ، فلم تكن أطمئن معها إلى مأكل ولا مهجع ولا حل ولا ارتحال ..
زلت في أحد البنسيونات في الحي اللاتيني ، وأفرغت الحقائق ، ورتبت الكتب . تأهباً للممر
الذهبي الذي كرس له حياتنا ، والذي بممارسته لذتنا وسعادتنا ؛ فوجدتني لا أستطيع مطلقاً
أن أفكر تفكيراً هادئاً مادمت في هذا البنسيون ! فأولئك النتيات أو النسوة يحجرين ويتسابقن
في الردهات ، والكل في هرج ومرج ، والرقص في الحجرات على قدم وساق . فأزلت ملتصقة بالحدائق
فلا أظفر فيها بالهدوء لأن عباد الله هناك لا يجلسون هادئين ، بل يأبسون إلا أن يكون الغزل
والمناجاة هي مرأى ومسمع من أمثالي من عباد الله الهادئين القانعين ..
وهذا القتي يمانق الفتاة ويقبلها ، وقل هي الأصح إن الفتاة هي التي تقبله (فقد شاهدت

في حالات كثيرة أن النساء يبدأن بالقبيلات) . وهذه المرأة التي تدنو من الكهولة تترك طفلها بسبب وتشاغل هي بالتحدث إلى رجل تستلطفه ، أو شاب تجالس .. الخ - فإذا كان الليل وعدت إلى البنسيون وآويت إلى مصحفي طلبا للنوم والراحة لم يجداليهما سيلا ، ومنذا الذي يستطيع يا أخي أن يطبق جفنيه ، وأصوات الناس في الحجرات المجاورة مسموعة . ونفحات النساء موصولة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، والأسرة تضطرب وتهتز في جوف الليل في غير تكتم ولا نستر ولا احتشام ... ؟

شكوت إلى صاحب البنسيون فأجاب بأنهم شبان .. فقلت له وشابات أيضا : فقال هذا مفهوم ، لأن الشاب لا بد له من شابة ..

وهكذا فجور متمل مباح وإثم مشهور غير مستور ، وضروب الاغراء والفتنة ماثلة هنا وهناك . وفي كل مكان : في البيوت وخارج البيوت ، وفي المتاجر والمطاعم ، والحدائق وبيوت السينما والتخييل . وحتى دور العلم والعباد بالله ، وفي حجرات المطالعة وفي المكتبات العمومية . وفي مركبات المترو بالخط العريض (لأن المترو هنا من أشهر أماكن المواعيد والرفوفات !!) قال ابن المفرد : وأيما سار اللسان في باريس سبقتهم طلائع الفتنة وانتشرت من مكان إلى مكان في مظاهر التألق والظرف واللين ..

فديميب بعض الكتاب الأوربيين على المسلمين أن يتزوج بعضهم أكثر من امرأة . وفاتهم أنهم قد يتخذون على نسائهم في العام عشرات ...

وقد يطول بي مجال القول إذا أردت أن أحدثك عن مبلغ جشعهم وحبيهم لمادة .. يلتصقون المال بكافة الطرق : نساءهم وبناتهم وأولادهم يعملون للمال .

ولبعثيش كفة منقشرة جداً في باريس وبشكل شنيع مرذول . وللباريسيين به ولع شديد غريب . ويطلبون به بشكل أشنع يتنافى وأخلاق والكرامة ، ولو قد حدث في مصر أو في بلد من بلاد الشرق شيء مما يحدث في فرنسا مثلا بشأن الجشع في الحصول على التتود . لأقام كتاب الأرواح الدنيا وقعدوها . ولاستجاروا بالسماء والأرض من وحشية الشرقيين .. وما إلى ذلك من الصفات التي يحدوها عن حصونهم الماسكين المفهومين ..

أت في باريس لا بد أن تدفع للفرنسي بقشيش في كل خطوة تحوفا : ففى السجى وفي تياترو تدفع بقشيش للشخص الذي يتولى إحلاس المتفرجين في أماكنهم : وهو يتصف بحديث ولا يغادر حتى تدفع له المعلوم . فإذا كان أكثر من عشرة في المائة فل لك مرسى وإر كان عشرة في المائة (تمام) تصرف بدون مرسى . ولا بد أن تدفع كذلك بقشيش في المصانع معكم كميت ربونا مزممة .. وإذا ركبت تومويلا (تاكس) فلا بد أن تدفع علاوة على الأجرة المقررة بقشيش لاسواق لا يقل على كل حال عن عشرة في المائة . وساعى البريد

الأسلوب القصصى

بقلم الدكتور أحمد صيف

نحسب الأسلوب القصصى من أعظم أنواع الثرى فى الكتابة الأدبية عند جميع الأمم. ولكن أدباء العرب لم يعنوا بهذا الأسلوب إلا فى العصر العباسى. إذ لم يكن للنقص فى ذكرى عصور اللغة العربية قبل ذلك. ولا تحسب قصص الرءاء وسطيح وأخبار الخمر وأيام العرب من هذا النوع، لأن هذه قصص تاريخية ليست مكتوبة بأسلوب أدبى مسق. ولا بقلم كاتب واحد معروف، بل رواها الرواة على أنها حوادث من التاريخ. وثير وبدل كل واحد فيها على حسب رأيه وأسلوبه.

على أن الأسلوب القصصى ظهر فى آدابهم وبلاغتهم منذ ظهر أول كتاب فى هذا الشأن المبين. وهذا الكتاب هو القرآن الكريم. فقد جاء القرآن بكثير من القصص التى تحسب من نماذج الكتابة البليغة. وأساليبها الفنية البديعة، المستوحاة على كثير من الأحوال الاجتماعية والتاريخية لقصص: فرعون وموسى ويوسف وإبراهيم وعيسى ومريم وأصحاب الكهف وسليمان والنمل وغيرهم.

لكن لم ينسج على منوالها أحد من الكتاب. لأن الأدباء ونقاد الأدب. لم يرشدوا الكتاب إلى هذا النوع من الكتابة الفنية. كما أرشدوه إلى نظام القصائد القديمة، وحموها نماذج للشعراء. ولم يخطر كاتب أن يحول فى هذا الميدان. ولكن كان لظهور بعض القصص التى نقلت عن الهندية والفارسية أثر عظيم. فقد نشرت فى الأدب العربى بأساليب مختلفة وفى مواضع مختلفة بعضها أعجمى وبعضها عربى.

وسبب انتشار هذه القصص، ولا سيما الأعجمية منها، أن اندس بين العرب أيام الدولة العباسية كثير من الأجانب الدخلاء وأكثرهم من العامة الذين يميلون إلى الأخبار الخرافية والأخيلة الواسعة.

وكان التجار الذين يترددون على الهند وفارس وبلاد العرب يحملون شيئاً كثيراً من هذه القصص وينشرونها فى المجمع بين العامة والخاصة، حتى سرى الميل إليها فى نفوس الجمهور. فأخذوا يحاكونها فى أحاديثهم، وأخذوا الخاصة ينسجون على منوالها فى بعض كتاباتهم، ثم راد الناس على هذه القصص، وأضافوا إليها شيئاً من صور حياتهم الاجتماعية والسياسية، وهكذا أخذ ينتشر هذا الأسلوب القصصى بين العامة، حتى امتلأ باللهجات العامية فظهرت فيه حكايات

هى حليظ من الحياة الفارسية والهندية والاسلامية. واحتص بعض الكتاب إبان العصر العباسى بكتابه. لأسماء غير على السنة الناس والغير والهائم. فن هؤلاء الكتاب: عبد الله بن المقفع، وسهل بن هارون، وعلى بن داود. ومن أشهر ما كتب فى ذلك أو نقل إلى العربية قليلة ودمنة. وجميع هذا النوع من القصص كتاب « ألف ليلة وليلة » أشهر. الذى هو مجموعة قصص مختلفة من أصل همدى وفارسى أضيف إليه شىء من الحياة الاسلاميه. وقد كتب بأقلام مختلفة ورمته وأقتار مختلفة. ثم ارتعت منه عدة قصص على حدة وانتشرت بين قراء العربية.

وهذا الكتاب أخذ عن أصل فارسى اسمه « هزار افسانه » ومعناه بالفارسية ألف حرافة. وقد نلت حكاياته إلى اللغة العربية تناولها الناس وصنفوا فى معناه وكتبوا على مثاله. وكان ذهاب العرب يعتبرونه « كتابا غنا باردا » كما روى ذلك السعوى فى « مروج الذهب » وابن النديم فى « الفهرست ».

وعلى الرغم من انتشار هذا النوع، فقد بقى غريبا عن اللغة العربية الفصحى، لم يتمكن أسلوبه من توسع الكتاب. ولم يتمشى فى عصور الأدب كما تمتشى أنواع الرسائل الأدبية الأخرى. على أن أسلوبه دفع بعض الكتاب إلى أن يكتبوا بعض سير العرب وتواريخهم بهذا النمط. فكتب بعض العامة وخاصة، أو كلاهما معا قصص: عنترة، وبكر، وتغلب وغيرهم. وغلب على هذه القصص لأسلوب انطرافى لدى أورثوه من القصص الأعجمية فامتلا بالمبالغات والخرافات. وكثر هذه القصص لم يعرف مؤلفوها ولا كتابها. منها قصة السندباد البحرى وقصة عذيب وغريب وقصة قهر ليمان الملك شهرمان وقصة الأربعين الذين ملكوا الدنيا وحكاية مدينة النحاس وغيرها مما أخذ عن الأصل الفارسى لألف ليلة وليلة.

ومنها قصة الرزاق بن بدر وقصة الزير سالم وقصة أبى زيد الهلالي مع شرف العربان وقصة التاجر على نور الدين وقصة حسن البصرى الصائغ وقصة السبع نخوت وسلطنة دياب وقصة أبى زيد وتملك الأربعة عشر من بعد قتل الرزاق وغيرها مما أخذ عن الحوادث العربية ونسخها.

أما قصة عنترة فينسبون روايتها إلى الأحمسى فى أواخر القرن الثانى من الهجرة، وهى أقرب إلى وصف الحياة البدوية من غيرها، وعلى الرغم من أسلوبها الملحون قد احتوت على كثير من أخبار العرب وأشعارهم وأخبارهم وأوصاف حروبهم وعاداتهم وأخلاقهم من كرم وشهامة وميل إلى الانتقام، كما احتوت على حبهم للشعر وفنونه وعلى جملة أحوالهم الاجتماعية والتاريخية مع كثير من المبالغة فى ذلك.

وهذا يدل على أن الذوق الأدبى فى كتابة القصص كانت بذوره قد بدأت تنمر فى قوس الكتاب؛ ولو أن هذه القصص وأمثالها ليست بلغة الفصحى لكانت من أعظم فنون الأدب فى

اللغة العربية : ولكنها بأسلوبها هذا لا تحسب من اللغة العربية القصصية . على الرغم مما بها من الأشعار والأخبار والأمثال وبعض الأساليب الصحيحة .

ومن هذه القصص مقامات الهمداني والحريري وما هو على أسلوبهما ، غير أن هذا الأسلوب كتب بعبارة عربية صحيحة . وقد احتوت هذه القصص على شرح بعض المسائل الاجتماعية وعلى وصف بعض النفوس ، ولكن لم يكن الغرض الأول منها الكتابة القصصية الفنية التي تشرح صور الحياة والاجتماع ، بل كان غرض الكتاب منها على ما يظهر جلياً إظهار البراعة في أساليب الكتابة المسجعة ، وأنواع الشعر الصناعي وتنميق الأسلوب .

على أن هذا الأسلوب القصصى المسجع ، شاع في أواخر الدولة العباسية ، أى وقت انحطاط أساليب الكتابة النثرية الفنية ، وتمكن السجع وأنوع البديع من قوس الكتاب فقيد كثيراً من الكتب باتباع الأساليب المسجعة . ومهما يكن من أمر قصص الهمداني والحريري من حيث احتواؤها على بعض المسائل النفسية والاجتماعية فهي تحسب قصصاً لغوية لاشتهارها على كثير من غريب الصناعة اللفظية أكثر من اعتبارها قصصاً فنية اجتماعية .

أحمد ضيف

رسائل باريس

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٢٩٣)

حيما يحمل إليك خطاباً ينتظر منك البقشيش ! والأغرب من هذا أنى كنت حالت في حجرى أول أمس وإذا بالباب يدق ففتحت فوجدت (تلفرافجى) فسألته أن يعطينى التلفرافجى ، كان لى . فقال : ليس معه لى تلفرافجى : وإنما أتى ليأخذ الهدايا ... ولما رأيت في يده ورقة من ذات العشرة فرنسكات فهمت نوع الهدايا التي يقصد ... وطبعاً أعطيته (التي فيه التسمية وأمرى إلى الله ، مع أنى لم يسبق لى شرف التعرف به ولم تعامل قط مع شركة تتعرف في باريس .. نهايته . الشاهد .. ان كل شيء هما محسوب وليس عنده (حاجة لوحه لله) ..

لقد أطلت يا أحسن ، فعمدة . ومع ذلك فقد بقى في النفس أشياء كثيرة وقد ضمن لى لا ذكرها . وإن كانت الأمثلة عليها حاضرة بالذاكرة . ولكنها ليست مما يشرف باريس . وكما تنطق بأن العواطف البديلة إلى كثيراً ما تفرغ عنها فيما تحفه أقلام الأفرنج هي هنا شيء لا يبدو الصحف والأوراق . وأن المدينة انجليزية ليست في كثير من الأحوال معياراً لرقى في البناء ولا نبل في الأخلاق . ون مصر وبلاد اشرق لم تزل مهبط المدينة الروحية المبررة عن المادى المادية ، كما كانت بالأمس مقر الأديان والحكمة والجمال .

عثمان أمين

باريس

تاريخ حياة ألف ليلة وليلة

للاستاذ الكبير : أحمد حسن الزيات

أستاذ الادب العربي بدار المعلمين العليا ببغداد

تفضل الكاتب الكبير ، والعالم الاديب ، الاستاذ أحمد حسن الزيات ، فبحث البنا
بهذا البحث المتبحر ، الذي سيردده ببقية في فرصة أغرى ان شاء الله .
والاستاذ اريدت : أديب دافع الصيت ، وكاتب واسع الشهرة ، يكاد ينمرد في
أسبوه حمزة المودة ، وحسه غفراً ان يكون الادب المعرفى الوحيد ، الذي احتارته
حكومة العراق لتدريس الادب العربي بمعاهدها .
المحرر

ينحطو الدهر دائباً في ولاء وكبرياء وصمت ، فيعفو الأثر ويفرى الحجر ويبرى الحديد ،
وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، إلا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد
تسب فيستقر في قراره ، ويمكن كمن السمر في دخيلته وإضماره ، أريد به ذكريات الصبا وأحلام
الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخونه البلى ، ثابتة والعيش تزعزعه الأحداث ، ناضرة والمنى
يسوحها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الظلم ظلام وسحب ؛ فمن منا لا يذكر أول بيت
نصر فيه الوجود ، وأول ملعب عرف فيه الرفيق ، وأول مكتب رأى فيه المعلم . وأول
وعد لاقى فيه الحبيب ؟ ومن منا لا يذكر ساعات السمر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم
بثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدة الخنوز أو الأم الرؤوم أو الظئر
الحامية ، فينصتون في سكون وشوق ، إلى ما تقصه عليهم من روائع الأسفار وبدائع الأقاصيص ،
و من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة أشدث ، في حال لا يصف الشموخ بها غير
الشاعر . ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب أن يخدر الأعصاب الطفولية الرقيقة . فتغفو تحت جنح
الكرى وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم ؟

هذه الأقاصيص الشائقة التي كانت لغزلوانا الصنيرة سحراً ، ولعواضتنا المشبوبة سكران ،
ولقدوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الأحلام والأمانى تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم
جمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتقلت من عهد إلى عهد ، ومن عهد إلى عهد ، ومن بلد إلى
بلد . نحمل في طواياها تفحات الحكمة المترقية العالية ، وعطورات الأزمن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر
بوجود لانسان ، لأنها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص . فلا تعرف لها أولية ،
ولا تعدد في الغالب لظهورها علة ؛ ولكن علماء الأساطير يزعمون أنها نشأت في الهند . وهاجرت
منها إلى بلاد العرب . ثم رحلت إلى بلاد العرب . ثم استقر بها السوى في قنار الغرب . وفي كل
مرحلة من هذه المراحل كانت تصنن بصيغة معينة . وتتأثر بخصائص الجنس . وتقدم بسمات
عديدة : يوماً بساطها الذين وحدوا على الرثمة من دون الوجود . ومارسوا بذلك تاريخ ثوب
(٢-٣)

الخلود، فقد كان لبعضهم - ولا شك - حظ من الحياة وشهرة بملازمة الأسفار وملازمة الغير، فتحدث الناس أولاً بما فعلوا ثم سرجوا حول أمثالهم وأنبأهم الأكاذيب والأعاجيب، حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة: في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم كدعد وليلى في الشعر وأبى نواس وجعافى التنادور.

أما أكثر الأبطال فمن خلق الخيال ابتدعهم رموزاً للمثل الأعلى أو القدر العايب أو الحد العاثر أو السلطان الجائر أو الهوى المتسلط أو الأمل الآسى أو الحظ السعيد.

وعلى ذكر الطقولة ومناغيات الأمومة أراكم ولا ريب تركتموني أتحدث، وعدتم بالذاكرة إلى تلك المهود الحبيبة، تتخيلون سحرها، وتستعيدون ذكرها، وتصيحون إلى ذلك الصوت الخنون ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب أو البعيد، مردداً أسماء أولئك الأبطال الذين طالما اكتبتم لاكتسابهم، وتألمتم لمصابهم، وشاركتهم بالعطف في نعماء الحب، وبأساء الحرب، ولأولئك المظلوم من أمثال: حسن البصري، ونور الدين المصري، والشاطر محمد، والشاطر حسن إلى آخر ما سجلته الذاكرة... لا أنكر أنى كذلك ذكرت حين كتبت هذه السطور هاتيك القبور التي ضمت هواي ورققة صباي، ونوعاً من الحنان والاخلاص، لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه.. ثم ذكرت شيئاً آخر: ذكرت بحلى من بحالى الأنس في القاهرة كان جمعة القلوب وإلفه النفوس ومستحج الخواطر، فعصفت به ريح المدينة الحديثة، ذلك منظر الحدث أو القصص أو المسامر أو الشاعر في مقهى الحى، وهو في حلتته الشرقية المفوفة الضافية فوق صنته الخشبية البالية العالية، وقد تجمع بين يديه وعن يمينه وعن شماله أوزاع العامة وشيوخ أشلة يستحمون من كلال العمل اليومي برشف القهوة العربية، وتدخين النرجيلة المعحمية، وتبادل العوطف لأحوبة ثم الاصغاء المشترك إلى أبى درويش وهو يقص بصوته العريض المتشد وجرسه الهادى المترن حروب عنتره أو وقائع أبى زيد أو مخاطر ابن دى زن، فينتقلهم بقوة تمثيله أو بحسن ترتيله إلى جناح الخيال إلى عصور هؤلاء الأبطال فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفنك البحر وبطش المردة، ثم يرى الخيال أن فورة الحماس والشوق قد طفت في النفوس لوقوع البطل في سر أو شدة، فيسكت ليجمع النقاط من السمار والنظار، فلا يجد هؤلاء مندوحة عن تعجيله لبعض هو إلى إطلاق البطل من إيساره، وإيقاظ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره... وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب والصمت الحالم والمصر الكئيب قد حفت فوقها الرايات وأشرفت في جوها الثريات وتلايلات في سماها المصابيح، وأخذت زخرفها بالسامرين، وقد جلسوا متقابلين على الدلك العالية يطوف عليهم غمان بأكواب من ذوب السكر المعطر بماء الورد، وصاحبنا المحدث قد خرج إلى القوم يتهادى في عمته المكورة، وجبته المعصفرة، وقطانه الأنيق الأصفر، وقد تدلت من حزامه الحريرى ذلاذل تنوم على

بطنه المنتفخ الضخم ، فإذا استوى على عرشه المنجد توهج البخور من جانب وتضوع العطور من جانب ، ثم خشمت الأصوات ورنث اليه الميوز وأنشأ يحدث ؛ فإذا بدا لأحد أن يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا المهرجان عجب أولا من أنه لا يعرف ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عيلة إلى عتر ؛ فإذا كانت القصة قصة بنى هلال ، وجدت هذا الهوى الجميع قد استحال إلى عصبية شنيعة ، ورأيت إخوان الأمس قد أصبحوا أعداء اليوم ، فطائفة تمعصب لبنى هلال ، وطائفة تمعصب لبنى زناته ، وهؤلاء يريدون الشاعر على أن يقص واقعة ، وأولئك يسألونه أن يقص أخرى ، والشاعر لا يجيب إلا من يجزل له العطاء ، فإذا رجعت كفة وشالت كفة ، أخذ يروى من ذاكرته وغيبه على هوى الفئة الغالبة ما لم يسجله تاريخ ولم يدونه كتاب ، فيرور الغرائب ويختلق الوقائع ، ويقش مما خزنه في حافظته من مختلف الأسمار ورقائق الأشعار ليحوك منها للبطل حلة تمز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الذيرة في صدور خصومه ، فلما فحة أخرى تميل به إلى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الحزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذى صورته لكم هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذى ينام النهار ويجلس الليل يحدث أربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكك اللبق الحافظ الواعظ ، هو الأثر التاريخي وانحودج الحقيقى لذلك القصص البارع الذى خلف لنا كتابنا العالمى الخالد ألف ليلة وليلة .

يرجع تاريخ هذا القصص إلى صدر الاسلام ، والفصل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على سمات من أخبار القرون الخالية والذرة الأولى ، وكان علم القوم يومئذ بتفصيلها من أسلم من أهل الكتاب : كتيم الدارى ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام ، فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون إلى الناس في المساجد يملكون ما في كتاب الله من قصص الأنبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الأنبياء ، ابتغاء للعبرة والتماس للموعظة . ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه . وكثر إفت القصص فيه ، حتى طردهم أمير المؤمنين على من المساجد ما خلا الحسن البصرى ؛ ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول ، وقوة أثره في توجيه الميول . فاتخذوه لساناً لدعاية وسبيلاً لافتعال الأحاديث واختلاق الأقاصيص في الأغراض الحزبية المختلفة . بد بذلك معاوية فولى رجلا على القصص كان إذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله . ثم دعا له حفيفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحربه ، وكان هو إذا اقتتل من صلاة الفجر جلس إلى القاص حتى يفرغ من قصصه ؛ وكان ولاته وقواده يقدمون القصص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء ؛ ففعل ذلك الحجاج في العراق وحاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٧٧ أن عتاب ابن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ، ثم قال : أين القصص ؟

فلم يحبه أحد. فقال: أين من يروى شعر عنترة؟ فلم يجبه أحد، وسار الشعر والقصص في ركاب
السياسة جنبا إلى جنب يشبهان على الناس وجوه الرشد، ويموهان على العقول صور الباطل،
والقصاص كانوا في ذلك أشد وطأة على الحق، لأنهم ينسبون ما يفترون إلى التاريخ أو إلى الدين؛
فلما هذأت نائرة الأحزاب وسكنت طائفة الفتن ونضجت العقول، عاد القصاص إلى المسجد
فوجد الواقع قد غلبه على مكانه، والعالم قد فطن إلى كذبه وبهتانه، والخليفة قد استغنى عنه
برواته وندمانه، فاقبل إلى العامة يسامحهم في إملائهم وأعراسهم بما أثر من أيام العرب، ونقل
من أساطير المعجم، وروى من أخبار الفتوح.

وانتشر القصاص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرة من ظواهر اجتماعها ، وحاجة من حاجات طامتها ورعاها ، واشتدت هذه الحاجة حين اتعجرت الدواهي على العالم الاسلامي في أواخر العصر المباسي ، وبعده من عنف المتسلطين من السلاجقة وعسف المتغلبين من المغول وغزو المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العامة تفرجاً لمكرب ، وبخاصة تشجيعاً على الحرب ؛ ولكنهم كانوا في مصر أربع صناعة وأنفق بضاعة وأرفع مكانة ، لأن طبيعة إقليمها ونظام اجتماعها وطباع سكانها كانت تعين على ذلك ، فهي قطر زراعي ملموم الرقعة متصل البحارة بوجود بالخير الكثير على الجهد القليل ؛ فكان لذلك أهله قليلي الأسفار يؤمنون بكل خبر كبرى البطالة يميلون إلى اللهو والسرور ، وكانوا لا ينفكون بين يرسر متدفق طلق إدا عم الفيضان وعدل السلطان واقتصد الموت ، وعسر متجههم كز إذا خسر الغلاء وألح الوباء وبقي الحاكم ؛ وعلى الحالين كان السامر أو المسامر عنصريين من عناصر الحياة ينضران بهجة العيش في الرخاء . ويسريان كربة النفس في الشدة .

وكان أول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التجيبي سنة ٣٣٨هـ تولاها مع القضاء ثم أفرد به ، ثم تعاقبت القصص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداء للمقيدة وأبواقا للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سندا وحنة ، وتروى ذلك أقوى ظهورا في عهد العاطميين ، فقد كان يعقوب بن كلس وزير الممر يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لأهل البيت ؛ وكان مقتل الامام علي ومأساة الامام الحسين موضوع المناير والسوامر في شهرى رمضان واثرم . وقيل إن ربيعة حدثت في قصر العزيز بالله فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية ؛ فطلب إلى شيخ القصص يومئذ يوسف بن إسماعيل (١) أن يلهمى الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنتره ونشرها تباعا في اثنين وسبعين جزءا سكرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين إلى اليوم . وهي الياسة العرب لا ينازعها هذا الشرف حتى الآن عمل في آخر . وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا القرن ونهضة في بغداد والقاهرة ففي عهده المتندر بالله لعباس واعزيز بالله

١١١) انما شمس الحبيب و اميرة محمد بن الموفق حريري . ومن اول شهر الرجب سنة ١٢٠٠
برسفال الذي طبع ملخص هذه القصة في باريس .

الفاطمي. كان القصص الحكيوميون والشعبيون يحتشدون لوضع الأخبار ويتنافسون في جمع الأسرار من الوراقين والرحالين والعامية ؛ ولكن القصص في العراق كانت من عمل الكتاب يصورون فيه أنبل عواطف الناس وأجل مواقف الحياة ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء وسواهم الملوك، فكانت بلاغة الحديث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر، وتترع بها إلى السليقة العربية المخبولة على الإيجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص، فما جمعه ووضعها الجهمياري وابن دلائ و ابن العطار في القرن الرابع من الألفين في الحب الطروب والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء سهل بن هرون وعي بن داود وإبان بن عبد الحميد من الأسرار في الأمثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنعه من قبل هؤلاء عيسى بن دأب وهشام الكلبي والهيثم بن عدي من الأخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية ، كل أولئك موسوم بسمه العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة . أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصصين والمسامين يلققونه من الكتب ويتلقفونه من الأفواه ويحدثون به الدهاء في المجالس العامة ؛ ورزق هؤلاء القصص على قدر ما عندهم من القصص ، فإذا ما انقطع أحدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش، فهم لذلك مضطرون إلى تطويل الموضوع بالاستطراد وبسط الحادث بالتزويد وجذب القلوب بالاغراب والمبالغة، ومن ثم اتخذ الأدب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للأدب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (ROMAN) في اصطلاح الفرج ؛ فان المعروف الشائع من قبل إنعا كان المثل (FABLE) والأقصوصة (CONTE) والحكاية (NOUVELLE) وهذه الأنواع قد تولد بعضها من بعض على نحو ما يرى الأستاذ (رونيير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب التطور على الأنواع الأدبية ؛ فالأقصوصة نشأت من المثل، والحكاية نشأت من الأقصوصة، والقصة نشأت من الحكاية بالتوسع الخيال وفعل المبالغة وحكم الزمن ؛ ولكن القصة العربية قد تأخر نشوؤها إلى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر لأن عملها يقتضى التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الأولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الأمور ، ثم كانوا في عصور الحضرة والاستقرار يؤثرن الخاصة بأدبهم فيضطرون في حصرة الملوك أن يراعوا أدب الحديث فلا يفرقون في الحادث حتى يجانب العقل . ولا يسهبون في السمر حتى يحاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ؛ أما القصص المصري فقد تهيأت له الأسباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الأوزاع والعامية فلم يبتعد عنهم بتواضع الخلق ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ، فهو يصطنع اللهجة الصريحة ويستعمل الألفاظ القبيحة ويبالغ في الخلط والتلفيق فصدا إلى الاغراب والتشويق، ويعتمد غالباً على

المفاجآت القوية ويستطرد كثيراً إلى الحوادث العرضية ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق لانه يحفلها والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها، فاستطاع بذلك أن يزور أغرب الحوادث ويجمع شتى الأحاديث ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة وللعامّة مصدر ثقافة .

كان القصص المصري يعتمد في مادته على ما يصدر عن بغداد من الأقاصيص الموضوعة والمنقولة والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة، ثم يضيف إلى ذلك ما تنوّل في مصر وما تجمع من الأخبار من التجار والرحالين والبحارين . فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون ما رأوا من الأعاجيب كما فعل اليعقوبي وابن فضلان ويزرك بن شهر بار مثلاً . أو يتحدثون بها الناس كأن يقولوا ما حكاه ابن خردادبة من أن في بعض الأمم رجالاً عراض الوجوه سود الجلود لا تزيد قامته أطولهم على أربعة أشبار، وفي جلودهم نقط حمر وصفر ويبيض . وأن فيهم من له أجنحة يطير بها، ومن رأسه كراس الكلب وجسمه كجسم الثور أو الأسد . وما جاء في كتاب المستطرف من أن في البلغار من طوله أكثر من ثلاثين ذراعاً يأخذ الفارس تحت إبطه كما تأخذ الطفل الصغير، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل، وما رأى الرحلون بالطبع هذه الأشياء وإنما رأوا صورها على الآثار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كان القصص يتناول هذه الأحلاط فيؤلف منها قصة كثيرة النصول والفضول تدور حولها على بطل واحد ولكها تعرض من قبيل الاستطراد إلى حوادث شتى لا يصلحها بحياة البطل لاصلة وأهمية : انظروا مثلاً كيف صنع قصة عنتره : بناها على حادثة أصلية صحيحة هي حرب داحس والغبراء التي شبت لظاها بين عبس وذيبيان قبيل الاسلام ثم دارت رحاها على قطب من قصائدها وهو عنتره بن شداد لعبس فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحبه وكرمه وما اتصل بذلك من عادات البدو كالصيافة والحامسة والاجارة والشعر والغزو والسلب والنار . ولكن حروب عبس وذيبيان مهما هول فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلاً ولا تدر عليه من المال كثيراً . فهو يوقع الخصومة بين عنتره وبين فرسان العرب فيقتلهم ويقتلهم ويسمهم جميعاً بالنكول والعجز : والقصص في أثناء ذلك ينقلنا في السهول والأودية، ويقلبنا بين المضارب والأخبية، حتى جلاك من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في الخواطر من طريق التاريخ المقتضب المعك إلا بعد جهد : ثم يرى مع ذلك أن الشوق شديد وأن الأمد الذي يريده بعيد فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدم إلى مصر بلد القصص فيسوق عنتره بها حروباً ويهلك شعوباً ويبتلى حصوناً لا تزال العامة تعرفها إلى اليوم باسمه . ثم يذهب به إلى القسطنطينية ويواجهه من رومية، حتى إذا ظفرت المنون أحريراً بالشعاعة

المحاربة عاد ابنه من بزنطة إلى الحجاز فطالب بعرض أبيه ، وحارب مماديه ومقتصبيه ، والمينة
لنى احتارها القصاص لعنتره تدل على قدرة فنية عجيبة . وكان لامرئين لا ينفك بها معجبا
ومنها طروبا فقد ذكر أن الأسد الرهيب أحد خصوم عنتره المتهورين الموتورين رماه غيلة
بهم مرائش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت فى جسمه الوثيق خشى على قومه من بعده
شر الهزيمة وعار الفشل ، فوقف حيال العدو النائر متمطيا جواده متكئا على رمحه ، وأمر جيشه
«لتهتقر والنجاة فارتد الجيش وبقي هو واقفا يعالج سكرات الموت ، والعدو متحفز للهجوم ،
ولكنه لا يجرؤ عليه خوفا منه . حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر
قد بلغ مأمله ، فلما طال وقوفه وجاوز الحد سكونه ارتاب الجيش المهاجم فدبر الحيلة لكشف
الامر فأرسلوا إلى جواده حجرا تهيجه ، فلم يكدر اها القوس حتى وثب وثبة خر لها فارسه على
الارض صريعا .

والغالب فيما أظن أن القصاص الماهر قد أخذ هذا الختام البارع من مصرع سليمان بن داود
اسم عماله المسخرين من الجن وقد أجملته البلاغة المعجزة فى هذه الآية الكريمة « فلما قضينا
عليه . لموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خربت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة فى عصر كان النيل فيه منبع الحوزة باهر الجلالة صافى
المورد لا يكدره والغ ولا واغل ، فكان استقلاله يلهم العزة وعروبه توحى الشهامة ؛ فمما
هت الأعاصير الهوج بالبربرية الجائعة فأطفاأت منائر بغداد وزعزت عرش الخلافة ، وعبثت
المحمة الجاهلة بترات العرب من علم وأدب وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب
على الشام ومصر تنبح الهلال الآفل وتنهش المجد الطريد ، رأينا القصة المصرية تصور هذه
الحياة الحزينة تصويرا عجيبا ، ورأينا القصاص قد اتسع خياله بقدر ما ضاق علمه ، فهو يخلق
بلاد لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد فى العمل على الجن والسحر والخوارق ؛
ففى القرنين السادس والثامن من الهجرة ظهرت فى مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة
غفلا من أسماء مؤلفيها ، لأن القصص المحترفين إنما كتبوها لأنفسهم ، فيما أرجح ، ثم توارثوها
حنفا عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة فنشرت على شكلها دون اسم ولا رسم ولا تعريف ،
وشرف قصص هذا الدور سيف بن ذى القرن والاميرة ذات الهممة وفيروز شاه . فلما أنها كتبت
فى هدى 'يهود فذلك واضح لادنى نظر من لنتها وإسلوبها وما تدور عليه من عادات واعتقادات
وصور . وأما انها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن ولغتها وأسماء أشخاصها ؛ فأبطلها
جميعا عاشوا بمصر حتى الذين لم يروها أقدموهم اليها ...

فالمهمل بن ربيعة كان الوجه البحرى ميدان حروبه ، وسيف بن زى بن زى هو الذى أجرى
النيل من جبال القمر بكتابه السحرى الذى دفنه فى جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذى حطط مدن

مصر: فالجزيرة اسم من اسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل
 قهرع إلى فرعى رشيد ودمياط لأن الملك سيفاً - وهو قادم به من السودان - وقف يقاتل الكفار
 الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه، ولكن الماء وراعه قد عب عبابه وطفحت
 أواذيه فاندفق شطر منه إلى الشمال واتجه الملك بالشرط الآخر إلى اليمن ؛ ومدينة سمند أصبها
 سماء نود ، لأن الحكيم نودا صاحبها قد عقد عليها سماء بالسحر توقعا لغارات الملك سيف
 وهو ذاهب بالنيل إلى مصبه ، ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم وقتل: إن قبره هو الذي
 يعرف الآن بالجيوشى .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فإن العواطف
 الدينية والحماسة القومية التي ألهبتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصص على أن
 يتملق هذه العواطف ويفذها بما يلقى من الأشعار والأخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد
 والصدق والصبر ؛ فسيف بن ذى يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعادل والأرصاء على الوثنية
 والشرك في معالم الأرض ومجاهلها وهو يقول لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله ؛ وكذلك سائر
 الأبطال في سائر القصص، إلا أنهم كانوا بعد الإسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر من الهجرة كان حكم المماليك بفساده وحكم الأتراك باستبداده
 قد أتيا على مابقى من أركان الاجتماع ، وحللاً وأصر الأخلاق والطباع ، ومنى الناس بالحاج
 الأوباء وشراسة الجبابة والرؤساء ، واستشعرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر فأخذوا إلى التصوف
 أو إلى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والأفيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشرطة والحيلة .
 وقتاتوا على حطام الحياة بالخدعة والغيلة . وحال نظام الفتوة في مصر إلى مناسر من اللصوص
 والعميارين يقطعون متون السبل ويعبثون بالآمن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ،
 ويجلونهم إجلال الزعماء ، ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالأعجاب والمبالغة . فظهر حينئذ
 ذلك القصص الوضع الذي يمثل هذه الحال بحقارتها وسفالتها ، ويعصور تلك البيئة بخرافاتها
 وجهالتها، كالقصص الذي يدور على الزينق وأحمد الدنف وحسن شومان ودليلة اغتالة ودالة
 الحتمالة كما يسميها المسعودى ، وأصبح أسلوب القصص في هذا الدور دائراً بين الجبالة والفتحة ،
 فهو يستعمل في قصصه لغة مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملات مخفوفة وقائع واحدة يرددها في
 كل قصة ويكررها في كل مناسبة ، وكانت شهوة السهر والسر قد بلغت مداها في ذلك الحير
 لتغلب البطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والقدرة .
 فتكدسوا في السوامر حول القصص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من
 الأساطير والأسرار فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل ، فكان مما دون في تلك
 الحقيبة الغريبة كتابنا وموضوعنا ألف ليلة وليلة .

الف ليلة وليلة : كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وراعت من خلاله ميوله وتزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذى طويلا ؛ أغفله الأدب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الأدباء فلم يبحثوا فيه ؛ وراه محمد بن إسحق المعروف بابن النديم فقال : إنه غث بارد ، لأنه نظر إليه نظرة إلى الأدب الأرستقراطي الذي يصور رف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث قلب الديمقراطية وسيادة الشعوب واستتبعت ذلك عناية صحاب المذهب الابداعي (الرومانتيكين) في الغرب بحياة السوق والذهاء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء ، وهب رواد الاستعمار وعشاق الآثار ينقبون عن (فولكلور) الشرق أخذوا أدباؤنا بحكم التقليد والعدوى يمظفون على أدب لسواد ، فدوّنوا اللغة العامية وجمعوا الأغاني الشعبية ونظروا بعض النظر في فن القصص ، وسمّوا في رجفة من الدهش إلى قول الأوربيين : أن في أدبنا الموروث كنزا دفيناً من هذا النوع له في أدبهم أثر قوى وشأن نابه ؛ ولكنهم لم يخلدوا بديا إلى هذا القول بثقة ، واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي أن يذكر في الكتب ، ويوضع في المكاتب ، وينبه الناس إلى فضله . وبينما العرب باتتاجة ؛ حتى رأينا بعيوننا أنه قل منذ أوائل القرن الثامن عشر إلى كل لغة ، وحل الموقع الأول من كل أدب ، وظفر بأعجاب النوايع من كل أمة ، حتى قال فولتير : إنه لم يزل في القصص إلا بعد أن قرأه أربع عشرة مرة . وتمنى القصصى الفرنسى (استندال) أن يحو له من ذاكرته ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته ! ثم قرأنا أن أفلام المستشرقين أخذت تتحادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في أصله ، وتكشف عن مناحي جماله وفضله ، وأن دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطريف الممتع من فصولها ، وأن الاستاذ فكتور شوفان أفرد له في كتابه تاريخ المؤلفات العربية جزءين سرد فيها مخطوطاته ومضروعاته وترجماته ، وجزئين آخرين لخص فيها طائفة كبيرة من حكاياته ، وأن الكتاب الروماني قد استغلوه للسينما والمسرح . فاستخرجوا للأول رواية لمن بغداد وللثاني قسمت أو القصص والقدر ، وأن رجال التربية والتعليم في فرنسا وألمانيا وإنجلترا قد اقتبسوا منه ذبالاً لطلاب فاختصروه وصوروه ؛ ولقيت أنا منذ طامين في القاهرة مستثمرة أسبانيا وآخر أميركيا قد أرسلت الأول جاممته والثاني جمعيته لينقبيا في مدن الشرق عن مخطوطات ألف ليلة وليلة . حينئذ أخذت حاصتنا تقرأ وتسمعه ، ومطابعا الراقية تصححه وتطبعه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون إليه في تاريخ الأدب ؛ ولكنهم إلى اليوم لم يدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر النطف العذاب من عبابه ، وهو على الرغم من جميع ما فيه قد سجل على توالي القرون أطوار احتمانا ، وصور بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأتم قصص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب

الذي احتقر العامة ؛ فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف والأديب الباحث والكتاب القصصى منهل ثر الينايع صافى المورد ، وهو فضلا عن ذلك كان للشعب العربى فى زمن انحلاله وضياع استقلاله وصعوبة اتصاله قيس يبعث الحرارة فى النفوس الخاملة ودكرى تنوع القلوب أسى على المجد الداهب ، وصلة ثقافية تجمع الميول المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون ألف ليلة وليلة علما ثانيا على بغداد ، بل ربما كان أدل عليها اليوم فى نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع فى الحضارة ومكانها البارز فى التاريخ ؛ ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر وفيضان النهر حتى محوها ؛ أما هى فى هذا الكتاب فلازال سناها باهيا لم يخب وصداها داويا لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية فى بغداد متحف زاهر بالأعاجيب دونه ما للحضارة الفرعونية فى مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لأنه يسير فى البلاد وهى ثابتة ، ويتحدث إلى جميع الشعوب وهى صامتة حتى أصبح لفظ بغداد فى جميع لغات مرادفا للمعمران الزاهر والترف العجيب واسم الرشيد رمزا للعادل الشامل والزمن الحبيب . ذكر أحد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخى فقال : كان ذلك فى العصر الذهبى إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد.... ذلك بعض فضل الكتاب على بغداد. وقد ذكرت من قبل أنه لم يؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه أحد من بلينا ، وإنما جمع فى مجالس اقتصر فى القاهرة ، ودون على هذا الشكل فى القاهرة. وطبع أول طبعة كاملة فى مطبعة الحكومة بالقاهرة ثم كان حظها منه أن صورها للناس مثابة للاحتيال والسطارة والشعوذة والجهل . يبي تصور بغداد مبهتا لفضل وموطنا للنبل ومعدنا للكرم وعشا للحب ومظهرا لترف ، حتى كان من جراء ذلك أن البغداديين لايزالون يقولون فى بغداد : (عياق مصر وحيال مصر) ونحن لازلنا نقول فى القاهرة : تبغدد فلان إذا أظهر البغدة وهى كلمة مشتقة من بغداد تدل على السرف والترف والبطر والنبل . وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب أن القصص المصرى إذا تحدث عن مصر وهو منها وفيها تحدث عما يرى وعبر عما يسمع ؛ وقد عمنافى أى عهد من عهود الصنف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر ؛ أما إذا تكلم عن بغداد فأنما يتأثر بعوامل أربعة : يتأثر بما وضع من الأفاصيص الجميلة فى بغداد ، ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل الأذهان عن عظمة بغداد وأبهة اخلافة ، ويتأثر بما ركب الله فى طباع الناس من تقديس الماضى وتعظيم البعيد ، ويتأثر بحجبه أحداث التاريخ وتطور الأمم . فبأى وهو فى القرن العاشر من الهجرة أن يعترف بموت الرشيد ومصرع بغداد ونكبة الجند الأثيل .

أما بعد فلذا أحاول الآن أن أكشف عن حقيقة ألف ليلة وليلة بمقدار ما تهيات للمراجع فى بغداد ، بعد أن توفرت على قراءته ودراسته فى مختلف الطبقات ، ووقفت على ما نشر عنه من الأبحاث فى بعض اللغات . وما أريد بالطبع أن أدفع السأم فى النفوس بذكر ما لا يحتمله المقام من التحليل المفصل ، وإنما أجرى بذكر ما لا يسع الرجل المثقف جهله من أمر هذا الكتاب... وهنا يدرك شهر زاد الصباح . فالى العدد المقبل إذا تفضلتم بالسماح . أحمد حسن الزيات

الحب

كلمة من نور.. تكتبها يد من نور، على قرطاس من النور، ولقطة مستعذبة لا يكاد الانسان يخطر في باله ذكرها حتى يخفق لها قلبه. ومتى تبادل في شرف ومهارة جمل مرارة الدنيا حلوة وملامها نوراً.. هو انعطاف كلي وتفاقم روحى يتم بلحظة واحدة وبمنظرة واحدة، هو جليس نتم وأليف مؤنس وصاحب ملك، مسالكة لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة، هو عنصر حياة ونشوته.. هو حاكم مطلق يسخر قلوب البشر بحادية مطلقة، ملك الأبدان وأرواحها، تنوب وخواطرها، العيون ونواظرها، العقول وآراءها.. عرشه اقلوب والضائير وجنده الأيام وأهالي، هو وحى وجدانى وإلهام تقسانى وعاطفة لا تحصى منها قلب حساس..

هو الله معبود دكايل ابن عباس.. هو مضمار لا يلج سقيم الوجدان ويرى.. ممن لا شعور لهم: يرى من المذيقين ومن ذوى القلوب المتعددة، يرى من الوحوش الآدمية ذوى الأغراض الساقطة، إذ لا يترك إلا النفوس الطاهرة، بعيد أن يسكن القلوب الخربة والأقنعة الجافية والنفوس الوهمية.. يتولد من أقل شيء ويتلاشى من كل شيء: يتلاشى إذا كان ملوثاً أساسه الشهوة بعكس ما إذا كان طاهراً مصدره القلب وأساسه النظرة..

كذلك الحب المبني على المال مصيره إلى الزوال.. لأنه فضيلة.. أركان شعاره الطهارة، ولأنه نشودة يلقيها وحى سماوى إلى الوليد ساعة ولادته.. هو الهادى إلى طريق السعادة الأبدية.. وهو الخير الذى عجنته الآلهة بحلاوة القبل ومرارة لدموع وأعدته مأكلاً لنفوس الحساسة.. لولاه ما عرف الله ولولاه ما عرف الدن ولولا وجود اثنين فى العالم لتقدت الشمس نورها وبارها.. الحياة بدون كمشجرة بغير أزهار ولا ثمار، بدون يحرم العالم من لمعان الشمس وبدونه تذهب نضارة الأثمار.. وبدونه يتمتع المطر من الانهار، فهو قوة أعلى من السماء وعمق من البحر وأقوى من الحياة والموت يوحى إلى الحب إتيان أجل الأعمال ويوحى إليه سهار حسن المكشفات: بذلك إذا وجدت رجلاً بلغ بشهرته إلى ذروة الجهد فاعلم أن بجانبه امرأة يحبها.... إذا عرفنا عن الحب ذلك فكيف إذن لا نحب بكل ما فىنا من قوة وإرادة ونعمل بما قاله رسول الله: (من عشق فظفر ففم ففات مات شهيداً)

لم لا نحب الله؟ لم لا نحب مخلوقاته؟ لم لا نحب الطبيعة، الانسان، الحياة، الموت، الجمال؟ لنحب الله مبدع الكائنات وموجد الحب... لنحب الانسان شعاعه على الأرض... لنحب الطبيعة بكل ما فيها من كمال وجمال... لنحب الحياة بما فيها من سعادة وشقاء... لنحب الموت قائدنا إلى عالم الخلود... ولنحب الجمال فانه جميل يحب الجمال.....

عبد العزيز جادو

٤ - الشاعر الذي قتل وصرفت جنته

لسان الدين بن الخطيب

بقلم الاستاذ الجليل : الشيخ أحمد السكندري

أستاذ الادب العربي بدار العلوم

شعره

منزلته في الشعر : يعتبر ابن الخطيب من أشعر أهل المغرب والمشرق في عصره إن لم يكن أشعرهم جميعاً ، كما يشهد بذلك ابن خلدون ؛ ولا يحول ذلك دون أن يكون بعض شعره مرذولاً متكلفاً نايياً عن تمثيل صورة الأدب الرائع ، والخيال البديع ، واللفظ الرشيق ، كما سنبينه . وقد نظم لسان الدين الشعر في كل أغراضه وفنونه ، ومنها الشكوى إلى رسول الله والاستغاثة به ، وكثيراً ما كان يفتتح رسائل الشكوى النبوية بقصائد طنانة ، كما كان يفعل ذلك في الالتجاء إلى قبور الملوك من بني مرين ، استمداداً للمعونة من أبنائهم وأحفادهم ، ليظاهروا بني الأحرار على دفع الأسباب عن ملكهم . وكان في أكثر ما اطلعنا عليه من مدائحه النبوية والسلطانية يؤثر النسيب على طريقة القدماء من ذكر : المنازل والأطلال والدمع والظعن ، والضعائن ، والبروق ، وهبوب النسيم ، ونحو ذلك ؛ وقبلما ورد في قصائده المطولة ابتداء بغزل في المذكر على طريقة المتأخرين من وصف العذار ، والخصور ، والأرداف ؛ وإنما ذكر ذلك في المقطعات ، وإذا سنع له تصريح بمحزون واستهتار تنصل من معرفته بمحاكاة المشاركة في الخلعة ، فيقول كذا على طريقة المشاركة ، أي في قلة المبالاة بذكر العورات ؛ ولعل الحامل له على هذه التقية علوكمه في الدولة وأخذة بناصية مناصبها ، وأن الروح المتقلب على أهل عصره روح جهاد في الدين ودفاع عن الحوزة ؛ وإنما تكون الخلعة من رغد العيش وصفاء الزمان وأمن السرب وهندوه البال ؛ وذلك ما لم يكن بين عصاة الأندلس قبيل الانقضاء .

لفظ شعره وأسلوبه : تغلب على شعر ابن الخطيب كما غلبت على نثره جزالة اللفظ والخيال ، والميل إلى استعمال ما يعجزه الطبع السليم من الغريب ، شأن الفحول من شعراء الأندلس المتقدمين من أمثال : ابن دراج ، وابن عبد ربّه ، وابن عمار ، وابن خفاجة ؛ وجعلنا ذلك من نعت شعره إنما هو بالاضافة إلى أهل زمانه وخاصة الشرقيين منهم ، فقد كان يغلب فيهم رقة اللفظ وإيثار

المستعمل المشهور ولوسوقيا ، ولا يعدون في أساليبهم مشهور التأليفات النغمية التي تهم بمعرفة القليل من قواعد العربية لمكان المجمة من ملوكهم ورؤسائهم وقلة تحفيهم بالشعر .
 ليلج الرصين اللفظ الدقيق المعنى ، واستعاضتهم عنه بأنواع الرجل والمواليا .

وينتاز شعر ابن الخطيب من شعر متقدمي شعراء الاندلس بتعمد استعمال البديع في شعره ، محاكاة في ذلك المشاركة على قصد منه وقلة إسراف وإفراط ، فحسن وقوعه منه في حسن تشبيه والاستعارة ، إذ كانا أنفس بضاعة رائجة السوق عند شعراء الاندلس . قديمهم وحديثهم ، وربما شأوا المشاركة في مضارها كما حسن في الطبايق والمقابلة والتدريج والارصاد ونحو ذلك ، غير أنفسر بابه في التورية الرقيقة اللطيفة الاستخراج التي ترمي إلى نكتة بديمة . إذ لم تكن التورية من الصناعات العربية النسب في الاندلس ، بل كانت بدعة مشرقية أمعن فيها القاضي الفاضل ومناجيه ، فحكاكم متأخرو الاندلسيين والمقاربة ، ففت استعملها لها ، وقلماسعت لهم فيها نكتة دقيقة . ولما أعيتهم الصناعة اللفظية في تصويرها في أجل صورها عدلوا بها إلى التوجيه بصناعات العلوم ، فكان شعر ابن الخطيب في التورية صورة توضح طريقة متأخري الاندلس واستعملها لكل توضيح . ولم يجد ابن الخطيب في الجملة استعمال الجناس ، فسمح في بعض الآيات وحسن في الآخر على كثرة إيراد له في شعره .

معاني شعره : إن معاني الشعر : من تمثيل صورة مطابقة لمعوس يتأتى حصولها خارج الذهن . أو تخيل صورة منترعة من محسوس غير متأتية الحصول خارج الذهن . أو شرح حال لمعورة حقيقية غير محسوسة ولا منترعة من محسوس ولا يتأتى حدوثها خارج الذهن ، أو نقل حكم على شيء بمصفة ثابتة له أو متعاورة عليه : من تقرير حكمة . وتوقيف على تجربة ، وتعليل لحادث . كل ولئذ لا يصدر عن خاطر الشاعر ، وافر العدد ، متنوع الشكل ، باهر المثال ، رائعا للمعوس ، قارأ في القلوب ، إلا إذا كان الشاعر قد اجتمع فيه : توفد ذهن ، وصفاء ملكة ، وسلامة طبع ، ووفرة بحث ، وسعة مشاهدة . وعظم اضطلاع بمزاولة كثير من الاعمال .

وكل ذلك قد منحه قاسم الحظوظ لابن الخطيب فجاءت صور معانيه ، في جملتها لا في تفصيلها . حيرة على النحو الذي وصفنا . وإنما تخلف عنه ما تخلف لئلا يزع كل من الحقائق العلمية والتجارب الصحيحة . ومن الصور الخيالية حواشي طبعه في الادراك وأطراف ملكته في صوغ اللفظ ، فاعتصم عليه إيراد كثير منهما في صورته اللائقة به . كما عاق هذا التمازج غره من قدماء البحول من مثال : المتنبي ، والمعري ، وقد حدث ذلك في نظمهم ونثرهم . فكما وقع في معاني شعره شيء من الحقائق العلمية وقع في كتبه العممية كثير من الأخيلة الشعرية . كما يشهد ذلك في عبارات كتب الحب : إذ لا تسلم لامرئ ملكة في صناعة من شوائب صناعة أخرى إلا بالتوفر على الصناعة الأولى وحدها . وقصر النفس عليها وجل المتفرد بالكمال سبحانه . عن . قد سامت

له طائفة من المعاني البديعة الصور، الدقيقة الاستخراج، لم يحم حولها خاطر شاعر فيما نعلم،
ونرجح أنه أبو عذرتها، وناسج بردها، وأنها وليدة اختراعه، وثمره حسن تأتبه؛ ونكتفى هنا
بذكر نماذج من شعره تتعرف منها:—

أولاً— جودة استعماله للألفاظ والأساليب، وتصرفه في صناعة البديع، وخاصة: حسن
التشبيه، والاستعارة، والتورية، والتوجيه.

وثانياً — لطف استخراج له لكثير من المعاني المخترعة أو الدقيقة التصور.

وثالثاً — ما أخذ عليه من القصور عن الإجابة في الألفاظ والمعاني.

فن النوع الأول قوله في مطلع استغاثة نبوية:

إذا فأتى ظل الحى ونعيمه فحسب قوادى أن يهب نسيمه

ويقنعنى أنى به متكف فزمره دعى وجسى حطيمه

وقوله في مطلع مدحة نبوية بمناسبة الاحتفال بمولده الشريف صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه أجمعين:

تألق نجدياً فأذكرنى نجداً وهاجبى الشوق المبرح والوجد

وميض رأى برد الغمامة مغفلاً فد يدأ بالتبر أعلمت البردا

لك الله من برق كأن وميضه يدالسا هر المقرور قد قدحت زندا

تعلم من سكانه شيم الندى ففادر أجراع الحى روضة تندى

وتوج من فوارها قن الربا وختم من أزهارها القضب الملبدا

وقوله من مطلع قصيدة يهني بها سلطانها وقد احتفل لاعتذار ولده:

شحطت وفود الليل بان به الوخط وعسكره الزنجى ثم به القبط

أتاه وليد الصبح من بعد كبرة أيولد أجنى ناحل الجسم مشمط

كأن النجوم الزهر أعشار سورة ومن خطرات الرجم أثناء هامط

وقد وردت نهر المجرة سحرة غوائس فيه مثلاً تفعل البط

ومنها:

لى الله من نفس شعاع ومهجة إذا قدحت لم يخب من زندها سقط

ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوى وعن نقطة مفروضة منشأ الخط

فأقم لولا زاجر الشيب والنهى ونفس لغير الله ما خضعت قط

لرب لها الأحراس منى بطارق مفارقه شمط وأسيفه شمط

وقوله من مدحة نبوية:

هل كنت تعلم فى هبوب الريح تمسا يؤجج لاعج التبرج

أهدتك من شبح الحجاز تحية فاحت له عرض الفجاج الفحيح
وفيها يقول :

ودجنة كادت تضل بها السرى لولا وميضاً بارق وصفيح
رعشت كواكب جوها فكأنها ورق تقلبها بنات شحيح
صارت منها لجة معها ارتعت وطلعت رميت عباها بسبوح
حتى إذا الكف الخصيب بأفقها مسحت بوجه للصباح صبيح
شمت المني وحمدت إدلاج السرى وزجرت للأمال كل سنيح
ومن بدائع تشبهاته واستعاراته قوله في وصف حمامة :

وخصيبة المنتار تحسب أنها نهلت بمورد دمعى المسفوح
وقوله :

سهرنا وفي سير النجوم اعتبارنا إلى أن ضفا ليل من فوقنا رباط
نفلنا شهاب الرجم إبرة خائط مسوحا وما يبق من الذنب الخيط
وقوله :

جاء العذار بظل غير ممدود فنتهى الحسن منه غير محدود
ناديت قلبي إذ لاحت طلائعه يا صبر أيوب هذا صوت داود
وقوله وقد أحجبه نشاط ولده :

سرق الدهر شبابي من يدي قفؤادى مشعر بالكمد
وحدت الله إذ أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى
وقوله من قصيدة يهني بها ملكه باستعادته ملكه :

لله موقفك الذى وثباته وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والبال صحيفة والسمر تنقط والصوارم تشكل
واليفر قد كسرت حروف جفونها وعوامل الأسل المتقف تعمل
وقوله من هذه القصيدة يصف الخيل وفوارسها :

صبحتهم غرر الجياد كأنما سد الثنية مارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل يرمى الجلاذ به أغر محجل
زحل الجناح إذا أجد لغاية وإذا تفنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه أذن ممشقة وطرف أكحل
فكأنما هو صورة في هيك من لطفه وكأنما هو هيك

وقوله :

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة ومن الجسور المحكمات سواره
وقوله :

سلام على تلك المرافق إنها معاهد الألفى وعهد صحابي
ويا آسة المغنى انمى فلطالما سكبت على مثواك ماء شبابي
ومن محاسنه فى الطباق :

أرادوه فارتدوا وجاروه فأتوا وساموه فى مرقى الجلالة فانخطوا
وقوله فى حال الأمن :

فأيقن مراتب وأصبح نافر وأذعن معتاص وأقصر مشتط
ومن محاسن تورياته - وإن لم تكن هذه الغاية من منافذ خواطره - مانبه عليه بنفسه بالرجح
الله فى كتابه المسمى بالصيب والجهايم : فمن التورية على طريق المشاركة قولى :

مضجى فيك عن قتادة يروى وروى عن أبى الزناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعى يهيم فى كل واد
ومن قصيدة فى وصف فارس :

فبوائته من مهجى متبوا خفيا على سر الفؤاد المكتم
فيا عجباً منى وفرط تشيع أديم بوجدى فيه وهو ابن ملجم
وفى رجل يحتال على الولاية :

حلفت لهم بأنك ذويسار وذو ثقة وبر فى العيين
ليستندوا اليك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين
ومن محاسن جناسه على قصوره فى هذه الغاية أيضاً :

مالى أهدب قسى فى مطامعها والنفس تأنف تهذيبى وتهذى بى
إذا استعنت على أمر بتجربة تأبى المقادير تجربى وتجربى بى
وقوله وفيه تورية مسروقة من المشاركة :

دعوتك للود الذى جنباته تداعت مياذمها وهمت بأن تهى
وقلت لعهد الوصل والقرب بعدما تناءى وهراسلوحياتى وأنت تهى
ومن شام من جو الشبيبة بارقا ولم تنه عنه الهوى كيف ينتهى

أحمد السكندرى

(يقيم)

على باشا — مبارك

١٨٩٣ — ١٨٢٤

زعيم نهضة العلم والتعليم في عصر اسماعيل

بقلم الأستاذ الجليل : عبدالرحمن بك الرافعي

في تاريخنا القومي شخصيات بارزة تعد أركاناً للنهضة المصرية ، لما لها من الأثر البالغ في نشورها والتطلع بها إلى المثل العليا في شتى مظاهرها من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية .

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها باغدير ، ونخصص لها ما هي جديرة به من البحث والدرس ؛ ولا غرو فالشخصيات المجيدة في تاريخ مصر هي كالكواكب النيرة في مضاء النهضة القومية .

وإننا موفون اليوم بعض هذا الواجب نحو علم من أعلام مصر ، المرحوم على مبارك باشا ، زعيم نهضة العلم والتعليم في عصر اسماعيل ، فهو عماد هذه النهضة ، وقلبها النابض ، ورأسها المدبر ؛ وهو من الشخصيات الفذة التي سطعت سطوعاً قوياً في عهد اسماعيل ؛ ويعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والعصور التي تلت ، إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله .

نشأته الاولى (١)

ولد المترجم في برنيسال الجديدة من أعمال مركز دكرنس بمديرية الدقهلية سنة ١٨٢٤ م (سنة ١٢٣٩ هـ) وأبوه الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروح من أهالي هذه الناحية . وجدده الأعلى من ناحية كوم بني مراس والحليج على بحر طباح من أعمال مركز مسودة ، ولتمثل كبير حش في هذا البلد . تشقت عائلته ، فأقام جده الأكبر ابراهيم

١ - مترجم في مركز دكرنس من أعمال مركز دكرنس بمديرية الدقهلية سنة ١٨٢٤ م (سنة ١٢٣٩ هـ)

الروحي في برنبال الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان هو إمامها وخطيبها وقاضيا . وبقيت هذه المكانة في نسله حتى عرفت طائفتهم بعائلة المشايخ .

ولاضطهاد وقع بأهل برنبال وإرهاقهم بالضرائب الثقيلة هاجرت عائلة مبارك ، وتفرقت في البلاد . فرل والد المترجم بقرية (الحمادين) من بلاد الشرقية (بمركز فاقوس الآن) ، وكان ابنه لم يبلغ بعد السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الإقامة في هذه البلدة ، إذ لم يلقوا فيها إكراماً . فارتحوا منها إلى عرب الساعنة بالشرقية ، فأحسنوا وفادة والد المترجم . وأكرموا مثواه . ولم يكن في بلدتهم فقهاء ، فحملوه مرجعهم في الأحكام الدينية ، وبنوا مسجداً جموده إمامه . ولما بدأ يستريح من الشدائد التي عاناها قبل أن يهبط هذا البلد ، أخذ يعني بتهديب ابنه وتعليمه . وكان المترجم قبل رحيله من برنبال ، قد بدأ بتعلم القراءة والكتابة على رجل صرير من أهلها . فلما استقر بأبيه المقام بين عرب الساعنة أخذ يعلمه بنفسه ، ثم أسماه إى فقيه اسمه الشيخ أحمد أبو خضر . صله من ناحية (الكردي) وهي بلدة قريبة من برنبال . ثم ارتحل إلى قرية صنيرة على مقربة من مساكن أولئك العرب ، وهناك حفظ المترجم القرآن في سنتين حتى يد ذلك الفقيه .

وكان الشيخ يقسو في معاملته ويضربه . كما هي عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم في ذلك العصر . فامتنع عن متابعة الحفظ على يده . وأبى أن يذهب إليه . وجعل يقرأ عند أبيه . لكن أباه كان لا يستطيع التفرغ لتعليمه لكثرة مشاغله وشواغله ، فترأى المترجم في الحفظ والدرس . وكاد ينسى ما حفظه ، فهم أبوه أن يجبره على الرجوع إلى الفقيه ، لكنه أبى أن يعود إليه . وحدثته نفسه بالهرب لما كان يجده من سوء المعاملة ، فتدخل إخوته في الأمر . فأبدى لهم ثوره من الحفظ ، وأعرض عن أن يكون « فقيها » . ورغب أن يكون « كاتباً » . لما كان يراه على اكتتاب من حسن الهيئة والقرنى من الحكماء .

وكان لأبيه صديق كاتب بناحية (الاخوية) ، فأسلمه إليه ليتعلم الكتابة على يده . فلما رآه في داره يتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قسوة وغلظة . وناله منه أذى شديد ، إذ سأله يوماً عن الواحد في الواحد ، فأجابته باثنين ، فضربه بمقلاة البن ، فشح رأسه ، وكان ذلك على ملا من الناس ، فشكاه إلى أبيه ، فلم يحفل بشكايته ، فهرب وانتهى به المطاف إلى العودة وحيداً إلى برنبال . وهناك وافاه أخوه الذي كان يبحث عنه ، فأعاده إلى أبيه . وقد حار في معالجته وتعليمه ، وأبدى المترجم ثوره من الرجوع إلى الكاتب أو الفقيه لما رأى منهما من الإيذاء والضرب .

فارتأى أبوه أن يمهده إلى صديق له من كتبة المساحين . فرضى بذلك ، ولازمه ثلاثة أشهر . ثم انفصل عنه وبقي في بيت أبيه يقرأ عليه . وبعد سنة جعله مساعداً لكاتب في مأمورية في كبر . فمرتب قدره خمسون قرشاً ، ولكن الكاتب لم ينتقده أجره ، إلى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من

أبي كبير، فاستند منه راتبه المتأخر، فنقم عليه الكاتب، وأغرى به مأمور أبي كبير، واتفق وإياه على تجنيده، فاستدعاه المأمور، واعتقله، ووضع الغل في عنقه، ولبت في السجن بضعة وعشرين يوماً، قاسى فيها مر الشدائد والآلام؛ ولما علم أبوه بسجنه رفع ثلأته إلى محمد على باشا عز مصر، وكان إذ ذاك في منيا القمح، فكتب بإخلاء سبيله، وإطلاق سراحه، وعاد أبوه بالأمر ليطلب من المأمور تنفيذ، وقبل أن يحضر جاء السجن صديق لسجان وفضى إليه أن مأمور زراعة القطن بناحية أبي كبير في حاجة إلى كاتب. فذله السجان على المترجم، ووصفه له بالنجابة. وحسن الخط، وبعد قليل جاء أمر الافراج عنه. وذهب إلى مأمور الزراعة. وكان سود حبشياً، يدعى (عبر فندى). فاتخذة كاتباً عنده مقابل حراية يومية من الخبر. وحمة وسبعين قرشاً في الشهر، فارتضى هذا العمل؛ وكانت سماحة أخلاق عبر فندى وطيبته مارغبه في البقاء في هذه الوظيفة.

ما يؤخذ من نشأته الأولى

إن هذا ليس في نشأة المترجم الأولى شيء مما يلتفت النظر، لكنها تصلح أن تكون صورة مصغرة للحياة الاجتماعية والتعليمية في ذلك العصر.

فانتقل عائلة المترجم من بلد إلى بلد، من كوم بني مراس على بحر طناح، إلى برنبال بأقصى البهية شمالاً. ثم إلى الساعنة بالشرقية، كان نتيجة سوء معاملة الحكام للأهلين في ذلك العصر، ورمقهم بالصرائب الجائرة. مما اضطر تلك العائلة، وكثيراً مثلها، إلى الرحيل فراراً من المطالبات التي لم يستطيعوا أداءها. بعد أن تجردوا من ماشيتهم ومتاعهم، وتشدد الحكام في استخلاصها. ولحق والضرب، فلم يجدوا ملجأ من هذه المظالم. سوى الهجرة من بلدتهم؛ وهذا يعطينا صورة من مظالم الحكام في ذلك العهد، إذ لم يكن ثمة قانون يمنع ظلم القوى للضعيف، ويحول دون اعتداء الحاكم على المحكوم، ولا ضرائب منتظمة معلومة المقدار، يعرف كل إنسان حدود ما عليه منها، بل كانت متروكة لأهواء الحكام والرؤساء. فلا جرم أن استهدفت المترجم إلى التجرد من متاعهم وماشيتهم، ثم إلى السجن والضرب، ثم إلى الهجرة والتنقل من بلد إلى بلد فراراً من المظالم.

وهذه المشاة تعطينا من جهة أخرى صورة لما كانت عليه حالة التعليم قبل أن يألف الناس المدارس الحديثة، فإن فكرة تعليم الأبناء كانت موجودة عند الآباء الذين نالوا حظاً من العلم، بذلك على ذلك ميل والد المترجم إلى تعليم ابنه قدر ما يستطيع؛ لكن طريقة التعليم كانت رديئة لا تثمر تنمية الفكر وتهذيب النفس، ففقيه القرية، وكاتب الاخوة، وأمثالها من الفقهاء والعرفاء، كانوا من الجهل والقسوة بحيث لا ينتج التعليم على أيديهم سوى الجهالة، وبث روح الخوف والجبن في أخلاق الشباب، لأن القسوة والضرب يقتلان في نفس التلميذ روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة.

وليس في نشأة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلاً يختلف عن معاصريه ، ولكن أمراً واحداً في هذه الفترة يلتفت النظر ، ذلك هو نفوره من الذل ، ومجاافته قسوة المعلم ، فقيماً كان أم كاتباً ؛ أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرب ؟ ألا تراه كاتباً بما يتقدم عصره ويبدع معاصريه ، فيتطلع إلى أسلوب في التعليم أرقى من الأسلوب العتيق الذي كان مألوفاً في عصره ؛ إن هذه ظاهرة تدل على أن نفس الفتى الصغير تأبى الذل ولا تقيم على الضيم ، وتلك ناحية تدل على سمو الخلق ، لأن إياه الذل يدل على نفس عزيزة ، وعزة النفس تجمع حولها سمطاً من الأخلاق الكريمة .

ولا مرأى أن تلك النفس العزيزة كانت من أسباب نبوغ المترجم ، فلو هو رضى بالذل والهوان . لاستمر في طريقه ، ولم يتجاوز أن يصير كاتباً بسيطاً مرعوساً لمثل عنبر افندى ؛ ولكن اضطر إلى ما حدثته به نفسه - وهو يشغل هذه الوظيفة - تجددت نفساً متوثبة كانت تتخلج بين جوانح المترجم . فقد روى عن نفسه ، أنه لما اشتغل كاتباً لعنبر افندى رأى منه رقة وشفقة وحسن معاملة تختلف عما لقيه من كاتب أبي كبير ؛ لكنه شعر بأن لو كان عنبر افندى على غرار ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقذه من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم اتجهت نفسه إلى أن يكون « بحالة لا دل فيها ولا تخشى غوائلها » كما يقول المترجم .

فهذا الشعور هو فيض النفس العزيزة التي تأبى الذل ، وتطمح إلى المعالي ، وهو شعور كريم كان له أثره في حياة على مبارك .

وإن سمو هذا الشعور ليدعونا في إعجاب أن نتساءل : من أين اقتبسه وكيف اختص به دون أقرانه في القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العطاء ، لا تجد له تعليلاً دقيقاً ، فإذا عللته بتأثير البيئة والوراثة اعترضك في هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس في بيئة واحدة ، ومن أب واحد ، وأم واحدة ، ومع ذلك ينفرد بالنبوغ دون أقرانه وإخوته .

قد يكون السر في النبوغ هو الاستعداد الفطري للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الإلهام الذي يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الإلهية ، لك أن تفسره بمعنى من هذه المعاني ، أو بها كلها مجتمعة ؛ ولكن علينا أن نحسب حساباً لتأثير الوسط والوراثة . فلا شك أن على مبارك قد اقتبس شيئاً من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلاً « مكروماً معظماً » نزل ببليدة برنبال . ولم يكن من أهلها ، فصار إمامها وحظيها وقاضيها . وبعد ذلك بقيت هذه الوليفة في نسله طبقة بعد طبقة . فو لم يكونوا على أحلال فاضلة . ويعوم صبيه ، لما احتسبوا بهذه المراتلة حتى صارت عائنتهم تعرف بعائلة المشايخ .

وكذلك لما هجر أبو المترجم ناحية برنبال . ونزل بقرية سماعة . احتفظ بمرّة لنس . ومن أهل تلك القرية مكانة متميزة ، أدركها بعلمه وفصله ، وإياك لتتبع عرة نفسه من كونه

بقى صبراً على اعتقال ابنه . وذهب إلى منيا التمح . حيث كان عزيز مصر (محمد على باشا) ، ورفع إليه سلامته ، وشكا إليه ما حاق بابنه من السجن . فالتكوى من الظلم ، والاستصراخ إلى رب الأمر من الأمور التي تحتاج (في ذلك العصر) إلى شيء من الجرأة والشجاعة ، فكم من المضالم كانت ترتكب ويستسلم لها المظلومون . وإذا حدثتهم أنفسهم بالشكوى منها . فقاموا تخفيم الشجاعة إلى إبلاغها لا كبير رأس في الحكومة .

تأغلب الظن أن المترجم قد اقتبس من أبيه تلك النفس العزيزة . وهذا فضل يجب أن سجد له لوالد المترجم ، الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم الراجي .

نشأته الثانية في المدارس النظامية

بن طلوح نفس المترجم إلى المعالي هو الذي سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند عنبر افندي أخذ يسأل فرائض المأمور عن أخبار سيده . وأسباب بلوغه هذا المركز الممتاز في الحكومة . وكان يدهشه أن عنبر افندي ، وهو أسود حبشي . يصل إلى هذا المنصب . حين كان يعتقد « أن الحكم لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ما حرت به العادة في تلك الأزمان » فلم من الفرائض عن سبب ارتقائه أنه كان مشترى سيده من دوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة قصر العيني . إحدى المدارس النظامية التي أنشأها محمد علي باشا . فتعلم فيها وتخرج منها . وصار أهلاً لمركز الذي يشغله . وعلم أن الحكم يؤخذون من خريجي هذه المدارس .

فما أستمع المترجم لهذا الحديث . مالت نفسه إلى دخول تلك المدارس . ليصل إلى ما وصل إليه عنبر افندي ، وأخذ من تلقاء نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية . وسأل الراش : هل يدخلها أحد من « الفلاحين » ؟ فقال يدخلها « صاحب الواسطة » . فتعلمت نفسه . لسمي لدخولها ، واعتزم ترك العمل الذي كان يشتغل به . والذهاب إلى مصر ليلتحق بمدرسة قصر العيني .

دخوله مدرسة ميت العز

وما هو أن خالجه هذا العزم حتى صمم على إقامته . دون أن يكشف أحداً . فطلب الإذن من رئيسه بأجازة يقضيها في زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً . وسافر إلى وجهته .

وفيم هو يسير في طريقه مر بقرية (بني عباس (١)) والتقى نخبة من الأطفال يتبعون رجلاً حياً ، وكل منهم يحمل دواة وقلماً ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالتهم ، فأداهم تلاميذ مكتب ميت العز ، أحد المكاتب التي أسسها محمد علي باشا . وكان ذلك فضلاً حسناً للمترجم ،

(١) مركزها الآن ، قبلي امي كبير بشرق .

كما يقول عن نفسه ، إذ أنه حين اجتمع بالأطفال ورأى الخياط خطه أجود من خطونه ،
 رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأفهمه أن نجباء المكاتب ينتقلون إلى المدارس بلا
 واسطة ، فابتهج المترجم لهذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التي ينشدها ، ولم يكن أحب ر
 نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس ، ويتجاز تلك العقبة التي أشار إليها فرائش المأمور
 في حديثه له وهي « الواسطة » لدخول المدارس . ورأى أن الاجتهاد في المكتب سيفيه
 عن تلك الواسطة التي قد لا يجدها .

دخل المترجم مكتب ميت العز ، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول ابنه المكتب
 لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ، ولكنه رأى منه إصراراً على الالتحاق به . فبني
 بالمكتب خمسة عشر يوماً ، وُرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى في إرجاعه عن عزمه فأبى .
 فلجأ إلى حيلة ينترعه بها من المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن ينتهز الفرصة في خروج ابنه
 إلى الفسحة وقت الظهر ، فاختطفه وعاد به قسراً إلى بلده ، وحبسه في البيت عشرة أيام .
 وأخذت أمه تبكي وتستعطفه ليرجع عن عزمه ، كما يبقى بينهم ولا يفارقهم . فوعدها بالبقاء ،
 ولكنه أسر في نفسه أن يقتنم أقرب فرصة لمراق أهله وذويه ، ويرحل في طلب العلم . وانتظر
 حتى اطمانوا إلى عدوله عن فكرته ، ولما كانت إحدى الليالي تربص حتى ناموا جميعاً ، وأخذ
 دوائه ودوائه ، وخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه للقاء ميت العز . وكان ذلك كما يقول
 المترجم ، آخر عهده بسكناء بين أبيه ، وكانت ليلة مقمرة . فثنى حتى بلغ ميت العز ضحى الغد
 ولم يشعر الناظر بمجيئه إلا وهو داخل المكتب مع زملائه التلاميذ ، وكانما حشى أن يحيى أبوه
 ويحتال على اختطافه ثانية ، فزعم المكتب لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً ، وجاء أبوه غير مرة ليقننه
 بالعدول عن عزمه ، وليأخذه بالحسن ، فلم ينصح به سماعاً ، واستمر الغلام ملازماً للمكتب مكباً
 على الدرس والتحصيل .

انتقاله إلى مدرسة قصر العيني

بقى المترجم في مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة (عصمت افندي) لاختيار نخبه
 التلاميذ من المكتب المذكور ليلتحقوا بمدرسة قصر العيني ، فكان التلميذ على مبارك من وقع
 عليهم الاختيار . فجاء أبوه يحاول من جديد صرفه عن الذهاب إلى المدرسة ، وشكا أمره إلى
 عصمت افندي ، فأحاله على ابنه ، وقال إن الخيار له ، غير أنه بين العودة وأبيه أو الالتحاق
 بالمدارس ، فاختار المدارس ، فبكى والده بكاء كثيراً ، وأغرى به جماعة من المعلمين ليشتميه .
 فلم يصغ لهم ، ودخل مدرسة قصر العيني سنة ١٨٣٦ ، وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره .
 وهنا تبدو ظاهرة جديدة في شخصية المترجم ، إلى جانب ما ذكرناه عن عزة نفسه ، وطموحه

بن المعالي . وهي ميله القفري الى العلم ، وشغفه بالارتواء من منهله العذب ، وما فطر عليه من قوة الارادة ، ومضاء العزيمة .

فانظر إلى مبلغ حبه للعلم والتعلم ، تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدارس ، رغم إرادة والديه ، وليس من المؤلف بين الأطفال والشبان أن يقبلوا على العلم بوازع من أنفسهم ، بل أبواهم الذين يسموهم إلى دخول المدارس ، ويرغبونهم بمختلف الوسائل في متابعة الدروس . وكثيراً ما يتعب الآباء في ترغيب أبنائهم بإلاف المدرسة والأقبال عليها .

فالغلام الذي يتعلق بدخول المدرس رغم إرادة أبويه ، ويستهدف لغضبهما في هذا السبيل . لا بد أن يكون قد ركب في نفسه شغف شديد بالعلم والتعليم .

وتجني أيضاً قوة عزمة المترجم في تصميمه دخول المدارس ، رغم تلك العقبات التي اعترضته . فمن عصاب والديه ، إلى بعد الشقة ، ووعورة الطريق ، إلى قلة ذات يده ، إلى صغرسنه . إلى المغامرة بنفسه في حياة يجهلها ولا يعرف مصيرها ؛ كل ذلك يدل على حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الارادة . فغزة النفس ، والطموح إلى المعالي ، وحب العلم ، وقوة الارادة ، هذه هي الصفات التي نالنا بها شخصية علي مبارك ، وهو بعد في سن الطفولة والمراهقة .

وسنرى كيف لازمته هذه الصفات في كل أدوار حياته ، فكان لها ذلك الأثر العظيم في أعماله .

التعليم في مدرسة قصر العيني

لم تكن مدرسة الطب قد نقلت بعد إلى قصر العيني حينما جاء مصر علي مبارك ، بل كانت لم تزال بأبي زعبل ، أما المدرسة التي كانت بقصر العيني وقتئذ (سنة ١٨٣٦) فهي مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية .

وصف المترجم التعليم في تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه أنه لم يكن على درجة حسنة من تقدم ، لا من جهة مستوى التعليم في ذاته ، ولا من جهة معاملة التلاميذ ، فقد ذكر أنه وحده المدارس على خلاف ما كان يظن ، وأن مدرسيها ورؤساءها كانوا لا يحسنون فهم وظائفهم ، ولا يمتنون بالتلاميذ ، وكان التعليم العسكري موضع العناية فيها ، فيتمرن الطلبة على الحركات الحربية في معظم الأوقات : في الصباح ، والظهر ، وبعد الأكل ، وفي أوقات النوم ، والضرب وأنواع الإيذاء من الأمور المألوفة في التعليم ، وكذلك قلة العناية بما كل التلاميذ ومساكنهم ، فكانت مفروشاتهم حصر الحلفاء ، وأحرمة الصوف الغليظ من صنع معمل بولاق ، ولم يكن الأكل الجارى للتلاميذ سائفاً فكان علي مبارك يستمض عنه بالجين والزيتون .

وقد اعتراه في المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والهموم وتغيير الطقس ، فنقل إلى مستشفى المدرسة ، ولقي في مرضه الشدائد والآلام ، ولحقه الجوع بالمستشفى ؛ وفيما كان

على فرائض المرض، جاء أبوه إلى قصر العيني، واتصل به بواسطة أحد الممرضين، ورغب إليه أن يعود معه إلى بلده، فالتفت نفسه لاجابته، وهم بترك المدارس لما لقيه فيها من التعب والنصب، ولعدم وجدانه التعليم الذي ينشده، ولكنه خشي عواقب الهرب من المدرسة، إذ كانت الحكومة تتبع الهاربين من التلاميذ وتعتقل أهلهم، وتسيء معاملتهم. خشي أن ينال أباه من عنت الحكومة ما لا يرضاه له، فامتنع عن الهرب، فعاود أبوه الكرة يستميله، ويهون عليه الأمر، فأبى واعتزم «الصبر على قضاء الله»، ولما شفى انتقل من المستشفى إلى المدرسة واستأنف الدرس ولم يصب بمرض بعد ذلك أثناء دراسته.

انتقاله إلى مدرسة أبي زعبل

ولما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العيني سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ مدرسة القصر إلى أبي زعبل، فانتقل إليها المترجم كسائر تلاميذ المدرسة.

وقد شعر بتقدم مستوى التعليم في مدرسة أبي زعبل، وينسب المترجم هذا التقدم إلى كفاءة ناظر المدرسة، المرحوم إبراهيم بك رافت، وحسن عنايته بتعليم الفروع، وما ذكره في هذا الصدد أنه في بداءة عهده كان يجد صعوبة كبيرة في تفهم فنون الهندسة والحساب والنحو، وكان يراها كالظلام، ويرى كلام المدرسين فيها كالسحر، ولكن إبراهيم بك رافت أوضح للتلاميذ معاني الهندسة وقواعدها بأسلوب سهل تقبله عقولهم، فانفتح لحسن بيانه ذهن المترجم، وبدأ يمتدح ما يسمع من الدروس.

ولفت نجاح التلميذ على مبارك نظر رافت بك، فصار يضرب به المثل. ويتحدث نجاحه على يديه دليلاً على تأثير أساليب المدرس في تنقيف أذهان التلاميذ.

وفي سنة ١٨٣٩ احتار ولادة الأمور نجاحاً بمدرسة أبي زعبل. لأخاقهم بمدرسة المهندسخانة ببولاق، فكان على مبارك ضمن هؤلاء.

عبد الرحمن الرافعي

(يتبع)

في الجزء المقبل

يتناول الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك، الكلام على دخول على مبارك مدرسة المهندسخانة، وانتظامه في سلك البعثات، ثم التحاقه بمدرسة متر الحربية، فعمله في عهد عباس، ثم تعيينه مدرساً في مدرسة طره الحربية، والتحاقه بمعمية عباس باشا، ونظاراته للمهندسخانة.

عبرة من التاريخ كلمات تذهب بملك آل صفرة

للمؤرخ الكبير : الشيخ عبد الوهاب النجار

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

- ٤ -

تأتى الرياح بما لا يشتهي السفن : كان حميد بن المهلب وهو داهب إلى البصرة مقتبلاً بما أتى رجياً حمد مغيبة سراه ، ذير حاسب لما أتى به الأقدار من إحباط مسعاه حساباً ، فجاءه من الشر ما لم يحتسب ، وتقطعت به الأسباب في كلمتين :

ذلك أن الوفد - وفد الأمان - لقي في طريقه المظيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، يريد الشام فاراً من يزيد ، فسأل حاله وأمره سرّاً من حميد ، وقال لها : ما تريدان ؟ فأخبراه بأمان يزيد بن المهلب ، فقال : إن يزيد قد ظهر على البصرة وقتل القتل وحبس عدياً بن رطاة أميرها فارجماً .

ما كان من حق خالد وعمرو أن يرجعا في حافرتيها لجرد ذلك الخبر ، بل كان عليها أن يبلغا يريد كتاب الأمان وينظرا ما يرد به عليهما ، ولكهما قتلاً راجمين ، وأخذاً حميداً ممهاً ، ولم يجد استعطاف حميد لها ، إذ قال لها :

« أنشدك الله أن تخالفا ما بعث به - فإن اس المهلب قبل منك ، وإن هذا وأهل بيته لنا أعداء ، فلا تسمع مقاتلته » فلم يصفيا إليه ورجعا به إلى يزيد ، وهنا تبدأ مصيبة آل المهلب .

في الكوفة : قام عبد الحميد بن عبد الرحمن وإلى الكوفة - حين ترامت إليه أخبار يزيد - فوثق خالد بن يزيد ، وعبد الملك بن زحر ، ولم يكونا في شيء من أمر يزيد ، ولم يغمسا في الفتنة بدءاً ، وبعث بهما إلى الشام فلم يفارقا السجن حتى هلكا فيه .

الجند من يزيد بن عبد الملك : حينئذ شمر يزيد بن عبد الملك عن ساعده ، وأعد جيشاً للملازمة يزيد بن المهلب بالعراق ، وقوامه سبعون أو ثمانون ألف مقاتل ، فثداه مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وأرسل بالأموال تفرق في أهل الكوفة .

فرجع بالكلام إلى يزيد بن المهلب بالبصرة ، فقد اتسق له الأمر ونفذت كلمته فيهم ، وقرق عمله في الأهواز وفارس وكرمان ، وبعث أخاه مدركا إلى خراسان فصرفه من بها من قومه من زدشومة قائلين : « إنك أحب الناس إلينا وقد خرج أخوك ، فإن يظهر فأنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وأحقهم بذلك ، وإن تكن الأخرى فالك في أن نفشيننا البلاء راحة » فانصرف عنهم .

جمع يزيد الجنود : لما علم يزيد بن المهلب أن جيوش الشام على قدم المسير إليه والالتقاء به جمع أهل البصرة وخطبهم وأحبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الديلم ، ثم أخذ يشجع جندهم ويحز المالك منهم ، ويهون عليهم شأن أهل الشام ويحقر مسلمة ويقول من بعض خطبه :

« قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون : جاء أهل الشام ومسلمة ، وما أهل الشام ؟ هل إلا تسعة أسياف ، سبعة منها لي ، وسيفان على ؟ وماه سمة إلا جرادة صفراء ، تأكم في برايه وجرامقته وجرأجه وأنباط وأبناء فلاحين ونباش وأحلاط : أو ليسوا بشراً يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ؟ »

المعارضون ليزيد بن المهلب من أهل البصرة : لم يرتفع صوت بمعارضة يزيد بن المهلب سوى صوت الحسن البصري التابعي الشهير ، لاحقاً في بني أمية ، فقد كانوا عنده فتنة ثمة ، ولكنه كان رجلاً يكره الفتن ولا يرى من ورائها خيراً ، وقد رأى فتنة الجمل وأثرها في البصرة ، وقتل الحسين وما أحدث ، وفتنة ابن الزبير وما جلبت على مكة وأهلها والبيت والمسلمين من الضرر ، ووقعة الحرة وسوء أثرها ، ووقائع الخوارج وما أحدثت من الرعب والخوف في قلوب المسلمين ، فهو يكره هذه الأمور ويرى أن قيام يزيد لم يكن في باطن الأمر لأحقاق حق ولا لأبطال باطل .

روى ابن الأثير أن الحسن البصري كان يسمع خطبة يزيد فرفع صوته قائلاً : لقد رأيتك والياً ومولياً عليك فما ينبغي لك ذلك ، يريد أننا رأيناك راضياً بسلطان بني أمية وأنت رعية مسوس . كما رأيناك راضياً به وأنت وال والحال لم تتغير ، فلا ينبغي لك أن تحدث الفتنة لهواك . أما يزيد بن المهلب فاحتملها لحسن ولم يشأ أن يحدث صدعاً في صفوف من اجتمعوا له متحاجة الحسن أو إيصال الأذى إليه . وأما أصحاب الحسن فأشفقوا عليه أن يحسه يزيد بأذى فأخذوا بفعه ثم خرجوا به من المسجد .

كان على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك خادم رسول الله ، وكان ممن يحطب في حيز يزيد بن المهلب يقول : يا عباد الله ! ماذا تنقمون من أن تحيىوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟ فوالله ما رأينا ذلك منذ ولوا علينا إلا أيام عمر بن عبد العزيز . فقال الحسن : والنضر أيضاً قد شهد ؟

وقد مر الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد ويقولون : يدعو إلى سنة العمرين ؟ فلم يطق الحسن البصري صبراً ، فقال : كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم ، فلما غضب نصب قصباً ثم وضع

عليها حرقاً ثم قال : إني خالفتهم غفلتهم ، فقال هؤلاء نعم . ثم قال : إني أدعوهم إلى سنة العمرين ، وإن من سنة العمرين أن يوضع في رجله قيد ثم يرد إلى شئبه .

أبى الحسن بعض أصحابه وقالوا له : لكأنت راض عن أهل الشام . فقال : أنا راض عن أهل الشام ؟ قبضهم الله وبرحهم ؛ ليس هم الذين أحوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتون أهله ثلاثة ؟ قد أباحوها لأنباطهم وأقباطهم يخون الحرائر دوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ، ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة ووقدوا الناريين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار .

ومن الأمور التي وقعت للحسن البصري ، وكان دائم التشييط عن يزيد بن المهلب . وكان يزيد قد رحف بالجيوش للقاء جيوش الشام وخلف أخاه مروان بن المهلب والياً على البصرة ؛ فبلغ مروان ما يقوله الحسن البصري .

ثم في الناس فقال : بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي (ولم يسمه) يثبط الناس ، والله لو أن حاره نزع من خص داره قصبة لظل يعرف أنه ، وإيم الله ليكنم عن ذكر ما وعن جمعه إليه سقاط الآفة وعلوج فرات البصرة ، ولا تخين عليه مريداً حشاً .

بلغ ذلك من قوله الحسن ، فقال : والله ليكرمني الله بهوانه . فقال باس من أصحابه : والله لو أرادك ثم شئت لمنعناك . فقال لهم : فقد خالفتكم إداك إلى ما نهيتكم عنه : آمرم أن لا يقتل بعضهم بعضاً مع غيري ، وأمرم أن يقتل بعضهم بعضاً دوني ؟

بلغ قول أصحاب الحسن مروان ، فاشتد عليهم وطلبهم ففترقوا وكف عن الحسن .
وقتل ابن خلكان أن الحسن البصري قال يوماً في مجلسه : يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين ، غير برهة من دهره ، ينهك الله في هؤلاء كل حرمة ، ويركب له فيهم كل مصيبة . ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا ، حتى إذا منعوه لما نهوا كان يتمظها . قال : أنا الله غصبان فأغضبوا ، ونصب قصباً عليها خرق وتبعه رحا راحة رعاء هباء ، ما لهم فئدة ، وقال دعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز ؛ لا وإني من سنة عمر أن توضع رجلاه في قيد ، ثم يوضع حيث وضعه عمر . فقال له رجب : أعذر أهل الشام يا باسعيد ؟ - يعني بني أمية - فقال : أنا أعذرهم ؟ لا أعذرهم الله - والله لقد حدث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم إني قد حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة ؛ فدخلها أهل الشام ثلاثة لا يفلق لها باب إلا أحرق بما فيه ؛ حتى أن الأقباط والأنباط ليدخون على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤسهن وحلائلهن من أرجلهن يسوهم على عواقبهم وكتاب الله تحت أرجلهم . أنا قتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الأمر ؛ والله لو ددت أن الأرض أخذتها خسفاً جميعاً .

فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأثنى الحسن هو وبعض بني عمه إلى حلقته في المسجد متكررين

فسلموا عليه ثم خلوا به وصار الناس ينظرون إليهم ، فلاحاه يزيد ، فدخل في ملاحاتها ابن عم
يزيد ، فقال له الحسن : فما أنت وذاك يا ابن اللخناء ، فاختلط سيفه ليضربه به ، فقال يزيد ما تصنع ؟
قال قتله ، فقال له يزيد : أحمده سيفك ، فوالله لو فعلت ذلك لا قلب من معنا علينا .

استشارة يزيد بن المهلب رؤساء جنده : لما تهايب يزيد بن المهلب للمسير إلى واسط واستشار
جند الشام ، جمع رؤساء جنده واجل الرى معهم فيما يفعل .

كان رى حبيب بن المهلب وغيره أن قالوا : الرى أن تخرج وتزل بفارس ، فتأخذ بالشباب
والعقاب ، وندنو من حراسان ، ونطاول أهل الشام . فان أهل الجبال يأتون إليك وفي يدك القلاع
والحصون ، فقال يزيد : ليس هذا برى . أتريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل ؟ فقال حبيب :
إن أرى الذى كان ينبغي أن يكون أول الأمر قد فات ، قد مرتك حيث ظهرت على البصرة .
أن توجه خيلاً عليها بمصر هلك إلى الكوفة . وإنما بها عبد الحميد مرت به فى سبعين رجلاً
فمحز عنك . فهو عن حيلك عجز ، فسبق إليها أهل الشام ، وكثر أهلها يرون رأيك . ولأننى
عليهم أحب إليهم من زبني عليهم أهل الشام فلم تقضى . وأنا أشير الآن برى : سرح مع
بعض هلك خيلاً كثيرة من خيلك فتأتى الجزيرة ويسيروا إليها حتى يزلوا حصاناً من حصونهم
وتسير فى إثرهم . فإذا قبل أهل الشام يريدونك لم يدعهم جندك بالجزيرة يقبلون إليك
فيقيموا عليهم . فيحبسوه عنك حتى تأتيتهم ويأتيت من بالموصل من قومك (زد الموصل)
وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم فى أرض رحيصة اسعر . وقد جعلت
العراق كله وراء ظهرك . قال : أكره أن أقطع جيشي .

خرج يزيد بن المهلب إلى واسط . وبعد أن راح بها مدة خرج عنها وترك ابنه داوود
ومعه بيت المال والأسرى ، وبعث بجيشه الكوفة ونزل موضعاً يقال له (المقر) وقدمه عند
الملك نحو الكوفة فى جند . فالتقى بجيش العباس بن الوليد فاصطدم الجيشان وانتهى الأمر
بهزيمة جيش عبد الملك .

قواد الجيوش : كان قواد الجيش عند يزيد بن المهلب :

- (١) عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي : على أهل الكوفة وأهل المدينة .
- (٢) أسد بن النعمان بن إبراهيم بن الأشتر : على مدحج وأسد .
- (٣) محمد بن اسحق بن الأشعث : على كندة وريقة .
- (٤) حفظة بن عتاب بن ورقاء التميمي : على تميم وحمدان .
- (٥) الفضل بن المهلب : القائد العام للميدان .

وقد علمنا أن جند الشام كانوا جيشين : أحدهما مع مسامة ، والآخر مع العباس بن الوليد .
فأما جيش مسامة فقواده :

(١) جبلة بن مخرمة السكندی على الميمنة.

(٢) الهذيل بن زفر بن الحارث الكلبي: على الميسرة .

(٣) مسلمة بن عبد الملك: القائد العام للميدان.
وأما جيش العباس ففیه:

(١) سيف بن هانيء الحمداني: على الميمنة.

(٢) سويد بن القعقاع التميمي: على الميسرة.

(٣) مسلمة بن عبد الملك: القائد العام للميدان.

وقد عي كل أمير جيشه تميمية الحرب.

وقد ترأس يزيد بن المهلب ومسلمة فقال يزيد بن المهلب إنه يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة العمرين، فأظهر له مسلمة في الرد أنه قابل لكل ما شرط راض به، ولم يكن ذلك من مسلمة إلا دهاء ومكر حتى إذا استناموا إلى ذلك غدر بهم.

استشارة ابن المهلب أصحابه: استشار يزيد بن المهلب أصحابه في أنه يريد أن يبيت مسلمة وحيشه بأن يبعث اثني عشر ألفاً مع أخيه محمد بن المهلب معهم الأكف والبراذع ليلتقوها في الخندق المتحصن به جيش مسلمة ويحده بالرجال حتى إذا أصبح لحق به في بيضة الجند، وأنه يرجو النصر بهذا التدبير.

وكان في الرؤساء والبارزين من الناس في جيش يزيد قد كانوا على مثل ما كان نظراؤهم في جيش علي بن أبي طالب، ليس لهم تدبير ولا مكر ولا رأي أريب، فأنبرى له السميذع من وجوه أصحابه وقال له: إنا قد دعونا القوم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وأجابونا بأنهم قابلون ذلك منا، فلا ينبغي لنا أن نفدر بهم أو نمكر حتى يردوا علينا، وقال رؤبة رئيس الطائفة المرجئة وأصحابه، صدق: هكذا ينبغي.

رد عليهم يزيد قائلا: ويحكم! أتصدقون بني أمية؟ إنهم يعملون بكتاب الله وسنة رسوله وقد صيغوا ذلك منذ كانوا؟ إنهم يخادعونكم ليكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، إني قد لقيت بني مروان فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدراً من هذه الجرادة الصفراء (يعني مسلمة) فكان جوابهم: لا تفعل حتى يردوا علينا الذي قالوا.

هكذا غلب يزيد بن المهلب على رؤبه وفسد أصحابه عليه تدبيره. كما غلب علي بن أبي طالب على رأيه يوم رفع المصاحف.

عبد الوهاب النجار

(يتلى)

حياتنا الادبية

بقلم الدكتور زكي مبارك

كتب الأستاذ الدكتور طه حسين كلمة في (الدنيا المصورة) تحدث فيها عن الحياة الأدبية في مصر، وأعلن شكه في قيمة الأدب الحديث؛ وفي تلك الكلمة حواسب تستحق النقد. لذلك رأينا أن نناقشها مناقشة هادئة غاضية النظر عن بعض المؤاخذات التي واجهناه بها في محادثة خاصة؛ ونقدم كلمتنا هذه بملاحظة صغيرة عن رأيه في اهتمام رجال الأدب عندنا بما يكتبه عنهم المستشرقون، وتحصر هذه الملاحظة في التأمين على ما كتبه الدكتور طه في هذا الصدد، لأن الدكتور طه نفسه لم يسلم من الحرص على التعلق بما يكتبه عند المستشرقين، وكل ما في الأمر أنه تجاوز ما يكتب عنه، ثم تعلق بما يكتب عن الأدب العربي في مجلته، فأعلن حرصه على تدوين ملاحظات المستر (جيب) عن الأدب الحديث؛ وملاحظات المستر (جيب) هذه صارت عند الدكتور طه قرآناً لا ينبغي العدول عنه عند تقدير الأدب الجديد.

فما هي ملاحظات المستر (جيب) التي أبني عليها حكم الدكتور طه على حياتنا الأدبية؟ هي ملاحظات بسيطة لا تخرج عن أن الرجل ينتظر ظهور القصة في الآداب العربية اصدق الله العظيم!

الأدب العربي الحديث رهين بظهور القصة. فمن لم تظهر تلك العروس الغالية فلا أدب عندنا ولا أدباء!

وفي تقص هذا اليوم - يوم الدكتور طه والمستر (جيب) - أكتب هذا المقال. لا ينبغي مطلقاً أن نحصر على ظهور القصة في الأدب الحديث، لأن لذلك الحرص نتائج مشتومة يسرها أن تغلب على أدبنا صبغة «الافتعال» والافتعال عدو المظرة. وهو شر مستطير على الآداب والفنون.

إن القصة لن توجد في الأدب العربي إلا إذا وجدت المرأة، ولن يكون لكتابنا قصص ماداموا لا يرون المرأة في حرية وصراحة، ولا يتأثرون بعبورتها في ميدان الحياة؛ ولا أمل في أن نرى لكاتب قصة جيدة، مادام الكتاب بعيدين كل البعد عن المرأة التي تون الوجود بشقي الألوان، فتحيله تارة جحياً يرمى بالفرع والهول، ثم تعيده حين تشاء جنة وارفة الظلال.

القصة في جميع الآداب موقوفة على ظهور المرأة، وهي لا توجد في أدبنا لأننا لا نعرف

المرأة في حياتنا ، وقد تحدثت بهذا مرة أمام جماعة من الشبان المفتونين بالقصة فقال قائل مهم : « نفترض وجود المرأة » ، ومعنى هذا في نفس ذلك الشاب أنه لا مانع من افتراض وجود المرأة في سياق القصة إن كان وجودها من الحتم في وضع القصص .

واقترح ذلك الشاب هو بعينه ما سمي « الافتعال » ، فليس يكفي أن نفترض وجود المرأة ، وإنما يجب لشكون قصصيين أن تكون المرأة بين أيدينا . وفي أوهامنا وأحلامنا ونظنوننا لساجلها لصدق والرياء . والمكر والخداع . والغدر والوفاء ؛ ولا عرة بما يتاح لأحدنا من غرام ست حالته أو بنت عمته ، وما يقدر لنا أحياناً من هفوات الحارات والشوارع والأسواق ، من رحل لا يفهم المرأة بنظرة محتلمة ، ولا يدرك أسرارها باللفظ المختلوف . وإنما يفهمها وتهمه في زمان طوال ، وتلك الأزمان هي خيرة القصة عند من يفهمون !

وقد يكون حيراً من هذا كله أن نسأل هذا السؤال : « من الذي ينتظر ظهور القصة ؟ » الجواب حاضر : ينتظر هذه القصة أحد رجلين : مستشرق يريد أن يزن الآداب العربية عبران الآداب الغربية ، وشرقي مفتون بالتقليد يريد أن نساير الأجانب في كل شيء .

ومن عجيب الأمر أن نجد القصصيين عندما في الطبقة الدنيا بين أدباء اللغة العربية ، ولتدري أن يعدده واحداً واحداً ، فيسرى أنه من المأدر أن يكون من بينهم من ظهر بثقافة أدبية وفيه تبيح له أن يكون ذا رأى خاص أو أسلوب طريف ، وهم جميعاً عالة على الآداب الأجنبية . يستوحونها بلا فهم ولا تبصر وينتقون عنها نقلاً سخيلاً مشوهاً يجرح الأدواق والنفوس .

وقد أتيت لبعض أولئك الأدعياء أن يزور ما سماه قصصاً مصرية . ثم ألح على في لؤم وفي فصول أن أقرض قصصه في (البلاغ) . وظل يكتنئ برسائل لا تنجو أصحها من عشرين غلفة بين نخوة وإملائية . فما كتبت ملاحظات على قصصه في رفق وعطف ، غضب واستشرى وراح يملن أنني أحسده على فنه الجميل !

لا تنتار القصة شر محقق وهو إغراء الشبان على أن يفهموا أن الأدب إما أن يكون قصصاً وإما أن لا يكون ، وعلى ذلك تخف في وزنهم قيمة الفنون الأدبية ، التي لم يتح لها أن تطبع بذلك الطابع السخيف ، طابع الألوان المحلية المبرقشة التي صارت في وهمهم شارة الاحادة والابداع .

وقد سرى هذا الشر إلى إدارات الصحف ، وصار من اليسير على أي شاب أن يدخل في أفصوصه بعض الأسماء البلدية : كالحاج مشحوت والحاجة عيوشة ليقال إنه أتى بأدب جديد . وقد آن أن تهم هذا الجمهور الغافل أن الأدب لا يكون أدباً ، إلا إذا صدر عن صاحبه كما تصدر الزفرة عن فؤاد المصدور . والدمنة عن عين المحزون ؛ فلكاتب أن يعبر عن فهمه للحياة

بالرسالة أو القصيدة أو القصة على شريطة أن يكون صادقاً فيما يكتب ، فلا يكون أدبه لهواً ولا زوراً ولا احتلاقاً ولا افتعالاً ، ويومئذ يكون عندنا أدب وأدباء ، أما أن نحمل طبائعنا لا تطيق طاعة لمستر (جيب) فتلك إمارة الخيال . وبعد فهل تريدون الحق أيها الناس ؟

استمعوها كلمة تتردد بين الجد والمزاح ، ثم انظروا كيف تتحكمون !

من الخطأ أن يقاس أدبنا على أدب الانجليز أو الفرنسيين أو الألمان ، وإنما يقاس الأدب على مزاج الأمم التي يصدر عنها ، وملاك الأمر في ذلك كله أن يعبر الأدب عن عقول أهله وأحلامهم وشهواتهم ، وما يجري في خواطرهم من نزع وطيش ، ويتضاءل في أذهانهم من خطأ وصواب ، ويتناحر في سرائرهم من كفر وإيمان . وأريد بذلك أن يشغلنا الأدب بأنفسنا فيصور جهلنا وحلمنا ، وضلالنا وهدانا ، وغينا ورشدنا ، بحيث نجد لأنفسنا صورتين : أولاهم في الضمائر ، وآخرها فوق بياض القراطيس .

هذا هو الأدب إن كان عند الدكتور طه أو المستر (جيب) شوق إلى الاطلاع على رأى في

فهم الأدب جديد !

فإن صح هذا الذي أقوله ، فإن حياتنا الأدبية لا تفرى بالتشاؤم كما يتوهم بعض الناس ، فإن أدبنا في الصحف والمجلات عن طرائق القصائد والمقطوعات والرسائل والمقالات يصور جوانب كثيرة من أزماتنا العقلية والروحية والوجدانية ، ولولا رقابة الحكومة من جانب ورقابة الجامدين من جانب آخر ، لكادت لنا جولات في دراسة المواطن والمشاعر والأهواء والآحاسيس والآراء والمعتقدات والأوهام والظنون ، لا تقل في خطرهما عن جولات المفكرين في الأقطار الأوروبية والأمريكية... ولكن أين نتنفس وقد حبستنا التقاليد في أقفاص من حديد ؟ ومع هذا ، فنحن أحفاد العرب وأسباطهم ، ومن واجبنا أن ننظر إلى ماضيهم حين نكر في حاضرنا ، وقد كان العرب تكفيهم السمحة والاشارة في أشعارهم ورسائلهم حتى عرفوا بين الأمم بقوة الایجاز ، وقد تطورنا بالفعل فاتقلنا من الأدب الذي كان يكتب بالأسجاع والأمثال والتفقرات والرسائل القصيرة والمقطوعات الصغيرة إلى الأدب الذي نراه اليوم ، أدب المقالة أو الرسائل المطولة ، فلا تنتظروا أن تتحول فجأة ، فنقتصر الأدب على القصص الطويل رغبة في محاكاة الأجانب من غربيين وشرقيين .

حنفوا من تحاملكم قليلاً أيها المتأدبون واحكموا منصفين . فإن فعلتم فإن واثق من أن مجموعة قدبة كجموعة رهر الآداب أو العقد المريد قد تكون في حكمكم - حين تنصفون - أغنى وأدلى عن نفوس أصحابها وعقولهم من الثروة الجوفاء التي رميم بها في وجه الأدب الحديث .

والخلاصة : لنا نريد أدباً يمثلنا نحن . فيصور نفوسنا وعقولنا وقلوبنا ، ويصور كذبت طرائقنا المعرفية في عرس ما نشعر ويدرك ونعتل في عالم الفكر والخيال . ركن مبارك

بركان الش ————— رقص الاقصى

كما يصوره أهد الصينيين

شدة الحرب — أطاع اليابان — جبهة متحدة — المسهون المارون — نظرات إلى المستقبل

تعرف الي (المعرفة) الاستاذ محمد ابراهيم شاه كوجين رئيس البعثة الصينية في الازهر ، فالتزنا الفرصة للتحدث معه عن وجهة النظر الصينية في كفاحها مع اليابان فأفصح عن قلبه في :

الحروب الأهلية : ليس كالصين أمة في الارض لقيت من أضرار الحروب الأهلية ما يمكن هـ أن تكون سبابة في هذا الضرب من ضروب الكفاح الويل .

إن القادة الذين تجتمع إليهم أشقات الدوافع لا يعنهم إلا أن يرتفعوا إلى سارية الحكم ووج السيادة . وكثيراً ما تناولوا الحرب كأسبوبي في بالقيعة الحاسمة والهيبة التي يملون . ومن ذلك ترى أن الصين لا تخبو منها شعله النار .

ولقد أدركت اليابان هذه الحقيقة المؤلمة فأخذت تتربص وتتهيا . وحذت تحفز للقضاء على حربها ، ورت في هذه « الحروب الأهلية » باعثاً لها على تعديل هذه الضربة التي شاعت أن تقوض بها أمة عظيمة .

الوثبة الأولى : كانت مفاجئة لا يذيرها ولا لون ولا مذاق . فإن الجنود اليابانية قد سبقت إلى منشوريا طيرة واحدة ، بينما كانت السنين لم تتأهب . لأن جنودها في عمرة الكفاح بعضهم تحاه بعض . ولم تحدد اليابان ما يعوقها عن التقدم بدءاً ، فأسابت كالسيل تكتسح هذا الجانب من جوانب الصين حتى قدر لها أن تبلغ منه إربتها .

جبهة متحدة : على أن الصينيين قد أدركوا مفى هذه المفاجأة من سر خيرة . وفكرة مكبوتة . ورأى دفين . أدركوا أن العاصفة تريد أن تحصد جميعاً . ون تكتسحهم دون أن تسأل عن هويتهم وأحلامهم ومآلهم ... أدركوا كل ذلك فاداً برمائهم قد انقلبت من صدورهم الآخر . والعديد من قوسهم الحائض وحبقت في قلوبهم شعله الخقد . وإذا بنا نرى آخر الأمر أن الحملة الصينية في مجالدة العدو الآلة قد جمعت بين المتناقضين ولت بين الأعداء .

وما من ريب في أن هذا كسب له أثره . وله خطره : لأن الصين قد علمتها هذه الحرب الفاحشة كيف تكون ما كثر اتصاهن وكيف يكون نتائج الاتحاد .

قوة الصين : لقد تروعت الأنبياء التي تتعاقب بها جوايب العالم ، ففيها كل يوم حدث جديد يدل على أن اليابان تكتسح الصين في شيء من السهولة ، وكثير من السرعة . ولكنني

أو كد لك بأن النصر سيكون في النهاية حليفنا ... قد لا تصدق هذه الحقيقة ، على أنها جماع الصواب ، فإن في الصين قوة لا تهدأ وجنوداً لا يغلبون؛ وكيف كان ذلك؟ كان ذلك لأن رجالها قد نشأوا من طورهم الأول وكل واحد منهم يعتقد في نفسه أنه خلق ليكون (تحت السلاح) ولقد علمتهم الحروب الأهلية فنون الحرب كما دعتهم كثرتها إلى إتقانها.

الجنود المسلمون : وإنه ليحلوا لي أن أقرر لك حقيقة لا يلم بها الكثيرون ولم تذكرها أنباء الحرب ؛ إن في الصين عشرات الملايين من المسلمين المخلصين ، وإن فيها جنوداً لهم الزمية الصائبة ، والقذيفة التي لا تخطيء ؛ ولقد دلت حوادث الحرب الأهلية على أن الجانب الذي تنحاز إليه تلك الجنود منتصر أبداً ، فاهر خصيمه أبداً ؛ ولقد علمت الآن - في كثير من السرور والحبور - أن أولئك الجنود المسلمين قد اندفعوا إلى غمرة الكفاح مسترخيين الحياة مستهينين بها .

إن في اندفاعهم هذا ما يثير الإعجاب ويدعو إلى الاكبار جمّاً ؛ ذلك أنهم يسكنون الشمال من بلاد الصين المترامية الأطراف الرحبية المساحة ، وأنت ترى أن الحرب ما تزال في الجنوب بعيداً عنهم ؛ فإذا ماوزنت هذه الحقيقة بـعـيـزـان النصفه أدركت ما في إقدامهم من وطنية صادقة وتضحية رائمة بليغة .

حقيقة الموقف : يدل الموقف الآن - أعني موقف الحرب - على أن اليابان قد بلغت (شنهاى) وأنها تحرق اليوم (شائى) وتضرب بمدافعها حصون (ووسنغ) وهذا في يثير الناس نصرها أى نصر ؛ ولكنى أريد أن أقرر لك بأن اندحارها سيكون اندحاراً تاماً ، لأنها ستري أن تأهب الصينيين سيتصاعف ويبلغ منتهاه ؛ ومتى تأهب جنود الصين ، فلن تصدم عن التتدم عاصفة هوجاء ، ولا مادية جارفة .

لماذا تحاربنا ؟ إن اليابان تريد أن تجعل من بلادنا سوقاً كبيرة لمنتجاتها ، فهي تنشد الذهب كما تنشد المهر الذي تستطيع أن تدفع إليه بنيتها بعد أن دلت الإحصاءات الرسمية على كثرتهم الخارقة طاماً إرغام .

ولكنها يئست من الصين لأنها لم تجد فيها السوق الرائجة ، فأرادت أن تستعمرها ، أو تستعمر جزءاً منها ، حتى إذا مادعيت إلى الصلح ، تركت وراءها نوعاً من أنواع الامتيازات .
نظرات إلى المستقبل : على أن اليابان لن تبلغ من ذلك الحلم شيئاً ، ولن يكون لها من الصين

مستعمرة ، ولن تكون لها من أبنائها قوة تعمد بها في مكافحة البلاء الذي ينصب عليها من بوار أسواقها التجارية في الشرق والغرب . ولن يقدر لها أن تستعمر جزءاً من الصين .
وأؤكد لك مرة أخرى بأن جارتنا التي تحكم بالسيادة علينا لن يوفقها الله .

تجاريبي في الحية ————— آة *

بقلم الاستاذ أسعد لطفي حسن

— ٢ —

المائلة الجديدة : عمى وزوجته وأبوها وأمها وأخى وأنا وعجوز شمتاء تخدمنا . ولا أنكر أنى أحسست بريح الشقاء والآلام ، ومع صغر سنى لم تتركنى ملاحظة ، فإن عمى ترك أمورنا بين رحمة صهره وتصاريفه ، وهذا كان رجلاً جشعاً . دأبه جمع المال . وغرامه فى تكديسه ، فأشار بارسالنا إلى (الكتاب) وزيادة فى التظاهر بالعناية بنا تفضل ورافقنا لتوصية الفقيه .

توجهنا إلى (الكتاب) وإذا به قاعة فسيحة مرتفعة الجوانب . ونوافذها الصغيرة قريبة من سقفها الذى يوجد به منور خلو من الزجاج تهب منه الرياح بما تحمله من الأتربة والرمال ، ويسقط منه المطر فى وقت الشتاء حتى تبرك المياه . وتتحول الأرض إلى أوحال تتراكم وتصد منها الروائح الكريهة ؛ وتوجد بجوانب حوائطه مقاعد خشبية للطلبة الذين يدفعون فى كل يوم خميس قرشاً كاملاً ، وفى وسطه حصير ممزقة لمن يدفع نصف القرش ؛ وقد وضعت دكة فى ناحية منه يجلس عليها الفقيه ، وفى مواجهتها يجلس مساعده العريف . وكان الفقيه فى الحلقة الخامسة من عمره ، والعريف ابن الثلاثين .

رحب بنا العريف ووعد بالعناية بنا ، ووعد الحاج حسين بما يدره ويرضيه ، وانصرف وجلسنا على أحد المقاعد ، لأننا سندفع القرش ، وتسللنا لوحاً من الصفيح الأبيض اللامع ، وأعطى كل منا عبرة من الصينى ، وقلماً من الغاب .

والحق أن جميع صبية المكتب أظهروا لنا ، من صنوف الترحيب والتكريم : ما شجعنا على دوام البقاء به واستمرار التوجه إليه ، وقد كررنا الفقيه باعطائنا الدرس بنفسه . فسطر لنا الحروف الأبجدية ، غير أن غوغاء المذاكرة العامة ومختلف المحفوظات التى كانت من الطلبة . كانت تشغل البال . وتوجه الفكر لالتقاط ما كنت أستمع . وبينما كنت أحفظ الدرس من اللوح ، كنت أستمع لقائل « ألف لا شى عليها ، والباء نقطة من تحتها » وآخر يتلو « ويل لكل همزة لمزة » وثالث يجود فيما حفظه « ولا تطلع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم » .

(*) راجع القسم الاول من هذا الموسوع فى الجزء التاسع من (المرفة)

انصرفت مدة تقرب من الثلاثة أشهر . وتمكنت من كتابة اللوح ، وإذا بالعتيق يطلب مني (الصرافة) ، وما هي الصرافة؟ هي الاعلان بأني تجاوزت مرحلة من التعليم ليمال بعضاً من المنح . وحقاً لقد منحه عن قطعة من النقود ذات قيمة العشرة قروش : فتناول العتيق اللوح مني وزحرفه بحميل ما يتقنه من النقوش ، وردده إلى خملته فرحاً مسروراً : وشعرت بأني عالم إذ بدأت أكتب بعض السور الصغيرة وأحفظها : وكان يساعدني على سرعة الحفظ رغبتي في (صرافة) جديدة .

في هذا (الكتاب) كان يوجد عدد كبير من الطلاب من مختلف الأعمار ، وكانت سيادة العتيق وسطوته تجعلهم جميعاً في هدوء وسكينة : وما كنت تجده يوماً يخو من شكاية والديه ، فترى الطالب المشكو في حقه مدني على ظهره . وقدماه في (القلقة) . وسيدنا العتيق يتمطع ويتحمه بمصاه الرقيقة ، وكانت أماته تبعث في قلوبنا رهبة ورعباً : ولذا أبعدنا الله بفصله وكرمه عن هذا الموقف الرهيب .

وفي هذا المعهد ملاحظات شتى : ولها العناية بحفظ القرآن ، والسعادة التامة . والغلبة الوافرة لمن تمكن من حفظه وتجويده . ومن وراء ذلك التمسك بالدين . فقد كنت تجد من العتيق قسوة وشدة مع الطلبة صغيرهم وكبيرهم إذا أحس بتقصير واحد منهم عن تأدية الصلاة . ولا أنسى أنه كان حريصاً جداً الحرص على تعويد الطلبة على عدم الخلف . وأذكر أنه عاقب طالباً بحرمانه من أدم الطعام سبوعاً لأنه كذب عليه مرة . وكانت له - رحمة الله عليه - طرائق حكيمة في التربية ، إذ كان يكلمنا ترك ألواحنا ومحاربا في مواضعها ليعلم مبلغ الأمانة منا واعتداء أحدنا على حقوق الآخر : إلا أنه لفقره وقلة موارده ، كان يجالسنا وقت لمد ، ويستخدم سلطانه في جمع الأطعمة . وله ما يختار من غير منازعة . وكان لا يترك فرصة تمر دون معرفة ما بأيدينا من ملاليم . وكان يبيعنا بعض أصناف الحوى بواسطة قريب له يقسم الأرباح معه : ومع أنه كان رقيق الحال ، فلم يتأخر عن سداد ما كان يطلب منه . وكان في مجموعته عاقلاً رزياً مهابةً محترماً . وكانت له حيلة لاهتمام بتلاميذه ، إذ كان يراقبهم في أيام العنة مراقبة عملية بالمرور في أزقة الحى وحواريه ، حتى إذا شاهد واحداً منهم في حال لا يرتضيه نهه إليه ونفضحه ، ثم ذكره بين أقرانه بما رآه عليه ليتعظ الكل في وقت واحد .

ولا يفوتني أن ذكره بوسع الرحمات . إذ كان شديد العناية بكرامته كبير الاهتمام بعزة نفسه . فقد شكاه أحد الطلبة لأبيه لأنه كان وحيداً ، وقد قصر في واجبه فضربه العتيق وكبر ذلك على الوالد ، وحضر إليه في أشد سور الغضب . وبدأه باللوم وأغرق في القول فلم يأبه لقوله وتركه في حديثه غير مكترث بهديده أو متلمت لوعيده ، حتى إذا ما هدأت ثورته وتمكن من صوابه قال له العتيق : (بيني وبينك وابنك أن تحببه على) فلما سمع بوجوب ولده بكى الولد وقال لوالده : أنا أفضل البقاء : فلم يرض العتيق إلا بعد قرصية من أبيه .

أراد الله وتمكنت من حفظ القرآن بالكتاب وجاء دور المدرسة وتوجهت وحي إليها وكانت المصروفات المقررة لها عشرة قروش في الشهر. ولما أن علم الناظر أننا يتيمان أراد معاقبة أحدنا منها ، فكبر ذلك على عمي ، وخشى المرة وملامة الناس ، وأصر على دفعها لنا الاثنين. أين هذا من الوقت الحاضر والآباء يثبون من فداحتها ، وهي في الواقع تزيد مائة مرة عما كانت عليه؟ واليتامى لا يجدون الرفق والرحمة وربما أضاعت عليهم الحاجة والفاقة ثمرة التعليم واقتصروا طريقه وسعوا إلى التوظيف ، وقبر دكاائم وحرمت عقولهم من التحصيل .

دخلت المدرسة. وأنا ابن ست سنوات ، فكنت كالعضفور بين البواشق . إذ كان بها من يزيد عمره عن العشرين : وكان الطلبة يرتدون ملابس خاصة - جاكتة مقفولة - كانت تسمى (الفريكة) وبطون . ويوجد حزام من قماش لونه حمر محطط بالأبيض وله قفل من نحاس : فكنت في هذا الزى موضع الانظار .

وفي المدرسة التي كان موقعها في وسط لمزارع (وهي في مكانها إلى الآن) كان الفارق كبيراً بينها وبين (الكتب) إذ هي مبنية على طراز صحن ، خالية الجوانب تكتنفها الشمس ، ويتحلقها الهواء : وفي ناحيتها البحرية حديقة واسعة . وبها استعداد كامل حيث يوجد بها معمل للكيمياء والطبيعة ، وبها مسجد وما كن للوضوء . ولها حوشان فسيحان جداً . وكان على رأسها ناظر كرم ، وقور غيسور على مصلحة الطلبة . جمع بين المواد والنين ولشدة والقسوة . لم يترك لكل طالب صغيرة وكبيرة إلا أحصاها له أو عليه . وقد أخذ مكانه بين الكراماء وعطاء ، إذ كان شتراً في كل الأوساط ، وكان محبوباً عند المدرسين لاهتمامه بهم واحترامه لهم : وكما نراه كل وقت يمر بأما كن التدريس ويشرف على المعامين . ويتقضى وقتاً غير قصير في مناقشة النفس . وكان مهيب الجانب . وقد كان من سنته إذا علم بذكاء طالب منحه هدية تشجعه وتبعث في نفوس زملائه الغيرة والتنافس . ولا يقصر عن الاهتمام بتلاميذه فقد أوجد بينهم الرغبة في الموسيقى والتمثيل . وأنشأ من بينهم فرقاً اتقوا كل نوع منها : وفي نهاية كل عام مدرسو يدعو آباء التلاميذ وعلية القوم وعضاء المشاهدة تمثيل رواية أدبية أخلاقية تهذيبية تصدح في خلال أدوارها الموسيقى . في ذلك العهد الذي مضى عليه الأربعون عاماً كانت النون الجميلة موضع الاهتمام والحماية ولم تكن هناك ضجة حولها كما كانت الرياضة . وأذكر أنها كانت ميادين لأدب . إذ كنا نتعلم الحركات على نظم الشعر الأدبية . وكان الطالب يخفظ أبيات الشعر الجاسية .

أما من ناحية الدروس والتدريس ، فقد كانت اللغة العربية صاحبة السيادة ، ولها في كل فرع القدر المعلى والسهم الصائب : هذا مع العناية بحسن تدريس اللغتين : الفرنسية والانجليزية . وكان بقية من الموظفين الأتراك يقومون بأعمال الصباط ، فكان تعليم اللغة التركية اختيارياً . في ذلك العهد كان على رأس وزارة المعارف رجل مصر العظيم المرحوم علي مبارك باشا

وقد حضر لزيارة مدرستنا بطنطا ، فكان يوم عيد وفرح احسن كل من بالمدرسة بالسرور والحبور ، وما وطأت قدماه عتبة المدرسة حتى عزفت موسيقى المدرسة بألحانها ونغماتها ، واستقبله الطلبة بالهتاف ، وقد قضى في زيارة فصول المدرسة يوماً بأكمله ، إذ لم يترك فصلاً قبل أن يقضى فيه ساعة كاملة بين مناقشة الطلبة وسؤالهم ونصحهم ، ولما لم يستوف بقية الفصول أعاد الكرة في اليوم التالي . وقبل مبارحة المدرسة اصطف التلاميذ في حوشها ، وإذا بالوزير العظيم يستحضر حقيبته ، وضعا بين يديه ، ونادى من أعجبه أجوبتهم وذكاؤهم ، وأهدى إليهم جوائز علمية كتب عليها بخط يده ما يذكر في أفئدتهم نار النيرة والحمية والاجتهاد .

كان من بين جلائل أعماله أن حاز وقت الصلاة في إحدى فرص الفراغ ، وسمع المؤذن يعلن إقامة الصلاة ، فسارع إلى مسجد المدرسة ، وخلع ثيابه ، وتوضأ ، ووقف بين الصفوف ، وصلى الامام وهو خلفه . وأتم صلاته خاشعاً لله خاضعاً لقوته ، وقد خلع رداء الغرور بالدنيا ، ولم ينس الله بوظيفته ، فكان أسوة حسنة وقدوة صالحة . أفسح الله له جناته وضاعف أجره وثوابه وحسناته .

وأحسن ما يذكر لذلك المصلح العظيم من الأثر الخالد ، والذكر الحميد : أن طالبا حتم الصلاة بتلاوة بعض آيات من القرآن ، وكان رحيم الصوت مجيد القراءة ، حسن التجويد . فأعجب به . وسأل عنه . فإذا به يتيم الأبوين ، فقربه إليه ونفحه عشرة جنيهات وقرر تعليمه على نفقته الخاصة في كل أدوار التعليم ، وكان مقرر ، وهو الآن من كبار رجال القضاء يذكره بالرحمة والغفران . انقضت السنة الاولى ، وفزت فيها بالنجاح ، وبدأت العطلة الدراسية ، وكانت في أشهر رجب وشعبان ورمضان ، فوجهني عمي إلى الجامع الاحمدى لإعادة حفظ القرآن ودراسة بعض الدروس الدينية ، وهناك لم توجد أية رابطة بين الطالب والمدرسين ، إذ كانت حلقات الدروس هي التي تجمع بينهم .

كان في ذلك المعهد الكبير حلقات لتدريس . وكان إقبال المستمعين كبيرا . ويتلف . وكان من بين المدرسين من فطاحل العلماء ورجال الأدب والدين كثيرون . وهؤلاء زهدوا في الدنيا إلا قليلا من صدقات ذوى البر الذين أوقفوا لها العقارات والاملاك . ومن هؤلاء كنت تجد من يقضى طوال أيامه في إفاة الناس واستفادتهم . وكان فضل العلم وأثره كبيرا جدا إذ كانوا اهل تقوى وورع تتجلى وجوههم بنور الايمان واليقين وهؤلاء افسحو صدورهم للبحث والمناقشة والسؤال . وكانوا يعملهم هذا يحافظون على سمعة المعهد . وقد امتاز المعهد الاحمدى قديما بتحفيظ القرآن وتجويده ، فكان لشيوخ القراءة مكاتبتهم ومهابتهم يسرى اليهم من أقصى البلاد : وقراءة القرآن فن واسع غنى الاقدمون به ، خصوصا القراءات وما وعى منها . لأن الرسول عليه الصلاة والسلام نقل عنه كل قراءة بما سمعها ، ففي المعهد الاحمدى من فطاحل

عماء القراءات عدد كبير ؛ ولم تكن مهمتى أن أحفظ على هؤلاء ما حفظت بل كنت أحضر درسهم للاستماع ؛ وأما ما كنت أسمى اليه دائماً فهو درس العبادات ؛ وذلك لأن ما كان يدرس لنا بالمدرسة كان موجزاً للتأدية الواجب الدينى فقط .

ولما انقضى شهران من الأجازة السنوية أقبل شهر رمضان ، وكنت قاربت على الثامنة من عمرى ، وحفظنى الله من نزعة الافطار ، وصمت نهاره ، وكرمنى الله بالمحافظة على صلاة الجماعة للتراويح ، أقول هذا تحديداً بنعمة الله ، وأسفا وحسرة على ما نحن فيه ؛ إذ كان شهر رمضان من أقدس مظاهر الحياة الاسلامية ، فيهتم المسلمون بقدمه ويتأهبون لاستقباله بكل وسائل التكريم . فإذا ما حل هلاله راجت سوق قراءة القرآن فتعمر البيوت والمساجد بتلاوته ، ويتبارى الأغنياء في بر الفقراء ، ويفتحون أبواب منازلهم لترحاب بهم حيث يؤمنونها لاستماع القرآن ، وكانت منافسة كريهة طيبة في إيجاد المقرئين ، وكان المسلمون لا يعرفون المقاهى والمشارب العامة ، بل يجتمعون زرافات ووحداً فى منازل الكبراء ، يقضون ليلهم فى الخير ونهارهم فى الصوم ، فكان الخير والبركة .

أما المساجد فهى مورد العابدين لا يأتى وقت الصلاة إلا والجميع كبيرهم وصغيرهم وقوا يبريدى الله عابدين عاكفين يعمرّون مساجده ، وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ، تسمع صواتهم يضرعون إلى الله ويسألونه النعمة والفضل والمغفرة . ولدين سيادته وتعبادته ولناس الهداية واتوفيق ؛ يا حسرتنا على ما فرطنا فى جنب الله ، فقد أضعنا الدين وهجرنا اليقين ونسينا الله فألسنا أنفسنا وحلت بنا الرزايا والبلايا والمحن .

انقضى شهر رمضان وأعقبه العيد ، ووالله ، كنت أشعر بالعيد لا بلبس الجديد وأكل القديد ، ولكن بتراور المسلمين ولقائهم ببعضهم اخواناً متقابلين ؛ والآل وقد يحىء رمضان وينقضى العيد ، ولا من يعرف لذلك خيراً .

وعدت إلى المدرسة فى السنة الثانية . وقد كان فى بدء افتتاحها خجعتى بصديق لى يقرب من عمرى إذ قضى نحبه غرقاً . فقد سافر إلى قريته . وكان بها ترعة يتعلم السباحة فيها ، فخرج إليها يوماً . كانت مياهها غزيرة ، فتغلبت عليه ، ووافته منيته . فانتشل جثة هامدة ، ودفن فى التراب . وقد كان شعلة ذكاء وأملًا يرجى ، ولكن قضاء الله محتوم لا مفر منه ، وقد قص على قصته أخ له أكبر منه ، وفهمت أن الطبيعة فى القرى تبسط سلطانها ، والمناظر الجميلة الطبيعية تبهج النمس ، وتتمش الأفتدة والمروج حافلة بنخضرتها السندسية والأشجار مثقلة بثمارها للدلاة الشبيهة ، كان ذلك الضحية يقضى أوقاته على حافة هدير من الماء هادئاً ساكناً فى عزلة عن الناس ، حتى إذا جاء وقت الظهيرة نزل إلى الترعة ليتعلم السباحة فمات شهيد غايته الشريفة .

أسعد لطفى حسن

تحيّة

مرفوعة الى صديقي الشاعر

محمود أبو الوفاء

بقلم الاستاذ فؤاد صروف

«الشاعر شمس شمس، محمود مسحسن من سحر جبل، ما يتلوه الأبياء، ثم غنى في الطل، ثم يفتخر فرحاً في الهوة، ثم يبتغي منتصراً متدفقاً في الوادي، ثم يطفئ في المراح دأبه في صدره أشباح الأكام، ومن لا شجر وأعيوم، ثم يمر يباب الكوخ مؤثراً متللاً وهو سائر الى البحر العظيم، لينبئ فيه» .
(أنجرس)

في قرية عند سفح الجبل، نشأ بهي الطلعة، ممتلىء الأعصاب، متوقد الذكاء. كان شاعر وفي شبابه كان ساهراً، يرعى النجوم. ويسائل الحياة. ويرى رؤى الكمال. وكان راعياً يسير بالقطيع في كل صباح إلى المروج. فتسرح أفراذه في فنائها. ويستلق هو على صدره. يستنشق شذا الروض أنفواح. ويتأمل قنقع السحاب الساعية في القفار. أو يصفى إلى حرير المياه الواردة إليه من جانب الوادي على أجنحة النسيم. أو يحاكي تغريد الأطيوار ورقرفتها. وقد اتخذت من ذرى الأغصان عروشا.

كان يقضى نهاره في دنيا من الرؤى ولاحلام. لأن في صدره إلفاً من شعلة الشعر. وكان أحياناً يسلي نفسه. بأنشاء مقطوعات يفيض بها شعوره من دون كد للذخ أو إجهاد للقرحة.

وفي ذات يوم مر به رجل عظيم، في سيارة فخمة، فحس إلى الراعي يحذنه آناً ويصغى إليه آناً آخر. حذنه عما في المدينة من المباني الدحمة والسيارات الرشيقة والفواهي الحسان. والحركة التي لا تقتر والأوار المتألقة التي لا تحبوا. وأصغى إليه يأنشد بعض الأشعار التي نظمهم. وقبيل انصرافه قال: هلم معي يا بني إلى المدينة، فأخذ بيدك إلى أعلى ذرى الجراح. فلما انقرد الراعي بمدا انصراف الراحل العظيم، وخلا إلى نفسه، ألهم فيها قلقاً واضرباً: خديث المدينة حفز خياله إلى تصور صور جديدة من الحياة - صور كانت عن شدة إبهامها - كالمصا التي يسوق بها الساعة إلى المروج. فلمعت عيناه واشتد خفقان قلبه.

طبع أشعاره في ديوان فعاد عليه الديوان بكثير من الشهرة وقليل من المال، فاكتمى بهذا الدل أولاً، لقضاء حاجاته ومطالبه القروية المحدودة. ولكن الشهرة سيد مستبد، والمشهور عبد ذليل، فتنوعت مطالبه، وتمددت حاجاته، وازدحم حوله الأصحاب والأنباع.

وكان ذا شاعرية دقيقة الاحساس، فرأى في شؤون اجتماع موضوعات، يستبدل بها فتون الطبيعة وسحر الحياة القروية، فأكب على النظم، وقد أصبح شعره ذا سوق رائجة، فما كان ينظم قصيدة إلا ويرى بالباب من يطلب شراءها من دون مساومة، ولو شاء لمسكنه ذبوع صيته من بيع كل ما ينظمه، سواء أطلأنت إليه سحبيته أم لم تطلأنت؛ ولكنه كان ضئيلاً أن يتنذل الشعر رغبة في المال.

على أن الشهرة سيد مستبد، ومطالبها تقتضي بدرات المال سواء كان مصدرها شعراً زائفاً وشعراً ملهماً. فامتنع عن كثير من ملاهي الحياة ومسراتها، وانقطع لنظم الشعر، حتى نهك الجهد جسمه. وأضعف بصره فلزم الفراش تعباً وإعياء.

ولكن عمله كان بالغاً حدود الاتقان - مع أن معظمه كان خالياً من الشعلة التي تتوهج بها أشعاره القروية - فانسعت آفاق شهرته وبعدت مذاهب صيته.

ولكن ...

ولكن ... فقد صبره. وثارت نأثرته فخلع عنه في ثورة الروح على المادة ثياب المدنية، ونفس غبارها وعاد إلى القرية الراقدة في حضن الطبيعة. عاد إلى رعي القطيع يسوقه صباحاً إلى مروج، وعاد إلى الاستلقاء في الظل الوارف يستشق العير الدواح، ويضطرب إصغاء إلى حرير الجدول وهدير الشلال، وتفريد للغير.

وإذ هو مستلق في الصباح الثاني لمودته - أحس كأن ركزاً حفيماً يقول: -
ما غرب ما يفعله الناس، وما أفدح ما يبذلونه ثمناً لتصفيق الأيادي!

إن من هذا إلى صميم روحك أيها الشاعر الكريم في شعرك وحياتك. أدرك بعقله ورأى بمسه. أن الشهرة لن تستهويك فتستعبدك، وأن المال لن يفتنك فيذلك. وأنك حر - أي حر - إلا من قيود فنك العالي وشعرك الصادق.

إن من عرفك كما أعرفك أيها الشاعر الكريم. عرف أنك تستكثر وتستسخر ضال ما يبذل ثمناً لتصفيق الأيادي.

انغم في يدك أيها الشاعر الكريم، والقلم إذا سألت الأستاذ قل لك: هو التيد الذي تقيده
(البقية على الصفحة رقم ١٣٣٩)

شاعرنا كرا الى اخوانه

قصيدة الشاعر المصرى النابغة محمود أبى الوفاء

التي ألقيت في مهرجانه في التاسع عشر من فبراير سنة ١٩٣٢

صيح من قلبه ومن وجدانه ليس من علمه ولا من بيانه
ليس من زخرف النظم الموشى بعقيق البيان أو عقيانه
بل هو الشعر لا هو الشكر يهدى شاعر شاكر إلى إخوانه
ود لو ينظم القوافي مما غرد الطير في صبا ألحانه
ود لو ينظم القوافي وشيا من نسيج الربيع في نيسانه
ويغنى ما شاء أن يتغنى شاعر شاكر إلى إخوانه

ليتني كالحمام جسما وروحاً ليت لي سحبه وصدق حنانه
كأرى الناس في أغاريد نوحى رجع قلب يذوب في خفقانه
كأرى الناس في احتراق فؤادى كيف تسمو آماله في دخانه
كأرى الناس ما هو الحب ديناً والهوى خالصاً إلى ديانته
ويغنى ما شاء أن يتغنى شاعر شاكر إلى إخوانه

مرم الأصدقاء جرحاً بقلب حار طب الاساة في إسيانه
يا لهذا الجميل عندى لولا عرفه قد طغى على عرفانه
يا لها من يد على الشكر جلت وصنيع عجزت عن شكرانه

لست قلبي يا قلب إن لم تكفى محسناً أو تزد على إحسانه
هش لتقيد أكثر الناس عنفاً وخروجاً على قيود زمانه
ملككت حرة الصناعات حراً ليتها أشفت ببحر عنانه
اجتبت قلبه فدان إليها بالنفيسين : شكره وامتنانه

طالب في روضه جنى الشكر حتى كاد يذوى الجنى على أغصانه

صنع الله خير صحبة خير من وجوه الزمان من أعيانه

لمجيب أن يطرب الناس عود شب يسقى السموم من أحزانه
وقفوا ينتشون في الزهر معنى ككشدي الحق جاء قبل أوانه
يعرف الراح في نداه عرقاً وهو لما يزل وراء دثانه
زمن من عشية وضحاها وغدا الزهر خائلاً فوق بانه
أزهر الروض وأزدهى فكأن لم يك ما كان من صروف هوانه

قصة الروض قصة الشرق طرا لم يعق حره سوى خذلانه
ليس إلا على التعاون قامت قوة الغرب وقوى عمرانه
بارك الله فيك يا مصر داراً ليس فيك الغريب عن أوطانه
وطن كله هدى فسلام جرس ناقوسه وصوت أذانه

تحية

(بقية للنشور على الصفحة رقم ١٣٣٧)

« ملائكة الفكر فلا تدير ، وإذا سألت الجار قال : هو الخدن الذي يعرب عن خواجه ، وإذا
سألت التاجر قال هو سفينة مثقلة بالبضائع ، وإذا استنبيت الكاهن قال : هو العجبية التي تنطق
الأيام . »

تلى أن قلم الحق في يد الشاعر ... سلاح من أسلحة الأرباب

وقم المثل الأعلى في يد الشاعر ... مهيار من مهامير الكمال

وقلم الحب والجمال في يد الشاعر ... مفتاح من مفاتيح الجنان

إن قلم الشاعر في يدك أيها الشاعر الكريم ، فامض في سبيلك بين ورد الحياة وشوكها ،
غير حاس إلا بسجيتك ترسلها من شق لقلم أنعاما وألحانا ... وغننا «حقاً» نغلب به سقه الحياة ونسمو
«فوق» ضعتها ، وصف لنا المثل الأعلى تحبب إلينا الكمال ، وارسم لنا صور الحب والجمال تلج

بنا فراديس الخلود

فؤاد صروف

تاريخ البيارس ——— تانات

في العهد الاسلامي

بقلم الدكتور أحمد بك عيسى

— ٧ —

بيارستان جنديسابور

هذا البيارستان كان من أكبر البيارستانات في العصر السابق على الاسلام بثلاثة قرون الى عهد الخلفاء العباسيين ، حين ابتدأ المسلمون ينشئون البيارستانات والمدارس في بلادهم وأمصارهم التي افتتحوها.

وجنديسابور مدينة بخورستان — ويقال له الخور — وهو إقليم واسع بين البصرة وفارس . بناها سابور الاول الساساني بن اردشير في القرن الثالث بعد الميلاد ، وسكنها سبي الروم الذين وقعوا في أسره اثر حربه مع الامبراطور الروماني ثورليان . (١) وصاحبه من جنده . ثم افتتحها المسلمون صلحاً في سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) في أيام عمر بن الخطاب الخليفة الثاني . فتحها أبو موسى الأشعري عقب احتلاله تستر . وجنديسابور مدينة خصبة كثيرة الخير وبها حين وزروع كثيرة ومياه ، ومنها إلى تستر ثمانية فراسخ وإلى السوم ستة فراسخ ، وتسمى بالسريية بيت لاباط ، ثم حُرقت إلى بيل آباد . قال ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) اجترت بها مرراً ولم ينق منها عين ولا أثر إلا ما يدل على شيء من آثار بائدة .

وقد اشتهرت هذه المدينة بـ مدرستها الطبية التي أنشأها كسرى الاول ، وجلب اليها المعلمين من يونان فكانت تلقى فيها التعاليم اليونانية بالالفنة الآرامية ، واشتهر مع هذه المدرسة بيارستانها العظيم ، ودامت شهرتهما أن زمن الخلفاء العباسيين . بما تخرج منهما من الأطباء والعلماء الذين برزوا في الفضائل . قال ابن القفطي : « إن أهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة وعلم من زمن الأكاسرة . وذلك سبب وصولهم إلى هذه المنزلة . ثم قل : ولما برز أمرهم بقوى في العلم ، وبترايدون فيه ، ويرقبون العلاج على مقتضى أمرجة بلدانهم حتى برزوا في الفضائل ، وجماعة منهم ينصون علاجهم وطريقتهم على اليونان والهند ، لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم ورتبوا لهم دساتير وقوانين وكتبوا جمعوا فيها كل حسنة حتى أنه في سنة عشرين من ملك كسرى اجتمع أطباء جنديسابور بأمر

ملك ، وجرى بينهم مسائل وأجوبتها ، وثبتت عنهم ، وكان أسراً مشهوراً . وكان واسطة
 لـمس جبريل درستياد . لأنه كان طبيب كسرى . ولنا في السفسطائي وأصحابه ويوحنا وجماعة من
 الأطباء . وجرى بينهم من المسائل والتعريفات ما إذا تأملها القارئ . لها استدلال على فصلهم
 وغرارة علمهم : ولم يزالوا كذلك حتى ولي المنصور الخلافة . وبنى مدينة السلام فعرض له مرض
 استدعى منهم جورجيس بن بختيشوع (الح) . ولقد كانت مدرسة جنديسابور وبيارستانها
 أهل الصافي والمنبع الغزير للطب والأطباء زمان طويلا حيث كانت سوريا والعراق وفارس تستمد
 مبادئها من بين طلبتها الذين كانوا يؤمونها من كل حذب وصوب .

وحين ظهرت الملة الإسلامية لم يتأخر المسلمون عن استخدام الأطباء المتخرجين من
 بيارستان جنديسابور .

فستطلب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعدهم ، الحارث بن
 كعدة الثقفي . وابنه النضر بن الحارث بن كعدة من أطباء العرب الذين استمدوا علومهم من
 جنديسابور .

وستطلب خلفاء بني أمية ابن آثال لطبيب النصراني الجنديسابوري . اصطفاة لنفسه معاوية
 بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية . وأبا الحكم وحكم الدمشقي وتياذوق وغيرهم كثير .
 ومن أطباء بيارستان جنديسابور المتميزين الذين خدموا الدول الإسلامية ، وكانت لهم يد
 في نهضة العرب تذكر :

١- جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري :

كان رئيس طباء جنديسابور ورئيس البيارستان بها . وكان في صدر الدولة العباسية . وله
 خبرة بصناعة الطب . ومعرفة بالمداداة وأنواع العلاج . خدم المنصور بصناعة الطب . وكان
 حينئذ عنده رفيع المأزلة . ونال من جهته مؤالا جزيلة . ونقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب
 اليونانيين إلى العربية . إن أول ما استدعى الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس
 لجورجيس . هو أنه في صدر أمره عند ما بنى مدينة السلام بغداد في سنة ١٤٨ للهجرة . أدركه
 ضعف في معدته وسوء استمرار . وقله شهوة . وكلما عالج الأطباء ازداد مرضه فتقدم إلى الربيع
 بن سبب طبيب ماهر . فأجمع الأطباء على فضل جورجيس بن بختيشوع . فتقدم المنصور باحصاره
 نفسه عامل جنديسابور . ووصى جورجيس قبل خروجه من جنديسابور ولده بختيشوع
 بيارستان . واستحضر معه عيسى بن شهلافا فتقبله الخليفة أحسن التقبال وأمر بإزالته في أجل
 موضع من دورته . وكرمه كما يكرم أحسن الأهل . وأخبره بابتداء علته . وكيف جرى له منذ ابتداء
 مرضه وإلى وقته ذلك . ولم يزل جورجيس يتلطف له في تديره حتى برىء المنصور . وعاد إلى

الصحة، وفرح به فرحا شديدا، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل.

ولما كان في سنة ١٥٢ مرض جورجيس مرضا صعبا، وكان المنصور يرسل إليه في كل يوم يتعرف خبره، ولما اشتد مرض جورجيس، أمر به الخليفة فحمل على سريره إلى دار العامة، وخرج الخليفة ماشيا إليه، وسأله عن خبره، فبكى جورجيس بكاء شديدا، وقال له: إن رأي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — أن يأذن لي في المصير إلى بلدي لأنظر إلى أهلي وولدي، وإن مت فبرئت مع آبائي، فأمر الخليفة أن يخرج جورجيس إلى بلده، وأن يدفع إليه عشرة آلاف دينار. وأخذ معه خادما، وقال: إن مات في طريقه، فاحمله إلى منزله ليدفن هناك كما أثر، فوصل إلى بلده حيا، وله من الكتب كناشه المشهور، ونقله حنين بن اسحاق من السرياني إلى العربي.

٢ — بختيشوع بن جورجيس :

ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام. وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاوته لأعمالها، وكان بختيشوع مقبلا بجنديسابور والمارستان نيابة عند غيبة أبيه في معالجة المنصور إلى أيام المهدي، ومرض ولده الهادي ابن المهدي فاستدعى بختيشوع من جنديسابور، فأت موسى الهادي قبل قدوم بختيشوع. فأعيد مكرما إلى جنديسابور، فأقام على حالته في تدير اليمارستان هناك، ولم يزل على ذلك إلى سنة ١٧١ هـ. فرض الرشيد من صداع لحقه، فطلب من يحيى أن يستحضر له بختيشوع من جنديسابور. فبش على الرشيد فأكرمه، وخلق عليه خلعة سنوية، ووهب له مالا وافرآ. وجعله رئيسا على كافة الأطباء. ولبختيشوع من الكتب : (١) كناش مختصر، وكتاب التذكرة ألفه لابنه جبريل.

٣ — ابراهيم تلميذ جورجيس :

لما استدعى جورجيس بن بختيشوع إلى الخليفة المنصور ليطلبه أخذ معه تلميذه ابراهيم وعيسى بن شهلافا، وترك عيسى صهاربخت مكانه باليمارستان بجنديسابور مقبلا.

٤ — مرجيس تلميذ جورجيس بن بختيشوع :

أراد جورجيس أن يستصحبه حين استدعاه المنصور، ثم ما د فتركه لتدير اليمارستان في غيبته.

٥ — عيسى بن شهلافا الجنديسابوري، تلميذ جورجيس بن بختيشوع :

عند ما دعا الخليفة المنصور إليه جورجيس بن بختيشوع ليطلبه استصحب معه تلميذه عيسى ابن شهلافا. ولما مرض جورجيس واستأذن في العودة إلى بلده جنديسابور خلف تلميذه هدا في خدمة المنصور، فأمر المنصور باحضار عيسى بن شهلافا. فلما مثل بين يديه سأله عن شيء فوجده ماهرا. فبدأ عيسى يبسط يده في التشاور والأذية خاصة على الأساقفة والمطارنة ومصانبيهم بالرشى. ثم أخذوا همهم، وكان فيه شراقة وطمع. فلما وقف الخليفة المنصور على حقيقة أمره. أمر بأخذ جميع ما يملكه عيسى المتطبيب وتأديبه وتقيمه.

٦ — جبريل بن بختيشوع بن جورجيس:

كان طبيباً حاداً نبيلاً، خدم الخليفة هارون الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة، وخدمه من بعده محمد الأمين، ثم الخليفة المأمون في سنة ٨٢١٠ م.

ثم مرض مرضاً شديداً ومات سنة ٨٢١٣ م. وجبريل بن بختيشوع من الكتب رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرّب. وكتاب المدخل إلى صناعة الطب وكتاب الباء. ورسالة مختصرة في الطب. وكناش. وكتاب في صنعة البخور.

٧ — بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع:

كان سريانياً نبيل القدر، وبلغ من عظم المنزلة والحال، وكثرة المال، ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره، خدم الخلفاء الواثق بالله بن المعتصم ثم المستعين بالله بن المعتصم والمهتدي بالله ابن الواثق، سخط عليه الواثق ونفاه إلى جنديسابور في سنة ٢٣٠. وبعد موت الواثق خدم الخليفة المتوكل على الله، فصلحت حاله بعد ذلك في أيامه حتى بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة ومباراة الخلافة في الزى واللباس والطيب والقرش والصناعات والتفصح والبذخ في السفقات؛ مبلغاً يفوق الوصف، وكان موته يوم الأحد ثمان بقين من صفر سنة ٢٥٦ م. وله من الكتب: كتاب في الحجامه على طريقة المسألة والجواب.

٨ — سابور بن سهل:

كان ملازماً لبيارستان جنديسابور ومعالجة المرضى فيه، وكان فاضلاً عالماً بقوى الأدوية المفردة وتركيبها. خدم المتوكل ومن تولى بعده من الخلفاء، وتوفي في أيام المهتدي بالله وكانت وفاته في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٥٥ م. ولسابور بن سهل من الكتب: كتاب الأقرباذين الكبير جعله سبعة عشر باباً، وهو الذي كان المعمول به في البيارستان، ودكاكين الصيدلة، وخصوصاً قبل ظهور الأقرباذين الذي ألفه أمين الدولة بن التميمي وكتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها، وكتاب الرد على حنين. والقول في النوم واليقظة، وكتاب إبدال الأدوية.

٩ — ماسوية أبو يوحنا:

كان تلميذاً في بيارستان جنديسابور. أقام به أربعين سنة يعمل في دق الأدوية، إلى أن عرف الأدوية داء داء، وما يعالج كل داء، وهو أعلم أهل زمانه بانتقاد الأدوية واختيار جيدها وتقي رديها؛ ولما أخرجه أبو عيسى جبريل صاحب بيارستان جنديسابور من البيارستان عكف على معاناة التطبيب إلى أن اتصل بالفضل بن يحيى، فأحسن لقاءه، وأجرى عليه، وأعطاه ثقة واسعة، وأوصله الفضل بعد ذلك بالخليفة هرون الرشيد، فأجرى عليه الرزق

الصباح لولك

بقلم القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور

الأستاذ محمود تيمور قاص لا ضرب له ، يشتهر لشخصياته القصصية
روحها التي تنفحها بالحياة ، وأساليبها العامة التي أبى إلا أن يبرزها بها ،
وهو إلى ذلك بمسحة الشهرة في هذا الصرب من صروب الأدب المتميز ،
نقد ترجمت له بضع قصص إلى لغات أجنبية ، وأنه ليس « المعرفة »
أن تمتع قراءها بهذه القصة التي دمجها براعته في المحرر

دخلت نبيهة على سيدتها وحيدة هانم ، وأخبرتها بأن صلاح افندى حضر ، وأنه يطلب
مقابلتها في إلحاح ورجاء .

كانت وحيدة هانم في ذلك الوقت مستلقية على مقعد طويل ، وفي يدها مجلة من مجلات
(المودة) تنفج عليها ، فلما سمعت كلام نبيهة التفتت إليها غاضبة وقالت :

— كيف تجرؤ على الظهور في منزلى بعد أن طردته أمس شر طردة ؟

كان في استطاعتها أن تأمر حسن السفرجى بأن يذهب إليه ويخرجه من المنزل في الحال ،
طوعاً أو كرهاً ، ولكنها رأت نفسها بلا عمل ، وأنها في حاجة لأن تشغل نفسها بشيء ما على
سبيل التسلية ، فقامت من فورها وخرجت قاصدة حجرة الزوار .

ووحيدة هانم أرملة من الذوات تبلغ الثلاثين من عمرها ، تعيش وفق مزاجها ، لها حلاوة
يحبس بها الإنسان بروحه ، ولا يستطيع التعبير عنها بلسانه ، كل قطعة في جسمها تتكلم ، وكل
حركة من حركاتها غنج ودلال .

أما صلاح افندى فشاب ليس فيه شيء من الجمال ، خلقه مشوهة بخيفة تضرب بها الأمثال ،
ليس له مورد غير القهار ، ويساعده الحظ أحياناً فيرمح مبالغ لا يستهان بها ؛ له اتصال بالمعائلات
الراقية ، والسيدات يحبين مجلسه ، يغنى ويمثل أمامهن بعض الأدوار الهزلية ، ويعطى على
مائدتهن بأغفر الماء كولات وأحسن المشروب ، وينال منهن شيئاً يذكر من المال .

دخلت وحيدة حجرة الضيوف ووقفت أمام صلاح وقفة الغاضب المتكبر وقالت :

— كيف تجرؤ يا وقع على الحضور إلى منزلى بعد الذى صدر منك أمس ؟ أنسيت ما فعلته

وما تلفظت به ؟ فأجاب صلاح وهو مطأطئ الرأس :

— كنت سكران يا هانم ، والسكران معذور .

— سكران في عيبك وعير أبوك . رجل دون ابن كلب... كيف يخطر على بالك أن أقبك

ثانياً في منزلى بعد هذه الفضيحة الشائنة التي أصفقتني ؟

— فضيحة؟ معاذ الله!

— إخرص. ألم تزعق بأعلى صوتك أمام جميع السيدات بأنك تحبني... وأنت تريد تهيبلي...؟
لم ينقصني إلا أن يحبني رجل يشع صعلوك مثلك. كنت تستحق على قولك هذا تقطيع لسانك...
— وأكثر من تقطيع لساني، كنت أستحق أن أذبح، وأن ترموا بجسدي النجس
للكلاب... ولكن هل يؤاخذ السكران على كلام ياهانم؟ أقسم لك بأنني لم أكن أشعر بنفسي
أين كنت، ومن كان حولي، وماذا قلت، كله كان خيالا... حاملاً فظيماً لا أعرف له مبدءاً
من نهاية.

— سكران غير سكران... ليس لي شأن بذلك. المهم أنك أسأت إلى إساءة لا يمكنني أن
أغفرها لك.

— لا أنكر أن ذنبي عظيم... لا أنكر أنني دون، ابن كلب، أستحق ضرب الجزم... والله
أرضي أن تخلمي حذاءك وتضربيني به... ولكني مع ذلك مازلت أطمع في رحمتك...
وجلست وحيدة على (الكنبية) وجعلت تمز رجلها وتقول:
— ... رحمتي! هه... ليس عندي رحمة.

واقترب منها صلاح وهو يتسم في (تمسكن) وقال:

— والله أنت كلك رحمة، وطيبة، ورقة، ومستحيل يفضب قلبك على واحد من محاسبيك...
— لا تزيد في الكلام من غير طائل.

— أنسيت يا وحيدة هانم إخلاصي الكبير لك؟ ألم أضح بكل شيء في سبيل خدمتك؟
ألم أضرب وأبطح وأحبس مرة لدفاعي عنك؟ ألم أعرض حياتي للخطر في المهمة التي كلفتني بها
في الصعيد في العام الماضي...؟ ولم غير ذلك! فهل تنسى كل هذا من أجل غلطة واحدة
صدرت مني بلا قصد...؟

— غلطة فظيعة...

— غلطة كبيرة! إني معترف بها؛ ولكن كلما كانت الغلطة كبيرة كلما كان الصنع
عظيماً، وأنت أهل لسكل عظيم وجليل.
وجلس تحت قدميها وقال:

— أقسم بالله العظيم يا وحيدة هانم أنك لو بحثت في الدنيا كلها عن شخص يخلص لك
كإخلاصي، ويحلك كاجلالى لما وجدت. إنك تجهلين قيمتى الآن، ولكن بعد موتى سوف
تذرفين على الدموع وتقولين: الله يرحمك يا صلاح، لن أعوضك بعد الآن، لقد أهيمكتنى
طويلاً وسليتنى كثيراً فمن يضحكنى ويسليتنى الآن...؟
— المهرجون كثيرون.

- ولكنهم ليسوا مثلي ولا يستطيع أحد أن يأخذ مكانى ... والآن ألا تريد أن أحدثك بشيء مما في جمعتي ؟ عندى أخبار الدنيا والآخرة .

- تظن أنى صفت عنك ... ؟ لا دا بعدك ...

- عندى أخبار من كل لون: سينا - مسارح ، جواز ، طلاق ، مشاجرات عائلية ، أزومات سياسية واقتصادية ، كله ، كله ... ألم تسمع شيئاً عن زكية هانم ؟

- ماها ؟

- إنها طلقت .

- كلام فارغ .

أقسم برأس أبى أنها طلقت أمس . هذه حكاية يطول شرحها سأرويها لك الساعة ، ولكن قبل أن أبدأ بالكلام أتضرع إليك فى طلب واحد .

- وما هو يا بارد ؟

- هو أن تصفيعنى على وجهى عدة صفعات طيبة ... إني أتكلم الجذ والله العظيم . أشعر بأن أصداعى تأكلنى ... هاتى يدك ... والله لا بد أن تضربينى ... هيا افعلى ... ها أناذا . فمدت وحيدة يدها وأخذت تضربه على خده وهى تضحك ؛ ولكن صلاح جعل يمتنع على هذا النوع من الضرب وقال :

- لا ، لا ، هذا ليس ضرباً ... أريد صفعاً محكماً قوياً ... هيا اشتدى فى ضربك ... أفوى من ذلك ... أشد ... أنت مازلت رفيقة القلب نحوى ... يدك لا تطاوعك على إيلاى ! - وحكاية طلاق زكية هانم ؟

- ألا تسمعنى قبل ذلك أن أمر حسن السفرجى ليعمل لمسويك فنجائاً من القهوة ؟ - روح فى داهيه .

- أظال الله عمرك يا وحيدة هانم ، وأبقاك لى ذخراً لا ينفد على ممر السنين . وقام من فوره ومشى مشية الفقهاء الصعاليك وأخذ يفتنى مردداً :

امبارح كنت بقرا فى قرافة المجاورين

وعنها واخذ لك رزه من النسوان اللى قاعدين

وخرج وهو يفتنى ويرقص ، ووحيدة تفرقع بالضحك ، ثم صرخ بأعلى صوته قائلاً :

- يا حسن ! يا سفرجى ! يا ابن الكلب ! فنجان قهوه مظبوط لسيدك صلاح بك ... حالا ...

حالا يا ولد .

وطاد إلى حجرة الضيوف وجلس على الأرض فى مكانه السابق ، تحت قدمى وحيدة هانم ، وبدأ يروى لها حكاياته ونوادره الشيقة التى لا ينضب لها معين ، وكانت وحيدة تصنى له

باهتمام وسرور، وأخيراً تعب صلاح فسكت وأشعل سيجارة، وتمددت وحيدة هانم على الكنبه وأشعلت هي الأخرى سيجارة، وطواهما الصمت برهة، وبدأت غبشة الغروب تسكنسح المكان، وكل شيء ساكن حولها، وكان كل منهما ينفخ دخان سيجارته، وهو تائه في أحلامه، وانتهت السيجارة الأولى، فأشعلت ثانية فثالثة، وهما على حالهما لم يغيرا جلستهما ولم يفتحا فمهما بكلمة، وقبل أن يشعل صلاح السيجارة الرابعة التفت الى وحيدة وقال لها :

- عندى خبر لم أروه لك بعد... خبر بسيط، أتريدى أن تسمعيه ؟
فأجابته فى إهمال وخمول وهى مغمضة العين :
- قل .

- لقد ربحت ألف جنيه .

فتفتحت وحيدة عينيها ، ورفعت رأسها وقالت :

- ربحت كم ؟

- ألف جنيه من ورقة يانصيب .

- ألف جنيه مرة واحدة...؟ كلام فارغ !

- أقسم برأسك الغالى على ذلك ، وها هو المبلغ معى ويمكننى أن أريه لك .

وأخرج صلاح من جيبه رزمة من الأوراق المالية وجعل يمدّها أمام وحيدة قائلاً :

- مائة . مائتان . ثلثمائة . أربعمائة... ألف .

- وكيف حضرت إلى هنا ؟ بتاكسى ؟

- بالترام .

- ألم تخش أن يسرقك أحد ؟

- يسرقنى أحد ! وهل وجهى ينم على أتى من أصحاب الألوف ؟

- ولكن لماذا لم تخبرنى بذلك قبلاً ؟

فتعطى صلاح وقال :

- خبر لا يستحق الاهتمام .

- عجيبه !

- ألم أكسب من القمار ومن السباق مئآت من الجنيهاً ؟

- ولكنك لم تصل إلى الألف .

- المداز عندى سواء... كلها تقود... تدخل جيبى وتخرج منه وأنا لا أشعر بها ، ألا

تذكرى الخمسين جنبها التى تبرعت بها فى يوم واحد للجمعية المواساة ... ؟

- أذكر .

- واليوم سأصرف الألف كلها دفعة واحدة هذا المساء .
 - تريد أن تصرف الألف جنيه في ليلة واحدة ؟
 - ولم لا ؟
 - والله إنك لتعرضني على ضربك !
 - ليتك تفعلين !
 - أليس في رأسك ذرة من العقل ؟ ألا يخطر في بالك أن تشتري لك شيئاً ينفعك ويدر عليك
 بعض الربح... أطيان مثلاً ، أو تشارك في عمارة ، أو ... أو ... ؟
 فضحك صلاح حتى أدمعت عيناه وقال :
 - أتريد أن تجعليني من أرباب الأملاك ... ؟ حرام عليك ... وحق رأسك الغالي إني
 لن أتذير ... سأظل طول حياتي : صلاح الجنون المهرج الذي يسكن في درب القتل ... آه
 يا وحيدة هام ! أنت لم تهميني بعد !
 - وكيف أفهمك وأنت لغز ؟
 - كلا ، لست لغزاً ، بل أنا فكرة بسيطة يمكن كل إنسان أن يفهمها إذا استمع أن يحس
 بالذي أحس به .
 - وما الذي تحس به ؟
 - إني أحس بكره شديد نحو العالم كله .
 - لماذا ؟
 - لأنني مظلوم فيه .
 - ذيرك يحسدك على حياتك الرغدة .
 - حياتي الرغدة ! أجل ، حياة الصعلكة والتهريج ! ولكن ما رأيك في سجناتي ؟
 - يا عمري عليها !!
 - إن الله سبحانه وتعالى لم يخلقني يا وحيدة هام ! إنه شلطني ... مسحني ... أين
 عدله إذن ؟
 - إنك تعرض على حكته تعالى .
 - كلا . ولكنني أتفلسف بعض الأحيان ، وفلسفتي هذه تريحني ، ولني آراء شادة لا
 يقبها العقل السليم ، ولكنها آرائي التي أعتر بها ، والتي أسير في الحياة على مقتضاها ...
 أنعمين كيف أتقت المائة جنيه التي كنت أملكها منذ بضعة أشهر ؟
 - يقولون إنك عشت بها عيشة المومنين أسبوعاً واحداً في هيليو بوليس بالاس !
 - لقد عرفت في هذا الأسبوع معنى العظمة والخفخة والتبذير .

- وفي الغد انتقلت إلى درب القلبي !

- وأكلت الطعمية عند المعلم عبده المخلاقي !

- ألم يكن الأجدر بك أن تعيش بهذا المبلغ شهرين أو ثلاثة في بحبوحة من العيش ؟

- غيرى يستطيع أن يعيش به عامًا كاملاً عيشة طيبة ، ولكنها في نظري عيشة بهائم ...

ليست الحياة أن أعيش كما يعيش الآخرون ، حياة منتظمة ممهدة لا فقر فيها ولا غنى ، إنما الحياة عندي أن أذوق حلوها ومرها ، وأختبر فقرها وغناها . سفالتها وعظمتها ، أريد أن أصرغ نفسي فيها فأصل إلى قرار هاويتها ، كما أصل إلى ذروة مجدها ؛ هذه هي الحياة في نظري أما سواها فلا .

- والله إنني لأعتقد أنك سائر بخطى واسعة في طريق المارستان !

- وهذا اعتقادي أنا أيضاً !

- ولكنك لم تخبرني بعد كيف ستصرف الألف جنيه في ليلة واحدة ؟

- كيف أصرفها في ليلة واحدة ! هل هذا أمر صعب ؟ أعطني مليون وأريك كيف أصرفه

في ليلة واحدة ... عزومة هائلة ، طولة البوكر ، شبانيا ، نساء .

وأخذ صلاح يروي لها كيف يمكنه أن يصرف هذا المبلغ في ليلة واحدة ، واندفع في الكلام بلا حساب وهو معلق في سماء خياله الغريب ، وكان الظلام ينتشر في الحجرة بسرعة ويلفها تحت رداءه الكثيف ، فلم يعد يرى أحدهما الآخر إلا كما يرى الإنسان الأشباح ، وحل عليهما بعد حين الخمول ، فلم يفكر أحدهما في إشعال النور ، وهدأت حركاتهما ، وخفت صوتهما ، وقال صلاح :

- على فكره . ألم تسمي عن واحدة اسمها لوليت ؟

- تخيل لي أني سمعت عنها .

- لوليت هذه من أشهر غوايى العالم ، رفيقة الأمراء والملوك .

- جميلة ؟

- هائلة في حسنها .

- هل رأيتها ؟

- وكلتها .

- (خور)

- وعندى ميعاد معها الليلة .

- (أتلهي) .

- لما ذا (أتلهي) ومحفظتي عامرة بألف من الجنيهاات ... ؟ هذه الألف سأصرفها على

لوليت الليلة ... سأصرفها كلها !

- هذا جنون .

- إنما الجنون أن يكون عندى فلوس وأستطيع أن أمتع تقسى بهذه « المرأة العظيمة » ولا أفعل .

وصمت الاثنان من جديد ، وأقفلا عيونهما ، واستغرقا فى أحلامهما الغريبة ، وبعد حين تكلمت وحيدة قائلة :

- تصرف ألف جنيه على لوليت فى ليلة واحدة ؟ يا سلام ! لابد أن تكون لوليت هذه حسنها لا يوصف ... وأنها مستحوذة على فكرك !

- مستحوذة على فكرى ... ؟ أوه ! ليس إلى هذا الحد ، من هى لوليت التى تستطيع أن تستحوذ على فكرى ، وأنت هنا قابعة فى قلبى ... ؟ يا سلام يا وحيدة هانم ! ألا تعرفين أن جزمك تساوى ألف واحدة مثل لوليت ؟

- يا سلام ... !

- ألا تصدقينى ؟

- كلام فارغ !

- كلام فارغ ؟ إذن أنا كذاب ... أنا الذى لو تكلمت لاسمعتك أشياء لا يخطر على بالك أن تسميها منى .

وصمتا أيضاً ، ولكنه كان صمتا مضطرباً يحيش بشتى الاتصالات ، وتنهدت وحيدة وقالت ، وصوتها لا يكاد يسمع :

- طبعاً تستطيع أن تستحوذ على لوليت بكل سهولة ؛ من يرفض ألف جنيه لأجل ليلة واحدة ؟

وشعر صلاح كأن تياراً كهربائياً قد مس جسمه ، وارتعشت شفاته وقال :

- صحيح . من يرفض ألف جنيه لأجل ليلة واحدة ... ؟

ثم صمت على الرغم منه ، ومرت برهة شعر فيها صلاح أنه يحترق ، وأخيراً ، استجمع قواه وفتح عينيه على آخرهما ، والتفت إليها وقال :

- حتى أنت ... لا ترفضين ؟

وأجابت وحيدة وهى مقفلة العينين :

- ماذا يهم ... ليلة واحدة ؟

فقفز صلاح ورمى بنفسه على يديها وأخذ يقبلها بجنون ، ثم رفع رأسه وأدناه من رأسها وهم أن يقبلها فى فمها ، ولكن - بغتة - أثيرت الحجرة ودخل حسن السمرجى بالقهوة !

وقام صلاح وقد شعر كأن دسًا باردًا انسكب على رأسه ، ونظر إلى الخادم نظرة شذراء وقال :

— ماذا تريد ؟

— أحضرت القهوة يا أفندم .

— قهوة في عينك ، يا ابن الكلب ... نريد شمبانيا ... شمبانيا ... هات شمبانيا ...

وكان يصرخ بانفعال ، فخرج السفرجى مهرولا ، ولبي طلبه في الحال ، وقفل صلاح باب الحجرة ، ووقف بجوار المائدة ينظر إلى القهوة وإلى الشمبانيا ، ثم صب كأسًا وشربه دفعة واحدة . ثم الثانى ، والثالث ، والرابع بالتتابع ، وملأ الخامس ودفعه ليشربه ، ولكن حانت منه التفاتة إلى مرآة بجواره انعكست عليها صورة وجهه ، وحول نظره من المرأة إلى وحيدة وكانت ممددة على الكنبة ينبعث منها سحر وجلال ، فارتعش وتقلص وجهه بإتسامة شنيعة ، وأخذ ينظر بالتتابع إلى صورته في المرأة ، ثم إلى وحيدة وعيناه تزدادان احمراراً ، ثم أخرج الأوراق المالية من جيبه وجعل يدعكها بين أصابعه دعكا عصبياً ، وبفتة رمى بالكأس بقوة على الأرض وصرخ قائلاً :

— كلا ، لا تقبلى ، لا تقبلى .

ونظرت إليه وحيدة في دهشة وغضب وقالت :

— ماذا ... ؟

فهرع صلاح إليها وركع أمامها متوسلاً وقال :

— ستمنلن دائماً إلهى العظيم متبوءة عرشك السماوى ، يغمرنى ضياؤك الوردى ، فأعبدك

وأنا خاشع دليلى : أما أنا فساظل دائماً ذلك الصعلوك القذر والمهرج البشع المخيف .

وحجج الأوراق المالية شذراً وقال :

— أما هذه النقود فاني أمقتها ! أمقتها ! !

وأخذ يمزقها بيده وأسنانه كأنه وحش يمزق فريسته .

وكانت وحيدة تراقبه ودمها يغلى وعيناها تشعان ناراً ، وأخيراً هجمت عليه كالجنونة ،

وجعلت تضربه يديها وقدميها ، وهى تقول :

— اخرج يا ابن الكلب ... اخرج يادون ، ياسافل ، اخرج من بيتى يا حشاش ، ياسكرى ...

اخرج ، اخرج .

وخرج صلاح يحرق نفسه كالكلب الدليل ، وعادت وحيدة إلى الكنبة وانطرحت عليها

تبكى فى ألم وغىظ وهى تردد قائلة :

— ابن الكلب الدون ... ابن الكلب السافل ...

المحاورات السقراطية *

بقلم الأستاذ ا. د. لندساي

تعريب الأستاذ إبراهيم عبد الحميد زكي

٤ — ختام البحث

يلزمنا أن نغير مدلول كلمة الجبل إذا أردنا أن نفهم عز أولئك الرجال الخبيرين عن تعريف ماهية الخير .

ولقد اعترف سقراط بأنه نفسه لم يستطع أن يعرف التفصيلة ولم يجد رجلاً واحداً يمكنه أن يفعل ذلك ، فهل كل الرجال — وهو من بينهم — شريرون ؟
يناقش أفلاطون هذه المعضلة في المحاورة (مينو) ويحلها بأن يضع بين المعرفة والجبل حالة تالثة هي « الرأي الصحيح » .

فالرجال الذين يفعلون فعلاً صائباً إما يؤمنون بالصواب من غير أن يشعروا . ومثل هذا لا يمان الصحيح منحة من الله ، ولا يمكن أن ينقل بالارشاد والجدل . وهذا التعديل يتخلص أفلاطون من هذه الورطة التي وقع فيها سقراط . ومع ذلك فهو يظل محتفظاً بالاعتقاد في أولية المعرفة ، لأن الرجل الذي يعرف التفصيلة هو القادر فقط على إرشاد الخير ، أو هو الكفاء لأن يقيم بوساطة التشريع مقياساً يركى إليه الآخرون في ثقة عمياء .

وعنى ذلك فالفيلسوف العارف يصبح الرجل الطيب الكامل الوحيد . لأن طبيعته من صنع بديه . ومعرفة هذه يمكن أن تدرك بهذا الأسلوب الذي وضعه سقراط ، أي بالبحث الجدلي في طبيعة الخير .

وهذا البحث الجدلي عند أفلاطون مركب . ويتضمن كل ما سواه بدرجة أعظم مما أدركه سقراط أو تصوره . فهو يتبع أسلوب سقراط . ولكن الغاية التي ينشدها ليست غاية منعزلة قائمة بنفسها . ويحس أن توصف مثل غاية الصانع ، بل هي وحدة اتحاريب كلها . ومن الممكن أن تدرك بالعقل ولكن لا يمكن أن تدرك بالحواس .

وحل أناس آخرون هذه المعضلة بطرق أخرى فقالوا إن في الحياة أشياء هي غايات في ذاتها وضربوا لذلك مثلي بالمعرفة والدة . فقد قال الميقاريون إن المعرفة هي الخير . وقال الترمائيون إن اللذة هي المفضلة . ومن المثل جداً أنهم استرشدوا في ذلك ببعض تلميحات في تعاليم سقراط كما هو ظاهر في المحاورة (بروتاجوراس) .

قد ناقشنا الآن الحلول التي وجدها الآخرون لمعضلات سقراط ، والتي يحتمل أنه لم يعن بإيجادها ، فقلما يرى المكتشف موضع النقص في اكتشافه ؛ ولكن إذا صرفنا النظر عن ذلك نرى أن سقراط في الواقع قد حل معضلات نظريته حلا عمليا في أخلاقه ، وهو إذا لم يواجه الصعوبة الناشئة من ضعف الإرادة فرجع هذا جهله بها ، فقد كان رجلا ، إدراك الشيء وفعله عنده يسيران جنباً لجنب ، وما كانت له قوة الرأي وثباته التي لا يمتريها شيء من الضعف إلا ليجرد أنه كان خوا من هذا الضعف ، ومع أنه لم يكشف طبيعة الخير فما تخلى يوماً عن إيمانه الثابت به ، ولا تردد عزمه القوي عن اتباع أحسن المعارف لديه ، ومع أن الجزء غير العاقل من النفس لم يحظ بمكان ما في نظريته ، فإن أثره كان واضحاً كل الوضوح في أعماله .

ومهما كانت تلك الإشارة الخفية التي يؤولها البعض بأنه كان ذا مزاج عصبي صوفي تصحبه أطوار عقلية خفية ، أو كانت - كما يقول البعض الآخر - ما نسميه صوت الضمير ، فلا جدان في أن تلك الإشارة الخفية لم تكن ثمرة التفكير والبحث ، بل هي منحة من الله لتهديه أقوم السبل في مفاوز السلوك ؛ وترى أفلاطون يجعله يقول عنها في الجمهورية : إنها إحدى السبل التي يهبها الله عباده لارشادهم إلى الفلسفة الحقة عندما تكون ضدهم كل المؤثرات الخارجية .

إذن فلم تكن لسقراط كرجل تلك الجانبية الواضحة في نظريته ، ومع هذا فلم يناسبه خصومه العداء بلا مبرر ، فقد كفر هو عن عيوب نظريته ، ولكن هل كان هناك ما يؤكد أن تلامذته وأتباعه سوف لا يتلقون هذه النظرية بدون أن يعنوا باصلاحها بأخلاقهم ؟ وقد قال سقراط أن ليس هناك خير جدير بالحصول عليه إلا إذا استطاع أن يقف في وجه أسئلته ، ولكنه لم يجد ذلك الخير ، وقد سد هذا النقص بأن أضاف من لدنه اعتقاده التام في الخير الذي يسمى وراعه ، وهذا حسن ، ولكن ماذا تكون نتيجة تعاليمه لقوم لم يؤموا بهذه العقيدة ؟ وقد يقول خصومه : ها هنا رجل ينقد ويهدم عقائده ، ويسخر من أساتذتنا الأشراف ، ومن مثلنا ، ثم هو لا يستبدل هذا الذي هدم بشيء ، بل هو يعترف بأنه يعجز عن ذلك كل المعجز ، وإذن فما هي النتيجة المتوقعة لهذا التصرف ؟ وما الواجب علينا أن نفعله إذا كان لزاماً علينا أن نتخلى عن كل شيء يقوم عليه المجتمع ليجرد أننا عاجزون عن تبريره على قاعدة معقولة ؟

وقد أجيب على هذه الأسئلة بإجابتين :

ويمكن أن نلخص إجابة أفلاطون بتلك الكلمة المشهورة التي قالها هيجل وهي « إن ما يجرحه الفكر يمكن أن يشفى بالتعمق في التفكير » فقد كان يؤمن بأنه إذا كانت وظيفة النقد في بادئ الأمر هي الهدم ، فأنما هو يهدم ليبني بناء خيراً من سابقه ، وليس التفكير هو الخطأ ، إنما الخطأ هو التقصير في التفكير ، وحتى أفلاطون يعترف بأن النقد قد يؤدي لبعض

فهو يدعو في الجمهورية إلى وجوب عدم تدريس الجدل في مستهل العمر، لأن الصغار عند ما يبدؤن في تدوقه يتخذونه ألوبة، ويستعملونه لمجرد إظهار التناقض، فيقلدون أولئك الذين يناقضونهم ويناقضونهم سواء بدورهم فرحين بذلك مثل الكلاب التي تسحب وتلف كل ما يكون قريباً منها.

ولكن إذا درس الجدل والنقد وطبق في عناية ودقة، ففي الامكان أن يضعها فقط الأخلاق والظير على أساس ثابت.

وقد قال أناس آخرون غير ذلك، أو على الأقل أحسوا إحساساً مغايراً لذلك، فلم يروا سوى الناحية الهدامة في تعاليم سقراط، وذلك بأنهم شعروا المرة بعد المرة - كما جادلهم سقراط ونقد آراءهم - أنه قد غلبهم جدلاً، ولكنهم ظلوا يشعرون في قرارة نفوسهم أنهم لم يقتنعوا، وأن عليهم - لأجل أن يكون كل ما يرونه ذا قيمة في الحياة - أن يركنوا إلى تلك المعتقدات والأفعال التي لا يمكن أن يبررها العقل.

وفي الابولوجيا يجعل أفلاطون سقراط يقول: إن متهميه يمتنون السياسيين والخطباء والشعراء، وهذا الجمع بينهم ذو معنى. إذ أنهم كلهم يعتمدون على ما يسميه أفلاطون الاستمالة أو الاغراء أو ما يقابل المعرفة، وهؤلاء جميعهم معها استعملوا المعارف فانهم يلجأون إلى تلك العناصر الغريزية العميقة في النفس، وقد قدس سقراط بأجمعهم واتهمهم بالكذب.

وقد استطاع الرجل السياسي أن يرى كيف أن سقراط بالتجائه إلى تشبيه السياسة بالصناعات المتقنة أظهر الديمقراطية في صورة مضحكة، ولم يستطع الخطيب أن يتحمل سماع معمم يصبر على أن الاقناع والاستمالة يجب أن يستمدتا من المعرفة، كذلك الشاعر لم يقو على احتمال هذا النقد الذي يقول إن سلطة الشعر يجب أن تلتبس فقط فيما ينطوى عليه من الحقيقة العمية، وعلى ذلك فإن كان سقراط صادقاً فيتحتم أن يزول الشعر والسياسة والخطابة، وكان أفلاطون على استعداد لأن يقول إن المجتمع يجب أن يتقلب رأساً على عقب، وأن تخضع جميع العناصر للفلسفة، ولكن ليس يستغرب - إذا كان جل من رأى في تعاليم سقراط الدمار المنتظر ولم يكن لهم إلى جانب ذلك إيمانهم هو وأفلاطون بالفلسفة - قول ليس يستغرب إذا شعر هؤلاء بأن تعاليم سقراط تعنى خراب أثينا، وثمة اليوم من يوافقهم فيما ذهبوا إليه، وهذا الحكم هو حكم جميع أولئك الذين يؤمنون بأن الحياة في نهاية الأمر غير عقلية. وبأنها تعتمد على المعتقدات التي لا يمكن فقط أن تهبط إلى مستوى المنطق بل إن من الواضح كل الوضوح أنها ليست منطقية، وبأن الدين والأخلاق والفن كلها غريزية، وبأنها تفسد إذا خضعت للقوة العاقلة التي يجب أن تنحصر في البحث عن تفاصيل آلة الحياة.

في الترية

كيف ننتفع بقوانين الوراثة؟

للاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ الترية وعلم النفس بدار العلوم وكالة أصول الدين

تبين لنا مما سبق (١) معنى الوراثة ، وفهما قوايينها ، وعرفنا الصفات التي تنتقل بها من الأصل إلى الفرع ، والصفات التي لا تنتقل ، وظهر لنا أن الاستعدادات والملكات تنتقل باعتبارها ملكات عامة ، وأن الصفات المكتسبة لا تنتقل كما هي : والآن نريد أن نعرف الواجب علينا عمله للاستفادة من هذه الأول ، وإلا كان بحثنا فيها خطأ ، وإثبات الوقت في معرفتها من العبث الذي لا طائل تحته .

وربما يظهر لك باديء ذي بدء أنه من العبث أن نحاول أن نعلم شيئا ، وأن نعرض أنفسنا لذلك التيار الخطر : تيار الوراثة الذي لا يبق ولا يذر ، ولا يمنع من السير في طريقه ما نر ولا يصده عن غرضه صاد ، فالأمور الوراثية لا يمكن تغييرها ، والصفات التي تنتقل بالوراثة تنتقل - ولا بد - من الأصل إلى الفرع ، رغم أنف من يريد منعها ، فليس من الحزم إذن التعرض لها ، أما الصفات المكتسبة فديست بوراثية ، وإن لو حاولنا معها حاولنا لا يمكننا أن نجعلها بحيث تنتقل من الأصل إلى الفرع بطريق الوراثة ، لأننا قد قسا إن ذلك لا يحصل ولن يحصل .

وإذا لم يكن من الممكن منع الصفات الوراثية من أن تنتقل من الأصل إلى الفرع ، ولا جعل الصفات المكتسبة وراثية ، أصبح من غير الممكن أن نعمل عملا في هذا الباب ، وصارت الترية إذن عديمة الفائدة ، وأصبحت المساعي التي يبذلها المصلحون الاحتيجون مساعي هيلة كاذبة لا قيمة لها . فالوراثة قد حددت مستقبل النوع الإنساني كما حددت ماضيه ، فما علينا إلا أن نحقق مكتوفي الأيدي وننظر إلى قوانين الوراثة تعمل عملها بدون أن نحرك ساكنا في سبيل التدخل في شأنها .

وهذا القول له نصيبه من الصحة ، ولكننا لو أنعمنا النظر ، وتعمقنا في البحث ، وأحسنا

بتاريخ النوع الانساني ، وتتبعنا أطواره التي تطورها حتى وصل إلى الحال التي هو عليها ، رأينا أنه من الممكن الانتفاع بقوانين الوراثة التي ذكرناها من وجوه عدة .

نعم إن الانسان نبيج منهج الوراثة في تطوره ، واتباع قوانينها في جميع أدوار حياته ، ولم نعلم أنه خرج عليها ، أو شذ عن قاعدة من قواعدها ، ولكننا مع ذلك سواء اعترفنا بمذهب الشوء أم لم نعرف به ، نرى أن النوع الانساني في تقدم مستمر ، ورقى مطرد ، من يوم أن طهر عن سطح هذا الكوكب الأرضي حتى عصرنا هذا ، وأن تقدمه هذا ، وانتقاله من حياة بسيطة ساذجة ، إلى حياة معقدة ملتوية الأطراف ، متشعبة النواحي ، لم يكن راجعا إلى تحككه في شؤون الوراثة أو إلى سعيه في إصلاح نفسه ؛ ولكنه سلك في ذلك مسلكا سليما ، فكان تقدمه بطبيعته الميالة إلى الرقي ، الزراعة إلى الرفعة .

وإذا كان النوع الانساني قد تقدم هذا التقدم بطرق طبيعية ، وعلى حسب قواعد فطرية طبع عليها ، فهل لنا أن نفكر في إمكان مساعدته في ذلك الرقي بالتدخل في شأنه تدخلا فعليا معقولا من طريق الوراثة ؟

وإذا سألنا أن نتدخل في شؤون الحيوانات العليا غير الانسان تدخلا أدى إلى تحسين أنواعها ، وتغيير ألوانها ، وتقوية شأنها ، أفلا يسوغ لنا أن نقوم بمثل هذه التجارب مع النوع الانساني كقومه ، ونصلح من شأنه ، ونعطي منزلة نسله ؟

وإذا كنا نرى أن الوراثة تعمل عملها الحسن في بعض الأسرات ، فتعطي شأنها ، وترفع منزلتها الجسمية والعقلية والخلقية ، بينما هي تتسلط على أسرات أخرى فتضعفها إضعافا وتحط من منزلتها وتهوي بها إلى حيث تكون خطرا على اجتماع الانساني ، فلماذا لا نحرك ساكنا ؟ وحتام ترك هذه المشاهدات تمر بدون أن ننتفع بها ؟

أليس من الواجب - والحال كما نرى - أن نبحث عن أسباب تحسن النسل فنتبعها ونكثر من الانتفاع بها ، وعن أسباب تدهوره فنتجنبها ، ونعمل على التخلص منها ؟

وإذا صح أن أسباب التقدم تؤدي دائما إلى نتائج حسنة ، وأن أسباب التأخر تفتج نتائج سيئة . وأن هذا وذلك حاصل أمام أعيننا بدون تدخلنا ، وبدون إرادتنا ، وبطرق طبيعية سارجة يعوزها التنظيم ، وينقصها حسن القيادة ، تبيّن لنا أنه من الواجب علينا تنظيمها وقيادتها ، ولا سيب إلّا ذلك إلا بتحكيم إرادتنا فيها ، كما حكمها في فصائل النبات فقويها ، وحسنا إنتاجها . وفي أنواع الحيوانات والطيور فقويها ، وحسنا نسلها .

فم لا راع فيه أنه من الممكن أن يكون للإنسان الإرادة البشرية دخل كبير في تحسين النوع الانساني ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون رغم أنف الطبيعة ، بل لابد أن يكون على حسب قواعد الوراثة ، وقوانين الفطرة .

فنحن إذا افترضنا تحسين النوع الانساني على العموم ، وتحسين أحوال شعبنا على الخصوص ، فإننا إنما نقترح ذلك ممتدين على قوانين الطبيعة ، وقواعد الفطرة التي فطرنا عليها ؛ وإنما نقترح تحسين الفرع الانساني بالطرق الوراثية ، لأن ذلك من الواجب علينا ، لأننا إذا كنا نعد أنفسنا آثار آبائنا ، وأجدادنا ، وأكبادهم التي تمشي على الأرض ، فسيأتي جيل من الأجيال يخلقنا ، ويكون هو آثارنا ، وأكبادنا تمشي على الأرض أيضا ، فمن الواجب علينا الآن أن نفكر في صالح هذا الجيل الذي سيأتي على إثرنا ، وأن نقسح المجال لارادتنا ، لنعمل على ترقية أعقابنا ، وتحسين أحوال أخلافنا . وكيف يمكن تحسين النسل ؟

الجواب : من جهات متعددة أوردها عليك .

١- الوراثة والزواج :

مسألة الزواج مشكلة من اكبر المشاكل الاجتماعية التي حارت عقول الفلاسفة في حلها ، وجرت اقلام الكتاب في جميع الممالك في سبيل الوصول إلى تعرف معيبتها وحل رموزها ، وإنما نشأت هذه المشكلة من صموبة الجمع بين سعادة الزوجين ، وسعادة المجتمع ، وتقدم النوع الانساني ، فكل زواج لا يؤدي إلى هذه السعادة الفردية والاجتماعية يعتبر ناقصا يستدعي التضحية أو فقد الحرية الفردية أو قصها أو اقراض النوع الانساني أو ضعفه .

وليس هناك من لا يقول بوجوب اختيار الزوجة زوجها أو الزوج لزوجته ، ولكن الناس يختلفون في أساس ذلك الاختيار ، فلكل فيه وجهة ، قد تكون مالية ، وقد تكون اجتماعية ، أو قد تكون راجعة إلى العاطفة والشعور .

ولكن قانون الوراثة يوجب علينا الاختيار من الناحية الصحية ، فهو يحتم على الزوج قبل أن يخطو خطوة في سبيل الزواج ، أن يكون واثقا من صحته وصلاحيته لأن يكون أباً أولاً ، ثم يشرع في اختيار زوجة له بعد ذلك بحيث تكون تلك الزوجة مثله صالحة لأن تكون أمّاً ، أي أنه من الواجب أن يكون الزوجان قوين قادرين في حالة صحية من الوجهة الجسمانية والعقلية والخلقية .

ذلك لما قدمناه لك ، من أن الانسان يرث عن أبويه المباشرين ما يقرب من نصف صفاته الجسمية التي تتبعها الصفات العقلية ، فالأبوان القويان يزيدان في قوة نسلهما ، والضعيفان لا يلدان إلا ضعيفاً مثلهما ، فإن العصا من العصية ، ولا تلد الحية إلا الحية .

هذا أمر لا ينازع فيه العقل ، وقد أتى الشرع بما يعضده ، ألم يخاطب سيدنا نوح ربه بقوله : « رب لا تذرع على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » ؟ ألم ينقل عن النبي أنه قال صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »

ونه قال : « إياكم وخضراء الدمن » قالوا « وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ » قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء » ؟

فقاعدة اختيار الزوج قاعدة أساسية ، شاهد آثارها من قبلنا ، ونحن نرى آثارها الآن ، فمن الواجب أن يعلمها أبناؤنا ، وأن يعملوا بها .

ولا ينبغي لنا أن نهمل هذه القاعدة اعتادا على التربية والبيئة ، فالتربية لا توجد المستحيل ، والبيئة لا يمكنها أن تخرج رجالا متساوين في المقدرة العقلية ، إذا بدأوا معيشتهم فيها وهم أطفال متماوتون في استعداداتهم ، والمدرسة لا يمكنها أن تحدث أى تغيير في مقدرة الطفل ، ولكن يمكنها أن تخرج تلك المقدرة من القوة إلى الفعل ، وأقصى ما يمكنها أن تبرز تلك المقدرة إلى أقصى حد ممكن ، فكما أنه لا يمكن للناطور أن يخرج من الشوك وردا ، أو من الزيتون مشمشا ، ولا للزارع أن يستخرج من الشعير قمحا أو من القطن تيلا ، كذلك لا يمكن للعربي أن يخرج من العقلية الناقصة بالوراثة عقلية كاملة بالتربية .

ولكن ليلاحظ دائما ، أن النقص الذي لا يمكن للتربية إصلاحه هو النقص الوراثي الذي يرجع إلى نقص في تكوين الانسان ، وعلى الأخص في تركيب المجموعة العصبية ، فمسؤولية الآباء حينئذ أكبر من مسؤولية المربين ، والوراثة مسؤولة أكثر من التربية عما في هذا المجتمع من النقص في الخلق والخلق ، فالمربي كالتاجر الذي عنده رأس مال ينميه ويثمره بأحسن الوسائل الممكنة ، فقل لى ماذا يفعل التاجر إذا لم يكن عنده رأس مال ؟ ورأس مال المربي هو الاستعداد الذي يأتي به الطفل إلى المدرسة ، فعليه أن ينميه ويثمره إلى أقصى حد ممكن ، وليس في مقدوره أن يغيره .

فعلى كل من يريد الزواج حينئذ أن يفكر ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على هذا العمل الاجتماعي الخطير ، وعليه أن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها كما يقول الشاعر العربي ، وعليه أن يتعلم كيف يمشي قبل أن يتعلم كيف يطير كما يقول الانجليز .

وإن أنصح لشبابنا ألا يعتمدوا كثيرا على ذلك الشيء الذي يسمونه عشقا أو حبا ، وليس هو بالمعشوق ولا بالحب في كثير من الأحيان ، بل هو عاطفة عمياء ، ومرض اجتماعي أصابتنا به الحضارة الأوروبية الزائفة ، وليس معنى ذلك أن يتزوج المرء ضد إرادته ، ورغم أنف عاطفته ، ولكن معناه ألا يسلس القياد للعاطفة ، وألا يجعلها المقياس الوحيد الذي يقيس به السعادة الأبدية ، فالرابطة الغرامية قبل الزواج لا تكفى لأن يكون الزوجان سعيدين بعمده ، فكم من آلاف غررهم هذه العاطفة ، وظنوها تعفى بهم إلى النعيم الدائم ، والفردوس الخالد ، فإذا بهانتهى بهم إلى الشقاء المقيم والمذاب الآليم ، فهبوا من سباتهم ، واستيقظوا من غفلتهم فندموا على ما فرط منهم حيث لا ينفع الندم ، وكمن آلاف آخرين تزوجوا على غير علم تام بأحوال من

تزوجوا ، وما هو إلا عام أو أكثر حتى تعرف بعضهم أخلاق بعض ومشاربه ورغباته . فعاثوا
عيشة هنيئة ، وتمتعوا بسعادة يحسدكم عليها من غرتهم تلك العاطفة المشؤومة .

فالاختيار المبني على المنزلة الصحية مع شيء من الميل الطبيعي أسلم من الاختيار المبني على
العاطفة المجردة ، على أنه لا مانع يمنع من تمكنت بينهما علائق المحبة أن يتزوجا على شريطة
أن يكونا صالحين للزواج ؛ ولقد فطن بعض الأوربيين لهذا الأمر ، وشعروا بالواجب عليهم
نحو اجتماع من هذه الوجهة فأخذوا على أنفسهم ألا يتزوجوا إلا إذا عرضوا أنفسهم على
الاطباء ، كي يحصلوا على شهادات تشهد بجودة صحتهم وصلاحياتهم للزواج .

ولا يفهم من وجوب الاختيار وجوب اختلاط الزوجين قبل الزواج كما يفعل الناس في معظم
البلاد الأوربية ، فإن هذا ليس من الضروري ، إذ من الممكن تعرف أحوال الزوج أو الزوجة
الصحية بطريقة مشروعة ، ويحيل إلى أن الشارع لم يحل للرجل أن يرى وجه زوجته المستقبلية
ويديها ليتعرف مقدار جمالها فقط ، ولكن ليعرف أحوالها الصحية أيضا .

وعندى أنه من الأسلم تعرف أحوال الزوجة وهي في حالتها الطبيعية ، فإن ذلك أبعد عن
الريبة ، وأتمى للشك ، وقرب إلى معرفة الحقيقة من اختلاط الرجل بالمرأة قبل الزواج بالطريقة
المتبعة في أوروبا التي يجد التظاهر والتصنع فيها مجالا واسعا ، فحياة الزوجين قبل الزواج ومعاملة
كل منهم للآخر في ذلك الوقت لا تعتبر بحال من الأحوال مقياسا للحياة بعد الزواج ؟

حامد عبد القادر

المحاورات السقراطية

(بقية المنشور على الصفحة ١٣٥٥)

ونحن الآن إنما نختلف عن الآتينيين فقط إذا كنا نعتقد ما اعتقده افلاطون . أي إذا قلنا
كما قال : إن قواعد الحياة واجتماع لا تفهم ولا توضح بنفس الأساليب التي يحتاج إليها في
حل المسألة الرياضية ، ومع أن الحياة قد تكون أعمق مما تستطيع قوانا توضيحها . فإن إدراك
غايات الحياة ، والقوة القادرة على رؤية الحياة وفهم معناها ليست مضادة للعقل . ولكنها
تتطلب أسمى تمرين له ؟

ابراهيم عبد الحميد ذكي

المنثور والمنظوم

أيهما أسبق إلى الوجود؟

بقلم الأستاذ السباعي السباعي يومي

مدرس الأدب العربي بدار العلوم

أظنه من الملائم في هذا البحث أن يمرض المتصدي له أولاً وقبل كل شيء للمعنى العام الذي يفهم من كلتا كلمتي: نثر ونظم، حتى إذا جلاه وأبان عنه، وجعل الفارق بين المعنيين واضحاً ملموساً، عمد إلى هذا الفارق يحاكمه إلى الطبيعة، ويستهديه القول، فإذا هو الحكم الفصل والحق المبين. وأظنه من السهل محاولة ذلك، مادامت كل كلمة في ظاهر لفظها تمدنا بالمعنى الذي ينبغي أن يكون الوجه في التفرقة والعامل على التمييز، وأن ماعداه من مدلولات ليس إلاضام متمة لها، انحازت إلى أحد الجانبين، وظهرت فيه بمظهر المختص الملازم لا تعدو أن تكون شركة بينهما غير ناهضة وحدها أن تصلح فصلاً؛ فما هو ذلك المعنى البارز الذي تحمله كل كلمة، والذي من أجله قدمنا تلك المقدمة، وله صدرنا هذا التصدير؟ هو - بلا إجهاد في الفكرة، ولا إطالة في التعبير - أن يلزم الشاعر في شعره ورناً وقافية يجعلانه مقيداً منظوماً، ويتحرر منها الناثر فيجزيء كلامه مطلقاً منشوراً. وإذن، النثر أبسط من الشعر، وفي الشعر كلفة ليست في النثر، والنثر أقرب منسلاً، ورجاله أكثر عدداً، والشعر أصعب محاولة، والشعراء آحاد في أوساط الناس؛ وهنا نسأل نواميس الطبيعة والكون وعوامل النشوء والارتقاء: أيهما لذلك يجب أن يكون أسبق كوناً، وأقدم وجوداً؟ فيكون الجواب - لا محالة - ما أجبتنا به آتفاً من أن النثر أسبق من الشعر.

وليس انحيازنا في التفرقة بين النثر والشعر إلى جانب اللفظ دون المعنى، لأننا لانبغياً بالمعاني، أو لأننا نسوى بينهما فيها؛ فما يجهل أقل المعين بالأدب أن الشعر يعتمد على الخيال أكثر مما يعتمد على الحقيقة، وأنه يستوحى الشهور أكثر مما يستوحى الفكر؛ على عكس النثر فيهما؛ ولكن مهم أغرقنا في التفرقة المعنوية، فليس في استطاعتنا أن نباعد بين الخيال والنثر، ولا بين الشعر والحقيقة؛ فكأن نثر أوغل من شعر في التخيل والتصوير، والتعبير عن الوجدان والشعور؛ وكل شعر هو واه الحكمة والفلسفة، وأدخل في باب التفكير منه في باب الخيال؛ إنما انحزنا إلى جانب اللفظ للأبانة عن وجه التسمية بالنثر والنظم، وأنها لم تكن عبثاً، ولم تأت اعتباراً

إنما وضعها الواضعون عن بصيرة وفكر، لتكون خير معبر عن الفارق، وأوضح مترجم عن التمييز. نعم عطف الواضعون على النظم فوضعوا له اسماً آخر هو الشعر، إشارة منهم إلى أن الوزن والتقنية — وإن وقعت بهما المفاصلة والمخالفة — ليسا وحدهما المكونين للشعر، بل لابد أن يغلب على معناه الشعور، حتى يكون اعترافه من ينابيع الماطقة والخيال أكثر مما يقترب من ينابيع الحقيقة والتفكير.

يقول المخالفون في الفكرة: إذا كان النثر أسبق من الشعر، فما بالنا نجد للأهم القديمة شعراً ولا نجد لها نثراً؟ ولكن فاتهم أن تلك قضية لا تنهها كما أصدروها، ولا تستيسفها كما هيئوها إلا إذا سلمنا لهم بقضيتين أخريين كلتهما أبعد عن العقل من الأخرى.

فأما أولاهما فاتهم يعنون بالأمم القديمة — أول ما يعنون — اليونان والرومان، فينفون عنها النثر ويستبقون الشعر، كأنما كل أفراد هاتين الأمتين أو أفذاذها كانوا شعراء، وكأنما لم تهيب أحوالها الطبيعة — والأولى أمة فلسفة ومنطق، والثانية أمة تقنين وتشريع، ثم هما مما أمتا حكم وفتوح — أحدا من رجالتهما ليدافع عن فكرة، أو يعمل لقانون، أو يدعو إلى حرب ودفاع، وبهلا كان الأسير مع العقل والأطوع للفكر أن يقولوا: كان لها نثر وشعر، ولكن الشعر كان قليلاً، والقليل محروص عليه. فوعته الأفهام وتناقضته الرواة في وقت تمشو فيه الأمية وتندر أو تنعدم الكتابة التي تتسع لقيد النثر، ثم الشعر مع ذلك يسر حفظاً وأكثر ذبوعاً؟ نعم كان لهم أن يقولوا ذلك فيقبل القول ويستقيم الاستنباط ويكونوا بذلك منطقيين كما يدعون.

وما لثانية فاتهم يريدوننا على أن العرب في جاهليتها لم يك لها نثر، وأن ما أثر عنها موضوع مختلق، وهذا لعمرى تهجم على العقل، ومطالبة لنا أن نكون أمامهم أشباح أناسي لا أناسي ذوي عقول، وإلا فكيف لم يك للعرب في جاهليتها نثر، وقد تحدى القرآن الكريم فيه، ووصفهم بأنهم كانوا قوماً لداً « والبدد في اللغة شدة الخسومة والمحااجة » تشبهاً مع ما هو مقرر معروف من أن التحدى لا يحتفظ بكيانه. ولا يكون له قوامه إلا إذا وقع لكل أمة في الباب الذي تزعم فيه نبوغاً، وتدعى لنفسها عليه قوة واقتداراً؟ وإذا كان الأمر هنا كما يقولون: فما كان الأجدد بالقرآن أن ينزل كما نزلت سائر الكتب قبله بلغة لا يرتفع فيها إلى ذروة الفصاحة كما ارتفع حتى يكونوا أفهم لمعانيه وأقدر؟ وقد نزل لهم على الاتفاع بما حواه، ثم يلتبس النبي للتحدى منجى آخر غير الفصاحة والبيان؟ وإذا أتى المخالفون إلا الفصاحة والبيان فإن في مقدورنا — بمجراة لهم — أن نقول كان ينبغي لذلك أن ينزل القرآن شعراً لا نثراً. لأنهم لا زالوا يدينون لبعض الجاهليين بالتدرة على قول الشعر، لولا أن في تلك المجراة هدماً لما لا نرتضى ولا يرضون. فقد جرد الله نبيه من أن يكون شاعراً كما جرده من أن يكون كاتباً، وباعد بين القرآن والشعر، فأعجز به منشوراً مة ذات قدرة فائقة على النثر، وقد أثر عنها منه ما يؤيد تلك القدرة ويشهد بها؛ ولكن ضاع معظمه

وبقي القليل خضوعاً لسنة الكون في الاضاعة والابقاء، ولا محل إذن للشك في هذا القليل؛ إنما الوجه في الشك كان يتأتى إذا كثر أو ياد.

ويقولون أيضاً إن في عوام الأمم الحديثة من يقول الشعر بلغاتهم، بينما لا يحسن أحد منهم النثر؛ وهذا قول لا يسلم به من يختلط بطبقات العوام، ويرقب عن كسب مجرى حاديئهم ومخاوراتهم. فإن في عوام المصريين مثلاً سماراً تدار حولهم الحلقات، وترهف اليهم الاسماع، فلا يزالون يلقون من عذب الحديث وحيل القصص ما لو كان هناك تدوين للفتنة العامة لكان في الذروة من نصوصها والقمة من آدابها؛ وإن في تراشق امرأتين تحتصان في أحقر الأزقة وأدنى الحارات لزوجة لهذا الخصام وقوة بيان لمناحيه لا تقل عن مثيلاتها في محاوراة أو منافرة مما دون لغة الفصحى مثلاً لقوة المعارضة وآية على الاقتدار. وهل تجردت حياتنا العامة من حوادث تدفع ذا زمامة ورياسة أن يحرص ويستنهض أو يخوف ويسترجع، وذا قرابة ولحمة أن يوصى ويرشد ويمظ ويذكر؟ أم هل خلت عاميتنا من حكم وأمثال تضارع في قوة المعنى وشدة الإيجاز نظائرها القديمة، وتحل من قلوب السامعين الآن المحل الذي كانت تحتله تلك في القديم؟ بل لم تحل في نثرها من شيء هو لنثر أختها العربية؛ ولكن كثرته واقتدار السواد عليه صرف الأدهان عن تناقله وروايته إلى شعرها الذي خلا من كثير مما حواه الشعر الصحيح، فقل قائلوه واستخدم دون النثر فيما كان أبقى له وأدعى إلى حفظه من حذاء وغناء، مع ما في طبيعته، فصلا عن تلك الحاجة وهذى القلة من سهولة الحفظ وسرعة الاستدكار.

ثم يقولون: إن الشعر وجد قبل النثر، وحين ضاقت أوزانه عن مظاهر العقل تحلل الإنسان منه إلى المنثور؛ ومعنى هذا - إن كانت لنا عقول - إن العقل الإنساني في طفولته كان قديراً على أن يعبر عما يريد به هذا الكلام الموزون المقفى؛ ولكنه بعد أن ترقى وجاوز دور الطفولة والأدوار التي أعقبته فتم نصجه واستوى ارتد عاجزاً عما كان عليه قديراً، ولجأ في تعبيراته إلى الكلام المطلق من قيد التقفية والوزن. ياله حكماً عليه من أولئك المخالفين! إلا أن يعاند الطبيعة وما اتفق عليه الناس مرغمين. دون أن يكون لهم إلى الخلاف فيه لو أرادوه سبيل؛ ولنا بدرى أيدكرون نتيجة لهذا أن الإنسان خلق متحضراً ثم تبدى؟ أم يزعمون أن اللغة وحدها شئت عن هذا الناموس العام، أو أن الشعر على فرض سهولة التقفية والوزن خلو من كل منطق وتكبير؟ الحق أنا لا ندرى عنهم ماذا نقول، فالشعر بالغا ما بلغ من تصور وخيال لا غنى له في ذلك وفي مراعاة وزنه وقافيته عن عقل يسدى وفكر يهدى. فما بالنا إذا كان بالفلسفة ناطقاً ولادق زمامات العقل مصوراً؟ وقد عينا شبهوه بالدر المنظوم، وما كان النظم يذير مجهود وتدير، وقالوا: «إن من الشعر لحكمة» وما خلا منها منذ عرف في سالف الحقب وسابق الزمان.

بقيت قالة أخيرة حملهم عليها التسليم ببعض الواقع هي قولهم: إنا نقصد بالنثر المتوخر عن

الشعر النثر الفني؛ ولكنهم في عجز أو تعاجز عن تحديد هذا النوع الذي يريدون. لأنهم إن أرادوا بالفنية الاجادة التي نطالعها في أنواع المنشور من حكمة ومثل وخلفية ووصية ومناخرة ومنافرة، عي ن يسموا للجاهليين في ذلك بما هو مأثور، قلنا لهم: إن النثر قد بلغ إذن قبل الاسلام درجة تفوق في مداها وقوة فصاحتها ما وصل إليه الشعر إذ ذاك، وإن تلك الدرجة ما كانت لتكون دون أن يضرب النثر في القدم إلى قرون ينعدم فيها الشعر، أو يكون طفلاً محبوا بينا النثر قائم يجرى على قدمين: هذا إلى ما قدمنا من السنة القاضية بسبق البسيط على المركب، واليسير على العسير، وماتلاها من مناقشة ما يقولون: فإن أنكروا هذا المأثور كما يدعون رددنا عليهم هذا الانكار بما لا سبيل لهم معه إلى كلام؛ ذلك أنهم يعترفون بما ورد عن صدر الاسلام من كل هذه الأنواع، ثم يعترفون مع ذلك بما لها من فنية فائقة على هذا الاعتبار كما يتضح ذلك في كلام رسول الله والصحابة وسائر المخضرمين؛ فهل كان هؤلاء جميعاً قبيل الاسلام من الفهاة بحيث يزعمون، ثم اتقلبوا بين عشية وضحاها تترين مهمرين؟ إنا ننتظر منهم الجواب.

أما إذا حددوا الفنية بالكتابة وأساليبها وصناعة الانشاء ونظمها مما يسوق اليه تحضر الامم ويدفع به تقدم العمران، فإن في ذلك التحديد انصرافاً بهم إلى ما انصرف اليه الناس؛ وإذن فلا جدة ولا خلاف؛ ولكنهم يأبون في هذا - شأنهم في غير - إلا أن يكونوا مخالفين وذوي جديد؟

السباعي السباعي يومي

المجلد الاول

توجد من المجلد الاول مجموعات، ترسل المجموعة الواحدة منه

خالصة أجرة البريد بالسعر الآتي: -

٢٠ قرشاً صاغاً لمصر والسودان

٣٠ قرشاً صاغاً للخارج

وكذلك توجد نسخ من الأعداد السابقة وعن العدد الواحد ٣٥ مللياً.

الجبر والاختيار وأثرهما في الأدب

قد يكون من الخير أن نبدأ بتعريف الجبر كما يفهمه معتنقوه ، وبتعريف الاختيار كما يفهمه معتنقوه كذلك ، ولعل من الواجب علينا أن نتحدث عن أقرب الأشياء إلى مسألة الجبر والاختيار ، وأعني به القضاء والقدر ، حتى إذا استطعنا أن نرسم صورة واضحة عن ذلك كله ، ينشأ الأثر الذي ترتب على كل عقيدة من هذه العقائد ، والسمة التي تغلغلت في الأدب شعره وثره ، فإن الأدب لسان المرء يعبر به عما يتخالج قلبه ، ويحيش في وجدانه ، ويتأثر إلى حد بعيد بما يدين به المرء ويؤمن .

كلمة الجبر يفهم منها أهل العقائد أن المرء في تلك الحياة لا يستطيع أن يقوم بأمر ما بإرادته واختياره ، وإنما يسير مكرهاً مسلوب القدرة والإرادة ، فهو مسير لا غير ، حدد له طريق خاص ، وعمل خاص ، فهو يقوم به مسخرأ لا يقدر على الإفلات منه ، ويذهبون إلى أن ذلك المذهب ريشة معلقة في القضاء ، تعصف بها الرياح كما تشاء ؛ ولقد أخذ أهل هذا المذهب بعدة آيات قرآنية يفهم من ظاهرها أن الله خلق المرء وخلق عمله ، فهو لذلك خاضع لقدرته وإرادته ، يتصرف فيه كما يريد ، وبدهى أن نظرة سطحية بسيطة تكفي لنقض هذا المذهب من أساسه ، فالمرء يأتي ما يشاء بقدرته وإرادته ، ويذره كذلك بقدرته وإرادته . ولهذا قام القتالون بين الناس ، يفصل فيما يأتون ويذرون ؛ ولولا قدرة الإنسان وإرادته لما كان ثمة مبرر لثوابه أو عقابه ، فلندع هذا المذهب المبني على الوهم ، ولنتكلم عن أصح المذاهب وأقواها ، وهو مذهب الاختيار الذي يعزو كل ما يفعله المرء في تلك الحياة إلى قدرته الشخصية وإرادته النفسية ، مستمداً دليلاً من الواقع المحسوس ، والمعتقود المبني على الحدج والبراهين ، وعلى ضوء هذا المذهب نستطيع أن نمنح المرء ثواباً ، أو نصليه عقاباً ؛ ولكن بقيت مسألة القضاء والقدر ، وكثيراً ما اعترض بها المعترضون ، إذ يحسبونها تنافي الاختيار وتناقضه ؛ ولكمهم لو رجعوا إلى الحقيقة لعلوا ألا تنافي هناك ولا تنافر ، وأطن الموضوع يحتاج بعض البسط ، فلنبسطه على ألا تكون بعد ذلك شبهة أو خلاف .

ليس القضاء والقدر إلا علم الله بما سيكون في هذا العالم من خير وشر ، وما إليهما من باقي الأحداث ، ولأن علم الله كامل تام ، فهو محيط بكل شيء ، لا يغيب عنه كائن ، ولا يحرق في الكون شيء إلا بعلمه ، ومن هنا جاءت شبهات الذين يعترضون على الاختيار ، ومنشأ ذلك أنهم رتبوا نتائج وهمية ، على مقدمات لا تنتج لهم تلك النتائج ، إذ قالوا إن علم الله شامل لكل شيء ، والإنسان لا يعمل إلا ما يوافق علمه تعالى ، وإذن فما يفعله المرء في تلك الحياة لا يكون خيراً في فعله ، بل مجبراً عليه ، مضطراً إليه ، وقاتهم أن العلم شيء ، والقدرة شيء آخر ، فالأول

من الصفات التي تكشف الشيء على حقيقته ، فتظهر ماهيته وكنهه ، والثانية من صفات التأثير ، بها يوجد الفعل ويتحقق ، وأظن الفرق واضحاً بين صفة العلم والقدرة ، فأنا أعلم مثلاً أن القاهرة تصاء ليلاً بالكهرباء ، فهل لعلمي هذا دخل قليل أو كثير في تلك الاضاءة ؟ وهل إذا لم أعلم يكون ذلك مانعاً من إضاءتها ؟ وأيضاً أعلم أن أخى سيذهب غداً إلى المدرسة ، فهل علمي هذا له دخل في ذهابه أو عدم ذهابه ؟ أظن الفرق واضحاً جلياً بين العلم والقدرة ، فبينما تبرز الثانية الفعل إلى عالم الوجود ، إذا بالأولى تكشفه وتوضحه فقط ، وكذلك علم الله - والله المثل الأعلى - يكشف له كل ما كان وما هو كائن وما سيكون ، من غير أن يكون لهذا العلم تأثير في فعل المرء أو تركه . فالإنسان يأتي ما يشاء ، ويذر ما يشاء ، بقدرته وإرادته واختياره ، والله يعلم فقط ما يكون منه من حسن وسيء ؛ ولعل معترضاً يقول : وهل يستطيع إنسان أن يفعل غير ما علم الله وغير ما أراد ؟ وكيف للجأبة عن هذا السؤال أن أوجه النظر إلى أن عجز الإنسان عن الخروج على ما علمه الله ، ليس لأن الله سلبه القدرة والارادة ، بل لشيء آخر ، ذلك أن علم الله شامل وصحيح ، فهو لا يعلم إلا ما سيكون ، ويعلمه صواباً ، ولذلك كانت كل أحداث العالم معلومة لديه على حقيقتها ، وكذلك أوجه النظر إلى أن إرادة الله لا تقيدنا بعمل خاص . بل هو يريد منا كل ما تفعله ، وكل ما لا تفعله ، فكأنه يقول : إن فعلتم كان ذلك بإرادتي ، وإن لم تفعلوا فهو بإرادتي كذلك ، وإني قد أعطيتكم الاختيار فافعلوا ما تشاءون ، وإذن فالعقيدة الصحيحة التي لا عوج فيها ، وتوافق العقل والمنطق ، هي تلك التي تثبت للمرء قدرة وإرادة واختياراً ، وثبتت لله علماً كاملاً شاملاً .

والآن بعد أن بينا هاتين العقيدتين ، نريد أن نرى آثارهما في الآداب ، ولعله أثر جليل ، محببة إلى النفس دراسته ، فإن عقيدة الجبر قد أنتجت لنا ثلاثة ألوان من الأدب ، يختلف كل منها عن الآخر اختلافاً بيناً ، غير أنها جميعها تتفق في شيء واحد ، ذلك هو المغالاة ، فبينما تراها قد أنتجت في بعض الأدباء أدباً قنوعاً راضياً بما يوافيه الزمن من حظ سعيد أو غير سعيد ، لا يفكر في أن يجهد نفسه لينال عيشاً أحسن مما هو فيه ، لأنه يؤمن بأن عمله لا أثر له في حياته ، وجده واجتهاده ، لا دخل له في تكوين مستقبله ، إذا بك تراها قد أنتجت في البعض الآخر أدب حب اللذة والاغراق فيها ، اتهاها بالسعادة التي لا يراها إلا على شفتي كاس ، أو بين أحضان غانية ؛ ولماذا يحرم عن نفسه ذلك وهو موقن بأن كل ما ارتكبه ويرتكبه غير محاسب عليه ، لأنه لم يحسن منه شيئاً ولم يرتكبه بإرادته واختياره ؟ وترى غير هذين أدب الزندقة الذي يلقي الشكوك في الدين ، ويعرض الشبه عليه ، يصوغ أسئلة ظاهرها صواب وباطنها خطأ وباطل ، ولعل أظهر أمثلة لهذه الأنواع الثلاثة أبا العلاء المعري الزاهد القنوع ، وعمر الخيام الساعي

بكل جهده لينال حظه من اللذة كاملاً غير منقوص ، وصالح بن عبد القدوس الذى قتل بسبب زندقته .

أنتجت عقيدة الجبر هذه الألوان الثلاثة من الأدب ، وأنتجت أنواعاً أخرى ، لا تكون مثاليين إذا ادعينا أنها هي التى سيطرت على الفكر العربى حيناً من الزمن طويلاً ، فلم نر منهم تمرداً على هذه العقيدة ، ومن حاول الترد لم يلبث إلا قليلاً حتى يعود ثانية إليها ، ومن ذا ينكر أن أدب التشاؤم ، والتواكل ، والزهد ، والقناعة ، والرضا بالقليل ، والركون إلى الأمر الواقع ، والعزلة ، والضجر ، كل ذلك يمت بسبب قريب أو بعيد إلى تلك العقيدة الخاطئة ؟ فالتشاؤم ينشأ من ضعف النفس التى لا تستمد قوتها من بين جنبها ، بل تؤمن بأنها مسيرة مقهورة ، فتخفق فى عملها — بلا ريب — لأنها لا تتقنه ولا تجيده . وإن اصرأ يمتد أن ليس فى استطاعته أن يريد شيئاً أو يفعل شيئاً ، لا بد مفرد فى عمله متهاون فيه ، فيفشل ويخفق ، ويظن أن المستقبل كالماضى يملؤه الاخفاق والخيبة ، فينظر إلى الدنيا إذن خلال هذا المنظار الأسود القاتم ، ولو كان يؤمن بعقيدة الاختيار ، لرأيانه واتقا بنفسه ، مطمئناً إلى همته وعزمته ، وأنه سوف يتغلب على كل عقبة ؛ وكذلك التواكل يمت إلى عقيدة الجبر بأوثق الأسباب ، فرأينا الأدب وانيا متواكلاً ، يدعو إلى الضعف والحول ، وقل مثل ذلك فى باقى الأنواع التى عدتها ، فهى تتصل اتصالاً وثيقاً بعقيدة الجبر ، وترتبط معها ، وإذا شئت تعبيرا أظهر وأجلى فقل : إن كل أدب يقف دون تقدم العالم وسيره إلى الأمام فهو أدب جبرى بحت ، ولعل شعراء العربية كانوا يقفون مكتوفى الأيدي أمام القضاء والقدر ، فيختلط عليهم ويشبه بالجبر ، حتى قل أن ترى فيهم شاعراً قوى الشخصية ، مؤمناً بنفسه ، يملك ثقة ويقينا ، ولعل هذا هو السبب الذى دعا الشعراء إلى التكسب بشعرهم ، فهم ضعاف الشخصية قليلو الثقة بأنفسهم ، لا يستطيعون أن يشقوا طريقاً يصل بهم إلى المجد الحقيقى ، والخلود عن جدارة واستحقاق .

على أنه لا يمكننا إغفال الفلسفة التى أنتجت هذه العقيدة ، وما صبغت به التفكير العربى ، حتى جعلته محصوراً ضمن دائرة ضيقة لا يتعداها ، فقد قصرته على أن يفكر فى العالم الآخر : فى النواب والعقاب ، والجنة والنار ، وصرفته عن الفلسفة المنتجة ، وهى تلك الفلسفة التى تمت إلى الانسانية بسبب وثيق ، فساء ظنه بطبائع البشر ، ولم ينكر فى إصلاحها ، لأنه لا يأمل ذلك الاصلاح ، بل الخلق حسنه وسيئه من الله ، والمرء مجبر على السير فى أحد الطريقين . والقول الجلى أن أثر هذه العقيدة كان فى الناحية الأدبية والناحية الفلسفية هداماً بحتاً ، يقوض دعائم كل تفكير منتج ، أو أدب إنشائى مجيد .

أما عقيدة الاختيار فهى على العكس من ذلك كله ، لأنها تعطى المرء فضيلة الفعل ، وفضيلة

الترك ، وتجعله محاسبا أمام نفسه على كل ما قدم من يقظة أو إهمال ، والمرء بطبيعته يميل إلى إسماع نفسه وترفيها بكل صنوف الاسعاد ، فان كانت عقيدته تملى عليه أن في استطاعته جلب الخير لنفسه ودفع الأذى عنها ، أنتج لنا أدبا مشرقا ، مليئا بالآمال التي تجول في نفس صاحبه ، متحفزا إلى الأمام في كل حين ، فهأنتم أولاء ترون أن فلسفة الاختيار تنتج لنا ألوانا زاهية من الأدب ، وأخص هذه الألوان أدب القوة ، والجمال ، والتفاؤل ، والأمل ، وأظنني لست في حاجة إلى أن أبين وجهة نظري في ذلك ، فقد يكون من الجلاء والوضوح أن المرء إذا اعتمد على نفسه ، واستمد منها العون ، وآمن من كل قلبه بأن نجاحه وإخفاقه إنما هو بما يقدمه من عمل ، وي بذله من جهد ، آمن بالقوة ، واعتقد أنها ألزم صفات الانسانية ، واحتقر الضعف ، وما يتبع الضعف من صفات ، فيبيد أدب الرياء والنفاق ، والخديعة والميلق ، ويزول أدب الكسل وما يتبع الكسل من أدب القناعة ، والرضا بالقليل ، والخضوع للواقع ؛ وإنما إذا قربنا عن أسباب تخلفنا وتأخرنا ، فلا يمكن إغفال أثر أدب الضعف في هذا التخلف ، وأن له حظا من ذلك غير قليل ؛ ولعل أدب الجمال ، ونمى به هذا الأدب الذى يرىنا مباحج الحياة ومناعمها ، يتصل كذلك بعقيدة الاختيار اتصالا وثيقا ، وقل مثل ذلك في أدب التفاؤل والآمال ، ولعل أكبر شاعر في العربية استطاع أن يشعرنا بهيمته وعزيمته ، وجعلنا نقر له بقوة الشخصية ، أبا الطيب المتنبي الذى نسميه بحق شاعر القوة والآمال ، فهو لا يعتمد فيما يريد إلا على نفس قوية وثابة ، وهمة ترى وقوع العوالى بينها وبين أمانها هينا يسيرا ، ثقة منها بالنصر مع ما طال الجهاد ، وظلنا اليوم في هذا العصر أحوج مانكون إلى هذا الايمان القوى بالنفس والثقة بها إلى آخر حدود الثقة ، لنتج أدبا قويا نهاضا ، يقود النشء إلى ذروة العلاء ، وقمة المجد والجلال . وقبل أن أختم كلمتى أشير إلى الحظ ، وتأثيره هو الآخر في الأدب ، لاتصاله الوثيق بمسألة الجبر والاختيار . وقد أكون صادقا إذا ادعيت أن جل شعراء العربية إن لم يكن كلهم يؤمنون بالحظ ويدينون به ، حتى أبا الطيب المتنبي الشاعر القوى ، وقد يكون من إنكار الواقع إذا ادعينا أننا اليوم لا تتأثر إلى حد كبير بمسألة الحظ ، بل ترى من الناس ذا الحظ الحسن وذا الحظ السيئ ، ولعل الحظ - كما يبدو لى - هو القدرة على انتهاز الفرصة ، فنرى ذا الفكر الثاقب الرجيح لا يلبث أن ينتهز الفرصة ، ويقبض عليها قبل أن تفلت منه ، وقد يفقو عن ذلك أحيانا ، بينما لا يفقو سواه ، وهناك تتفاوت الدرجات بين الناس فيصبح أحدهم في السماء ، والآخر في الحضيض ؛ وقد يكون من الحق علينا أن نذكر الدور الذى لعبه الحظ في الأدب العربى ، فظالما سمعنا من الشعراء والكتاب أناشيد السخط والرثاء ، وظالما قمم الشاعر على سواه لأنه نال خيرا منه أو ساله الجد ؛ ويجب أن أوجه النظر إلى أن أدب الاختيار لا ينافيه اعتقاد الحظ ، بل ترى - كما أسلفنا - أن الشعراء الذين يدينون بالاختيار يؤمنون بالحظ ويوقنون .

بشــــــــــــــــار بن برد*

— ٤ —

قيمة غزله وأثره

بقلم الأستاذ أحمد حسنين القرني

فتر الشعر على عهد النبوة حتى لم يعد له أثر إلا في تهجم على مقام الدين الجديد، ورد لهذه الغارة، أو تشجيع على قتال، أو إثارة لمحبة في سبيل انفتح والجهاد؛ فمما وقع الخلافه بين علي ومعاوية نشط الشعراء، ووجد الشعر السياسي بالمعنى الذى يتأدى بهذا اللفظ، بعد أن وضع أساسه في عصر النبوة.

واستتب الأمر لبني أمية فاستأوا الشعراء بصلاتهم، وبقي لأبناء على أنصارهم بالشعر السياسي ما يزال إلى ذلك العهد ناشطاً.

ودالت دولة بني أمية، وحفقت أصوات شعرائهم، وقامت الدولة العباسية، وغمرت المدنية دولتهم وعمتها الرقاهية، وقام ما يلزم المدنية والرقاهية عادة من مجالس لغناء والشرب التى يكون قوامها الفاتنات من الحسان؛ ويتو ذلك، أو هو من مقتضياته، اتغزل... لذلك كان لا بد للشاعر في هذا العصر أن يكون غزلاً سبياً إذا كان الشعر منبهج حياته.

وبشار الذى لم يقل الشعر إلا ليكسب به قوةً ومجداً حتى كان في بدء حياته يهجو الناس فيفزعون إلى أبيه فيوجهه ضرباً فيقول له: (هذا يأت هو الشعر الذى سنجنى - عما قليل - ثمره شيئاً، فان جاءوك فقل لهم: «أوليس الله يقول» ليس على الأعمى حرج؟) فإذا جاءوه شاكين لقيمهم بتلك الحجة المسكتة فإذا يعودون أذراجهم قائلين: «فقه برد أغيض لنا من شعر بشار» بشار الذى هذا شأنه لا بد أن يكون غزلاً؛ ولكن... أى غزل جادت به قريحة بشار؟

هناك أمور لا بد من توفرها في الغزل حتى يكون غزلاً سائماً. منها اللفظ المذهب المختار، والتركيب المحكم، و الخيال السامى مع التناسب بين الغزل والمتغزل فيه؛ وتلك جميعها أمور نال منها بشار ما ليست بعده زيادة لمستريد، فأنت لا تجد في شعره إلا ما عذب من الألفاظ، ورق من التراكيب، واستساغه الخاص والعام؛ أما المعانى فقد دل له صعبها، وسلس قيادها حتى لقد كان يأسى إذا سطا غيره على معنى من معانيه فصاغه في أروع من عبارته، كما وقع له مع تلميذه سلم بن الخمار حين قال بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وقاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقهاء سلم بقوله :

من راقب الناس مات غمًا وقاز باللسنة الجسور

وعندئذ رأى بشار أن الألفاظ استقام منها لسم ما لم يستقم له ، فجزع لذلك واغتم ، وقال :
(ذهب ابن الفاعلة بيتي) وقطع تميذه قطيعة كادت تكون الأبدية لولا من رأب هذا الصدع
من الأصمقاء .

يدلك على ذلك ما كان يحرص عليه بشار من التعبير السائغ ، وحب التفرد والاستئثار
بهذا الامتياز ، وذان أمران يصلان بالشاعر إلى التفوق والافتراء .
ولبشار شعر قد تراه تافها ، ولكنه يعمل لك تماهته . فيعطيك بالتعليل صورة جليلة لشاعريته
التي كانت تناجي الناس على قدر عقولهم ؛ فبشار الذي يقول :

حوراء ، إن نظرت إلي ك سقتك بالعينين خمرأ
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرأ
وكأن تحت لسانها هاروت ينث فيه سحرأ
وتخال ما اشتملت على به ثيابها ذهباً وتبرأ
تنسى القوى معاده وتكون للحكماء ذكراً

وبشار الذي يقول :

ورائحة للعين فيها مخيلة
حصدت عليها كل شيء وسها
وأصفر مثل الزعفران شربته
كأن أميراً جالساً في ثيابها
كأن لساناً ساحراً في كلامها
تميت به ألبابنا وعقولنا
إذا نطقت صحننا وصاح لنا الصدى
ظللنا بذلك الدين اليوم كله
كأننا من الفردوس بين خلود

بشار الذي يقول هذا القول ومثله مما لا يسرى هو الذي يقول في جاريته «ربابة» :

«ربابة» ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فهبك لم تقرأ هذا كله ، أو قرأته غير منسوب لصاحبه ، فهل كنت تظنه لشاعر واحد؟ وهلا
يداخلك الريب في هذين البيتين - إن كنت من متمذهبي الشك - فتظنهما مدخولين عليه ؛ ولكنت

حين تطلع على رايه ، وقد جابهه كثير من المقاد بتسفيهما ، وحين تعلم شيئاً عن حياته ، تراه
كان بليغاً حتى في هذا النظم الذي لاقية له .

لقد كان بشار يحب ذلك النوع الذي نعرفه الآن باسم (السلطة) وكانت تتولى صنعه له
« ربابة » وكان يحب البيض ولا يستطيعه من السوق ، ولم تكن جاريته « ربابة » بالمتقنة التي تخاطب
بلسان الخاصة ، فانظر إليه وقد تنازل في مخاطبتها إلى الدرجة التي تستطيعها ، وهذا من البلاغة
بل هو البلاغة ، فان الكلمة البليغة التي لا تفهم كالطعام الشهى أمام المحموم ، ولهذا كان النساء
يقصدنه دون غيره ليصنع لهن من الشعر ما ينحن به أو يندبن به عزيزاً ، أو يرسلن به حبيباً .
ذلك شأنه في ألفاظه وأساليبه ، وهو شأن من يستحق أن يوضع في مقدمة الغزلين ؛
أمامانيه فكهم له فيها من إبداع يكرهك على أن تحمله عم السبق والأولوية ، وحسبك أن ترجع
إلى المتف اليسيرة التي عرضناها عليك من غزله ، وتستخلص منها المعاني الجديدة التي جادت
بها قريحته الجبارة ، أو حسبك أن تقرأ له مثل قوله :

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

أو قوله :

لم يطل ليلى ، ولكن لم أنم ونهى عني الكرى طيف ألم

أو قوله :

ومرتجة الأعطاف مهضومة الحشا تمور بسحر عينها وتلدور
إذا نظرت صبت عليك صباية وكادت قلوب العالمين تطير
خلوت بها ، لا يخلص الماء بيننا إلى الصبح ، دوني حاجب وستور
وقد أخذ هذا المعنى « على بن الجهم » ولكنه تلطف في الأخذ فأبدل الماء بالحر ، إذ يقول :

ألا رب ليل ضما بعد هجمة وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب

وبتنا جميعاً ، لو تراق زجاجة من الحر فيما بيننا لم تسرب

وكم أخذ عنه الشعراء من المعاني التي فتح له مغلقتها !! بل مالنا ننسق البراهين ، ونستخلص
الحجج على جودة غزله ، أو عو شأنه فيه ، نحن الذين فقدنا شعره فلم تصلنا منه إلا تنف
لا تشفى غليلاً ، وقد شهد له معاصروه بذلك شهادة قاطعة ؟

ذلك لمهدي ، قاله ، الذي كان ذا بصر بالشعر ومعرفة بغنه وسمينه ، ألم يختره من بين الشعراء
غير مرة ، ليصف له شيئاً ، وليقول فيما يشاؤه الخليفة ؟

فمن ذلك أنه أرسل إليه مرة يقول له : (قل في « الحب » شعراً ولا تطل ، واجعل الحب قاضياً بين
الحبين ولا تسم أحداً) .

أليست هذه شهادة لبشار تقطع بتفوقه على معاصريه وهم واسطة عقد الشعراء ؟

غير أنه وقد ملك زمام الغزل أسرف في استعماله ، وأفرط في توجيهه إلى كل من سمع
بجمالها ، أو رن في أذنه صوتها ، حتى لقد ذكر أنه سمع صوت امرأة ففتن به ، فظل يرأسها وهي
لا تجيب ، فلما أزعجتها رسائله قالت لرسوله قل له : ماذا لك فيها وأنت أعمى لا ترى جمالها ؟ وماذا
لها فيك وأنت قبيح الشكل ؟ فهاج هائج ، وجن جنونه وقال لارسول عد إليها فقل لها :

... له فضل على ... هم وإذا أشط سجدن غير أبواب

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائماً فعل المؤذن شك يوم سحاب

فشكت أمره إلى زوجها فأذن لها أن تدعوه إلى بيتها على مشهد منه ليسمع مايقوله لها هذا
الاعمى !! فلما انقرد بها بشار — على زعمه — قال لها :

أمامة اقد وصفت لنا بحسن وإنا لا نراك فألمسينا

فأخذت يده ووضعتها في حجر زوجها ، فقبض بشار يده منتفضاً فرعاً ، وهو يقول :

طلبت غنيمة فوضعت كفي على شيء أشد من الحديد

على ألية مادمت حياً أمسك طائعاً إلا بعود

ولا أقرى لأرض إئت فيها سلام الله إلا من بعيد

وهكذا كان مسرفاً ، وكان مبالغاً في الاسراف وكان لاسرافه ثرسى ، فقد كان أحد
الأسباب — لا كل الأسباب — التي انحلت حياته ، ومما جعل لغزله ، و لاسرافه في الغزل هذا
الآثر السيئ أن شعره كان كالأنشودة القومية فلا يكاد يلقي القصيدة حتى يوكها كل إنسان ،
ويرددها كل مجتمع حتى حق له أن يقول :

وقصائد مثل الرقي أرسلتن فككن شغفاً

أوجمن كل منازل وعصفن بالغيران عصفاً

فكانت أولى النتائج أن توجه العطاء بالرجاء إلى المهدي ، ومنهم خاله ، أن يأمر بشاراً بالكف
عن الغزل ، فأجاب المهدي رجاءهم ولكن ... لا بد للمصدر من نقاش ، فكان مما قاله بعد
هذا النعي :

يا منظرًا حسنًا رأيته من وجه جارية فديته

بعثت إلى تسومني ثوب الشباب وقد طويته

والله ، رب محمد ما إن غدرت ولا نويته

أمسكت عنك ، وربما عرض البلاء وما ابتغيته

ونهاى الملك الهام عن النساء فما عصيته

بل قد وفيت ولم أضع عهداً ، ولا وياً وأيته

وأنا المظل على العدا وإذا فلا الحمد اشتريته

وأميل في أنس الندي - سم إلى الحياء وما اشتبهته
 ويسوقني بيت الحبيب - ب إذا غدوت ، وأين بيته ؟
 قد توجه رغبة الكاتب ، والشاعر بعض الحين إلى غاية يأبأها عليه الملوك فينهونه عنها ، فإذا
 ارتكبت كان ارتكابها بمثابة إعلان الخصومة هي في الحقيقة خصومة شخصية تلبس ثوب
 لمصلحة العامة ، وإن شهدت ذلك الآن فقس عليه الأزمنة الخالية ، فالملوك هم الملوك في كل
 زمن ، والشعراء والكتاب هم عشاق الحرية وعبادها في كل حين مهما تباينت مشاربهم ومهم
 سيموا من الخسف .

نهى المهدي بشارا عن الغزل ، واستجاب بشار لهذا النهي : ولكنك ترى من قصيدته
 السابقة روح الاصرار على العودة ، وتبين فيها نية الرجوع طوعاً أو كرهاً ، فلما طال الزمن
 على حبس لسانه الغزل بين فكليه ، فأس الالباء وتدفقت منه الشتائم موجبة إلى المهدي ، وداعية
 إلى الثورة ضده ، كقوله :

بنى أمية ! هبوا طال نومكمو إن الخليفة يعقوب بن داود
 ضاعت خلافتكم ، يا قوم ! اتحمسوا خليفة الله بين النأي والعود
 فلولا رقة غزل بشار ، واعتنان الناس به ، ما فزع القوم إلى المهدي ، ولولا فزعهم ما نهى
 المهدي عن الغزل ، ولولا نهى المهدي له ، واسترساله في النهي ما هاجم بشار ، ولولا هذا الهجو وما
 تفرع عنه من الشعوية ما قتل بشار قتلته السياسية الشنيعة التي قد أحدثك عنها .
 ولكنك على كل حال قد علمت أن بشاراً كان من أرق الشعراء غزلاً ، ومن أدقهم فيه
 معنى وأسلوباً ؟
 أحمد حسنين القرني

الجبر والاختيار وأثرهما في الأدب

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٣٦٨)

الآن بعد أن قررنا رينا في الجبر والاختيار ، وبيننا أيهما يسير وفق العقل والمنطق - لعل
 طائفة لا يرونها هذا التفسير ، فتسألنا إذن عن التوكل الذي أمرنا به الدين ، وكيف يتفق مع
 المبدأ الذي ننشده ، وهو الإيمان بالنفس والثقة بقوتها ، والركون إلى الهمة والعزيمة ؟ ولكني
 أوجه نظرهم إلى أنهم لا بد متفقون معي على أن معنى التوكل غير معنى التواكل ، فبينما يقصد
 بالأول لا يفتقر المرء بقدرته ، أو يتيه بعزيمته التي تسبب له النجاح والظفر ، لا اعتقاد أن هناك
 قوة أسمى من قوته ، وإرادة أعلى من إرادته ، إذا بالتواكل يدعو إلى الكسل والضعف ،
 ولا اعتقاد على غير ما يعتمد عليه ، فينتج أدبا ضعيفا خائر القوى ، أما التوكل فانه يثمر في الأدب
 أيرك الثمرات ؟
 أحمد أحمد بدوي

فن النشر والاعلان

صناعة تفتقر البراءة التجارية المصرية

بقلم محمد أمين حسونه

أصبح الاعلان في العصر الحاضر من أهم الضروريات اللازمة للإنتاج الكبير، حيث لا ينتج الصانع لنفسه أو للبيئة التي تحوطه فقط، بل للقريب منه والبعيد أيضاً؛ ومن أهم الشروط اللازمة لنجاحه تعريف الجمهور عما ينتجه من سلع وبضائع، وعن موضع متجره أو مصنعه، حتى يتسنى لهم معرفته، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطرق النشر والاعلان.

فالاعلان في العصر الحاضر - عصر المنافسة والمزاحمة الصناعية - أصبح أداة لازمة في نجاح التجارة، ومن أشد الوسائل في تقديمها ورقياً؛ والبيت التجاري الذي لا يعلن عن نفسه قد يعرض نفسه للخسارة الجسيمة وسط هذا التيار الجارف - تيار المنافسة - ولا يمكنه أن يتقدم التقدم الذي يرجي له؛ وقد أرادت إحدى الشركات التجارية الانجليزية مرة أن تخفض في ميزانيتها من باب الاعلانات، فكانت النتيجة أن خسارتها تعدت مجموع ما اكتسبته في سنوات عشر، وانتهى بها الحال إلى كارثة الافلاس.

ومما لاشك فيه أن انتشار فن الاعلان مرتبط تمام الارتباط بتقدم فن الطباعة والرسم مع اتساع نطاق الصحافة ورقياً؛ فالمطبعة قد أكتسبت الاعلان لونا جديداً؛ ومن رينا أن فن الاعلان قد سبق فن الصحافة، وهناك من الأدلة ما يثبت أن الصحافة إنما قامت على مجهود الاعلان، فما من صحيفة في العالم تستطيع أن تنتشر وتعيش بدون اعلان؛ وكثيرون من قراء الصحف العربية في الشرق تتولاها الدهشة حينما يقلبون بين أيديهم صحيفة امريكية مثلاً فيرون أن ضخامة حجمها لا يناسب مطلقاً ثمنها البخر الذي تباع به، والذي ينقص أحياناً عن ثمن الورق، ولو عرفوا السر في ذلك - وهو الاعلان وكيف أن موارد رزقها إنما هي منه - لأقبلوا على نشره في صحفهم متنافسين.

والاعلان فن قائم بنفسه يدرس في الكليات الاقتصادية في أمريكا وأوروبا على أحدث الأساليب والابتكارات العلمية المصرية، وهناك شركات قوية للنشر والاذاعة، تعتمد فيها على قوة الخيال وحسن الابتكار، والامريكيون ينفقون سنوياً ما يربو على ٢٥٠ مليون دولار في سبيل الاعلان عن متاجرهم ومصانعهم.

لقد ضرب الامر يكيون في هذا النوع من الاعلان بسهم وافر، وفلما تدانهم اوتنافسهم أمة في ذلك، فأينا ذهبت وحيثما أقمت، تجد أمامك اعلانات ملصقة على جدران الشوارع والميادين لعامة، وفي دور التمثيل والملاهي و(السينما)، وعلى الشواطئ، وفي البواخر والقطار وعربات الترام و(الأمنيوس) وغير ذلك من وسائل النقل، فضلا عن انتشارها بين مختلف الصحف ومتابين المطبوعات. وبمقارنة مصر بنيرها من الأمم التي تعتمد في نشر تجارتها على الاعلان، نجد أنها لم تبلغ شأوا يذكر في ذلك؛ فطرق النشر والاعلان الحديثة غير وفيرة، ويجعلها أكثر التجار الوطنيين، وهي معدومة بالنسبة للكثير من البيوت التجارية، وربما كان أكثر ذلك راجعا إلى عدم اهتمام الجمهور به، وإلى الأمية المنتشرة بين سكان القرى وبعض المدن، وقص التعليم التجاري، وعدم وجود شركات نشر قوية؛ وأكثر البيوت التي تعلن عن نفسها في مصر هي الشركات الاجنبية التي تعتمد على ربائنها الاجانب قبل المصريين؛ ومما يؤسف له غاية الأسف، أن التاجر المصري لا يقدر الاعلان حق قدره، ولا يكلف نفسه مشقته، وتكون النتيجة أحيانا نوار تجارتهم وكسادها.

وليس لفن الاعلان قواعد مقررة لا يحيد الانسان عنها، بل إنه فن يرجع مصدره إلى تعجب التاجر، يوحى به الخيال وقوة الابتكار، فيخرج للناس في صورة طبقا لتصور صاحبه، فإن كانت عبقرية الناشر فذة، ظهر الاعلان في شكل جذاب يفرى المطلع عليه على اقتناء ما يحويه؛ ومن أهم أسباب نجاحه أن يعرف المعلن عوائد وطباع وحاجة الجهة التي يريد الاعلان في دائرتها، كما يجب أن يمثل الاعلان حقيقة ما يحويه، وأن يكون مابا به مطابقا للواقع. فالاعلان الذي يبنى على هذا الأساس القوي له أثر في اجتذاب ثقة الجمهور، كما يجب أن يكون مشوقا بعيدا عن المغالاة، وهذا أمر يرجع فيه إلى تفنن المعلن وقوة ابتكاره؛ ومن مظاهره المعروفة أن يكون ممثلا بصورة جميلة تميل إليها النفس، وأن يكون غريبا في بابه؛ ومن أمثلة ذلك:

أن دخلت أحد المسارح في برلين طبقة من عليا القوم يلبسون ملابس السهرة والقبعات العالية، وجلسوا في الصف الأول من مقاعد التمثيل وقبعاتهم لا تزال على رؤوسهم، فتضيق الجمهور من ذلك وطلب اليهم حلع قبعاتهم؛ وبعد فترة ليست بالقصيرة، وبعد أن ضاق الجمهور ذروعا، خلعوا قبعاتهم بكل برود وتكلف. فإذا برؤوسهم صلاء، وقد كتب عليها بحروف ظاهرة « استعملوا صابون سانلايت » فدوت القاعة بالضحك والتصفيق، واستطاعوا بحسن ابتكارهم اجتذاب نظر الجمهور وعلى ذكر الصابون نقول إن إحدى الشركات الانجليزية، ولعل اسمها (شركة بيرس)، اتفقت مرة مع جماعة من شبان لندن على ارتداء أغفر الملابس وغشيان اجتماعات الارستقراطية. ولكنهم يستبدلون التحيات المألوفة عند الناس بقولهم لكل من يصالحونه « هل استعملتم صابون بيرس ؟ » فكانت دعابة قوية لهذا النوع من الصابون، ولا تزال هذه التحية الشاذة مألوفة على أفواه بعض سكان لندن كدعابة وللسخرية والمزاح.

وإذا خطر ببالنا التحدث عن غرائب الاعلانات لما اتهمنا منها اليوم، وإنما نذكر على سبيل

الغريبة ما أعلنته جريدة (الديلي ميل) عن تقسها بواسطة طيارة تحلق في الجو، وتخرج من مؤخرتها بخارا ظهر على شكل كتابة بحروف ضخمة « اقرأوا الديلي ميل » وظل هذا الدخان في الجو نحو خمس دقائق فاستلقت أنظار سكان لندن اليه للغريبة التي ظهر بها .

على أن من دواعي نجاح الاعلان ايضا أن يكون قصير العبارة، واضح المعنى، غير محشو بالكلام، وخاصة إذا كان ملصقا بالطرقات العامة، حتى يمكن لراكب الترام أو السيارة أو المسافر على قدميه، أن يقرأه بسهولة وبدون حاجة إلى تهدئة سيره . فكلما قلت الكلمات زاد أثر الاعلان كما يجب ايضا أن يكون لافتا للنظر، بأن يوضع في مكان يراه الانسان بسهولة . وقد ثبت أن اللون الاحمر هو أكثر الألوان اجتذبا للنظر وإلغافا للعين، ولذا اصطلح على أن يكون علامة الخطر، نظرا إلى أن الانسان يراه عن بعد، ولأنه يسترعى النظر بسرعة .

والكهرباء من الأمور اللافتة للنظر أيضا، وخاصة المتحركة منها، فهي لا تترك المارة يسرون في طريقهم دون إلفات نظرهم إليها، وقد توضع في أعلى العمارات ليشاهدها الغادي والرائح . وتسمى أحيانا « بالجريدة الكهربائية » .

ويمكننا أن نقرر على وجه الاجمال أن كل عمل غير عادي في الطريق من شأنه إثبات النظر، فمن ذلك الاعلان بالموسيقى والراديو والتماثيل المتحركة وعمل الزينات الفاخرة، كما أن من شروط نجاحه وضعه في المكان اللائق برواج التجارة المعلن عنها، فليس من اللائق الاعلان عن قبعات في الاحياء الوطنية، أو عن الخمر في مجلة دينية، أو عن مشروط لجراح في مجلة قانونية، أو نحو ذلك . وقد يعارض البعض في مزايا الاعلان بحجة أنه يكون ضد صالح المستهلك، نظرا إلى أن الاعلان قد يكلف المحل المعلن نفقات باهظة لا بد وأن تضاف إلى ثمن البضاعة الأصلي، وبذلك يدفع المستهلك ثمن البضاعة مضافا إليه نفقات النشر، وقد يكون الاعلان مبالغا فيه إلى درجة تغري الجمهور بالشراء دون حاجة اليه، وقد توافق أحيانا أوصاف الشيء المعلن عنه ما جاء بالاعلان نفسه، فيتمسب من ذلك ضرر الجمهور ككثير من اعلانات العقاقير والادوية والمجهرات الطبية .

فإذا سلمنا بالاعتبار الأول، وجدنا أن الاعلان رغمنا عن تكليف التاجر ببعض نفقاته وإضافتها إلى ثمن البضاعة الأصلي، إلا أنه يسبب مزاحمة قوية بين البائعين، فيضطر كل منهم إلى تخفيض أثمان بضائعه إلى الحد المستطاع، وهذا بطبيعة الحال في صالح المستهلك، فصلا عن أن الاعلان يقرب المستهلك من المنتج ويجعل التعامل بينهما مباشرا، وبذلك يمكن الاستغناء عن الوسطاء وعن انتقال البضاعة من يد إلى أخرى، وفي هذا وفر كبير أيضا في صالح المستهلك .

أما بالنسبة للاعتبار الثاني، فانا نرى أن الاعلان المبالغ فيه مبالغة غير شريفة، قد يسيء في النهاية إلى المنتج، ويسبب له سمعة سيئة، فيعرض القاصي والداني عن ابتياع حاجياته . وهناك من وسائل الاعلان وطرق النشر ما لا يحصى . وسوف نعود إلى ذكر بعضها في العدد

المتقبل

محمد أمين حسونه

في المغرب الأقصى

بقلم السيد محمد سعيد الزاهري

المغرب الأقصى أم مراکش ؟

ما الكتاب في مصر وفي غيرها من بلاد المشرق ، فانهم يطلقون كلمة « مراکش » على المغرب الأقصى ، ثم تابعهم على ذلك حملة الأقلام في الجزائر وتونس ؛ وما دباء المغرب الأقصى فانهم يطلقون « مراکش » على المدينة لا على عموم قطر ، وهم يكرهون منا أن نسمي بلادهم « مراکش » وأن نسميهم « مراكشيين » ، بل يريدون منا أن نسميهم « مغاربة » ، وأن نسمي بلادهم باسم « المغرب الأقصى » ، وقالوا إن كلمة « مراکش » بمعنى القطر هي تعريب لكلمة (MARO) الفرنجية ، والحق أن هذه الكلمة الفرنجية هي التي نقلت عن العربية بلفظها ومعناها فقد كان الأدباء العرب يطلقون كلمة « مراکش » على القطر كما يطلقونها على المدينة ، وهناك أكثر من كتاب وضعه الأولون في « أخبار الدول المراكشية » وهم يسمون « أخبار دول المغرب الأقصى » ؛ ونا شخصياً نستحسن أن نسمي « المغرب الأقصى » باسم « مراکش » المدينة التي كان لها على عهد دول الاسلام شأن عظيم ، والتي ما تزال إلى الآن من أكثر مدن المغرب الأقصى سكاناً وعمراً ، والتي هي من أجل العواصم التاريخية لتلك البلاد الكريمة ، كما نسمي المغرب الأوسط باسم « الجزائر » والمغرب الأدنى باسم « تونس » ؛ ومع ذلك ، ومع أننا كلنا « مغاربة » ، فاني نسمي « المراكشيين » باسم « المغاربة » ، وأدعوهم بأحب الأسماء إليهم ، وأدعو بلادهم « المغرب الأقصى » .

وهران (مراکش) !

لو أن كاتباً مغربياً (من الجزائر أو تونس أو المغرب الأقصى) كتب وقال إن مدينة الاسكندرية في فلسطين ، أو إن بيروت هي في مصر أو نحو ذلك ، لا كبر الناس منه هذا الخلط وعصّبوا من أمره ، كذلك نحن للمغاربة عجبنا وتأسفنا جداً عندما رأينا في هذه الأيام جريدة عربية من أكبر الصحف في بيروت تزعم أن مدينة وهران في مراکش (المغرب الأقصى) ، وعندما رأينا أيضاً جريدة كبرى من أمهات الصحف في مصر تنشر خبراً من أخبارها قالت عنه إنه جاءها من تونس بالمغرب الأقصى !! وهكذا كثيراً ما نرى الكتاب والصحفيين في مصر ولشام والعراق وسائر بلاد العرب إذا تكلموا عن بلاد المغرب (الأقصى والأوسط والأدنى) خلطوا في كلامهم خلطاً قاصحاً ، حتى كأنهم يتكلمون عن مجمل من الجاهل التي لم تطأها قدم

إنسان ، فتارة يحسبون أن وهران في مراكش ، وأن تونس في المغرب الأقصى ، وتارة يحسبون أن الدار البيضاء هي من مدن المملكة التونسية . ومن العجب أن إخواننا في مصر والشام وغيرها يحسبون الكلام عن بلاد الانكلترا وفرنسا وهولندا ، ويعرفون جغرافية البلاد الأوروبية وغيرها ، ثم مع ذلك يجهلون جغرافية بلاد المغرب جهلاً يكاد يكون تاماً ، معبثاً . وليس من اللائق أن يجهلوا أو يتهاوا بلاداً تربطها ببلادهم جميع الروابط والصلات ، وليس في بلاد المغرب كلها من يجهل ما بين هذا المغرب العربي وبين الشرق العربي من رابطة العروبة والاسلام ، ولا ما بينهما من صلات في النسب والتاريخ وغير ذلك ، ولا من لا يعتقد أن هذه الأمة المغربية هي شعبة من الأمة العربية الكبرى بما فيها مصر . وأن هذه البلاد المغربية هي جزء لا يتجزأ من بلاد الاسلام ، وهذا هو ما يعتقده العامة والخاصة في الجزائر . وتونس ومراكش .

أصدق كتاب عن « فاس »

ولعل كتاب الأخوين (طارو) هو أصدق كتاب باللغة الفرنسية عن فاس ، وهو أقرب ما كتب عنها إلى الصدق ، ودنى إلى الصواب ، فقد وصف فيه كاتباء الحياة المغربية بناس وصدقاً صراحة عميقة تغفل من اجتماع الفاسي إلى الدخائل والأعماق ، وجدياً فيه الحلة الاجتماعية هناك جلاء واضحا مبنياً . ولكن هذا الأمر لا يكون إلا بعد الدراسة الطويلة ، والبحث العميق . والمسيو جيروم طارو لم يلبث في فاس — وهو مفرد — إلا يوماً قليلاً لاتكفيه لدرس نسبة تاسيس ولا للإصلاخ عن عادتهم وأحلافهم . وهو بعد لا يعرف اللغة العربية إلى يتكلمها عن فاس ولا يتكلمون سواها . فكيف تمكنه أن يخرج لنا من باسمة وباسم أحبه (الذي لم يرفس) فاعتقد (عن فاس هذا البحث الوافي . والدرس المستفيض ؟ لقد كنت في حادثة شديدة من هذا الأمر الذي لا يستطيعه كاتب مهوئ من العبثية والتبوغ . ثم عرفت رجلاً مغربياً من الجزائر لبث في فاس أكثر من عشرين سنة وآخرى بيت كرسه من بوتقة فاس فتزوج بفتاة من بنات النعماء . ودو اليوم من بحر فاس مشهورين . فدكت عن من كتاباً وصف فيه مشاهداته . وما رأته في فاس من لاق وعادات وصدقاً مستوعداً رقيقاً فغص إلى دخائل تلك الحياة وعمقها ... ثم أحجم عن لدره بسبب . لأن فيه مودراً لا تتركه . وإخوانه وصدقه من التاسيس . ولما لقيه المسيو جيروم طارو في فاس — ودو كاس درسي كبير — تعرف إليه ، وهدى إليه هذه المذكرات . ومسودات هذا الكتاب ليتكلم بها ما يشاء . فتناول لأخوان (طارو) ذلك بذيء غريبين من التحوير . وكسود من فصاحة التسوب وسحر البيان أجل الحلل وبدعها . فاستحقا بذلك أن يكون هذا الكتاب لهم لا لغيرهم . وقد قالت العرب الأولى : « إن من استرقه ، فقد استحقه » (١) :

(١) علي أن لطارو فيما كتبه عن فاس هنات وهنات لا تغفل من سوء نية .

حوار طريف:

وقعت بين المسيو جيروم طارو وبين « شيخ الجماعة » في فاس محاوراة طريفة لم يذكرها طارو في كتابه عن فاس ، وهو « حوج ما يكون » ليها ، وقد ذكر محاورات جرت له مع وريو العدلية وغيره فيما كتب عن الرباط : وهي محاورات حول « دوران الأرض » أنكر فيها معاني الوزير المغربي . أن تكون الأرض هي التي تدور . وتي بحجج على ذلك هي غاية في السجف واتناهة مثل قوله : لو كانت الأرض هي التي تدور كما يقال لسقط كل من عليها من إنسان وحيوان ودور وقصور . ولهو في ذلك كله في مكان صحيح ، وقوله : لو كانت تدور لتهدمت المنازل والبيوت ولشعرنا نحن بذلك . وما إلى هذا من الحجج والبراهين ... وهذه المناورة التي جرت بين طارو وبين « شيخ الجماعة » في فاس هي من هذا القبيل . ولأن طارو فهمها على وجهها لثار بها فرحاً وسروراً . ولوجد فيها لقائه موضوعاً خصيباً ؛ ولكن الترجمان الذي كان بينهما لم يكن ينقل إلى الأديب القرني أقوال شيخ الجماعة نقلاً مطابقاً بل كان يحرف الكلم عن مواضعه . وكان يرد على أسئلة طارو بأجوبة من عبده هو . ويحمل أجوبة الشيخ عمداً ولا يترجمها .

و « شيخ الجماعة » في فاس هو شيخ جامع « القرويين » . وقد أراد طارو أن يجتمع به وأن يراه . فطلب إلى ترجمان موظف هناك أن يجمعه بشيخ الجماعة فوعده هذا الترجمان جراً . قال ترجمان (وهو الذي زوى عنه هذا الحديث) : لا أكتمك أني فكرت في مكان لا اجتماع يوجدت في هذا الأمر صعوبة وعسراً ، فهل أجمعهم في فاس ؟ (انترازا — ثلاثيك) الصخرة حيث يقيم المسيو طارو ؟ وهذا أمر مستحيل لا يكون بحال لأن الشيخ رئيس القرويين يرى أنه إن حل هذا المصدق أو فندقه آخر مثله أو أي مكان من هذا النوع . فكأنما عصى الله ربه ! أم هل أجمعهم عند الشيخ الرئيس في مكتبته الخصوصي ؟ وهذا أيضاً لا يمكن . لأن الرئيس ليس له مكتب بالمرة لا خصوصي ولا عمومي ؟ قال الراوي : ثم اهتمدت حيراً إلى حل المشكل ، وجمعتهم في مكتبي أنا . قال : وحضر طارو ولا ثم جاء الشيخ الرئيس فقام الأول إحلالاً له والسلام عليه ، وحضر قبعته من على رأسه ، ومد يده يصافح الشيخ ، فقد هذا بدوره إليه يده متقاطعة كما رها مشمراً كأنه يخاف أن يأثم تصاخة هذا المصراي !

وقال طارو لشيخ : إنساوان كنا شتلفين في الجنس واللغة . فاني وبينك غير ذلك رابطة أخرى هي فضل الروابط وأمتنا . وهي رابطة العلم والأدب ... قال الراوي : فكره الشيخ الرئيس هذا الكلام وقطب في وجه الزائر لأنه يعتقد أن من لا يقرأ « مختصر خليل » في الفقه المالكي لا يكون عالماً ولا أديباً . أي أن العلم والأدب في نظر « شيخ القرويين » هما « مختصر سيدي خليل » فقط لا غير ، وسأله طارو عن سير التعليم في « القرويين » وهل

يسير على وفق المناهج والأنظمة المتبعة الآن في الأزهر الشريف؟ قال الراوى: وكان طارو قد رار مصر، وحظى بمقابلة صاحب الفضيلة شيخ الأزهر، وعرف حالة التعليم هناك. فأجاب الشيخ الرئيس بأن التعلم في « القرويين » على غاية ما يرام يسير على أحدث المناهج. وفضل الأساليب قال الراوى: والواقع أنه لا نظام في « القرويين » البتة، بل ولا يكاد يوجد فيه إلا تعليم عقيم لا فائدة منه ولا خير فيه. والشيخ لا يفهم ما هي المناهج ولا ما هي الأساليب لا في التعلم ولا في غير التعليم. ولما قام « الشبان المسلمون » وجماعة الإصلاح الاسلامى في مرا كثر يطلبون باصلاح التعليم وتنظيمه في « القرويين » كان هذا الشيخ الرئيس أول من أفتى بكفره!... وسأله طارو عن أساتذة « القرويين » هل يحملون شهادات علمية من جامعات معترف بها؟ وهل يتقاضون مرتبات شهرية كافية؟ فأجابه الشيخ بأنهم يحملون شهادات علمية من نفس « القرويين »، وبأنهم يتقاضون مرتبات شهرية كافية لا يطلبون فوقها مزيداً. قال الراوى: والحقيقة أنه ليس في « القرويين » أى نوع من أنواع الامتحان بالمرة، وليس فيه أية شهادة علمية. لا ابتدائية ولا غير ابتدائية. ولا ينقسم طلبته إلى طبقات وأقسام ولا إلى فرق وفصول، وإنما يقرأون غالباً « مختصر خليل »، يجتمع عليه الصغير المبتدىء والكبير المنتهى في آن واحد. وأما المرتبات فإن من دؤلاء الأساتذة المدرسين من يتقاضى شهرياً مرتباً مبلغه خمسون فرنكاً فقط. ويوفره جارية من يتقاضى ما مبلغه مائتان من الفرنكات شهرياً. على أن هذه المبالغ لم يكن يسلمها مستحقوها بانتظام، فربما تأخرت، وربما « هلكت » في الطريق. وهضى طارو يسأل الشيخ الرئيس أن يوازن له بين « القرويين » وبين « الأزهر » وبين حالتى التعليم فيهما، فأجابه الشيخ بأن التعليم في « القرويين » هو خير وأفضل من التعليم في « الأزهر » فقال طارو: وما هو وجه هذه الأفضلية؟ فأحسد الشيخ الرئيس ولاد يتميز غضباً وغيطاً، وجمع يده اليمنى بقوة وجعل يدق بها كف يده، ويعزقها عزقاً عنيفاً وهو يقول: « التدقيق، التدقيق، التدقيق » قال الراوى: ولا أكتفك أنى حرفت كلمة الشيخ هذه، ولم أترجمها لطارو، كما حرفت غيرها من أجوبة الشيخ وأقواله لما رأيت فيها من عدم اللياقة.

وهنا لا بد أن نذكر أن هذه المأودة قد وقعت منذ أعوام؛ وأما اليوم فقد صدر ظهير سلطاني (مرسوم ملوكي) بتنظيم التعليم في « القرويين »، وبجعله على ثلاث درجات، وبتصنيف المدرسين والمعلمين إلى ثلاثة أصناف، يتقاضى المدرس من الصنف الأول مرتباً شهرياً مبلغه ألف وخمسمائة فرنك، ويتقاضى المدرس من الرتبة الثانية ألفاً ومائتين من الفرنكات، ويتقاضى الثالث ألف فرنك. وتشرفت في هذه الأيام بمقابلة صاحب المعالي وزير معارف المغرب الأقصى، وسألت معاليه عن هذا « الظهير » هل نفذ فعلاً؟ وما هي النتائج التي تنتظر منه؟ فقال: « إن المراد من هذا الظهير هو تحسين مرتبات الشيوخ المدرسين في كلية القرويين، وهذا

هو "مما حصل لحد الآن . وما سيحصل من سريان العمل بهذا الظهير... " . وهذه غاية شريفة جداً لأنه ليس من الحق أن يكون رجل الشرطة وصغار الموظفين بالآلية الثريفة يتقاضون مرتبات وافرة ضخمة . ثم لا يتقاضى علماء القرويين إلا مرتبات تافهة ضئيلة لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهذا ما جعل الناس في المغرب الأقصى يقبلون على المدارس الفرنسية إقبالاً كثيراً . وجعل بعضهم يعتقدون أو يزعمون أنه لا فائدة في العربية ولا في تعلمها .

« مختصر خليل » : وهذا الكتاب في الفقه المالكي له قيمة عظيمة عند الناس في بلاد المغرب كلها . وربما قدسته العامة تقديماً . وجعلته بمنزلة القرآن الكريم ؛ و « العالم » أو « الأديب » الذي لا يبرز في استظهار « مختصر خليل » وفي حفظه ، لا يكون له عند العامة وأشباه العامة من طلبية الجزائر ومراكش أدنى قيمة ولا اعتبار ؛ وقد يبلغ الرجل رتبة عالية في العلوم والأدب ويعترف هؤلاء الناس بفضل علمه ، وتكون له شهرة واسعة يتمتع بها بين مختلف طبقات الناس ، ومع ذلك فإذا تمكن أحد خصومه من أن يرميه بأنه « لا يحب مختصر خليل » أو بأنه « لا يتم بهذا المختصر » كان ذلك وحده كافياً لاسقاطه من قمة الشهرة وأبعد إلى الخسيس الأسفل من الملقب والاحتقار ؛ ولهذا « المختصر » أنصار ومريدون في الجزائر وتونس ومراكش يسمون أنفسهم « خليليين » .

وقد بلغ من عناية الناس بهذا المختصر أنهم جعلوا له في جامع « القرويين » « حزاية » كما تقرأ « حزاية » ؛ و « الحزاية » هي جماعة من حفظ القرآن الكريم أو من حفظ « مختصر سيدي خليل » يجتمعون كل يوم في وقت معين . ويتلون معاً (حزباً) أو (حزين) (جزء) من القرآن أو من (مختصر خليل) عبادة وتبركاً ، ثم يهدون ثواب ذلك إلى أرواح أهل الخير الذين وقفوا أوقافاً خيرية ينفق ريعها على هؤلاء (الحزاية) .

ومن العجيب أن (حزاية مختصر خليل) في (القرويين) يتناولون مرتبات شهرية هي أوفر وأسنى من مرتبات الكثيرين من (حزاية) القرآن الكريم ؛

محمد السعيد الزاهري

وهران (الجزائر)



الى حضرات المشتركين

ترجو الادارة حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراكاتهم ان يبادروا بارسالها
رأساً الى إدارة المجلة ولهم الشكر

٤ - الكتاب والادباء المعاصرون

أنطون الجميل

أو العاطفة الفنية في صناعة الأدب

بقلم الكاتب اللبق: الأستاذ أحمد عبد الحليم العسكري

إذا كان أدباء الغرب المعاصرون قد عنوا كثيراً بدراسة الأدب دراسة تحليلية مهيبة منظمة ، فإني أعتقد أنهم أفادوا كثيراً بهذا النوع من الدراسة ، وانتهوا في إفادتهم إلى إفادة الناس وتثقيف ملكة الاحساس عندهم بما وضعوه من المبادئ والقواعد البيولوجية التي تصور لنا نفس الانسان وعقله وعواطفه في مختلف الأطوار والصور والأزياء .

أريد أن أقول: إن أدباء الغرب وباحثيهم وفلاسفتهم قد استطاعوا أن يستنبطوا من الأدب العام الذي ندرسه في المدرسة وفي الكتاب أدباً خاصاً أطلقوا عليه اسم علم النفس . وجعلوه كالمرآة المزجاة الجلوة تترآى فيها نفس الجماعة الهدامة البناية ، المتحسسة المائتشة ، الهدئة الرزينة ، ونفس الفرد المنعزلة المتواضعة ، الخاضعة المستكبرة ، العاتية الضالة ، الجوحة الضموحة إلى معاني الشر وألوان الايذاء .

وأنت تستطيع بهذا العلم الجديد الوليد أن تميز بين الأجناس والطبائع ، وأن تقر لأهم المختلفة المتباينة في أخلاقها وطبائعها ، ولئن كانت اللغة العربية قد حلت من هذا النوع من الأدب ، فما ذلك إلا لأن أدباءنا قد انصرفوا في دراساتهم وبحوثهم إلى المنفعة الداتية دون سواها ، أو أن المنفعة الداتية قد ارتفعت أثمانها في هذا العصر الذي ارتفعت فيه الأثمان ونحست البضائع . فكانوا لها عبيداً نعم العبيد ، وانطلقوا يشدون مرضاتها ولو كانت في اهدار الأدب وانحطاط معانيه ، وإن حال اللهجات التي لا تتم إلا على الرماية والتحجير .

أو فما ذلك إلا لأن الأدب قد تواضع في هذا العصر حتى احترفه كثير من الغوغاء فوجهوه إلى غير قصده . وذهبوا يتلبون سطورهم وآياته مساهم يجدون بينها من « القروش » ما يتلبون به . وما يشد أزرها في مواطن الضراعة والدعاء والابتهاال ، غير ناظرين إلى ما يبدأ عن ذلك من الآثار والنتائج ، ولو كانت تلك الآثار والنتائج في إرافة ماء الحياة وفي قتل العاطفة الخلقية وتشجيع الفضيلة إلى مقرأها الأخير !!!

والآن أفكرك يا صديقي يا صاحب « المعرفة » لأنك أتحت لي نوعاً من الدراسة التحليلية كنت أصبو إليه منذ زمان ؛ منذ ذلك اليوم الذي جلست فيه أنا بين طلاب الأزهر أستمع وأصني في تلهف وشغف إلى ما يلقيه الشيخ علينا من المبادئ المنطقية والقواعد الفقهية الدينية، والأحكام التي حلص من بحثها، سأتذنها التذمنا، ولما تسم هي بعد من الآفات والعلل ؛ وإني لأعتر لك عن مديحك والثناء عليك والاطناب بمجهودك لعظيم الذي تبذله في سبيل صناعة الأدب ؛ تلك الصناعة الجميلة المديثة التي قلت لك إنها قد تواضعت في هذا العصر حتى احترفها بعض الغوغاء والسوقة فزلوا بها إلى غير منزلها، وتدلوا بمعانيها إلى غير ما حصصت له ؛ فأشعقت عليها أنت من هذا العرض المبذل، وصرفت جهودك لترفعها ثم لتجولها من ذلك الصدا الذي كساها من جراء ذلك الاحتراف الوضع .

ولكنني أعود اليك فأؤخذك لأنك فرضت على نوعاً معيناً من الدراسة التحليلية، وجئتي بشخصية كنت أود أن لا تكلم عنها لكديلاً تهتم بالتحير والاهابة ؛ فأني قبلت هذه المؤاخذة البريئة فأقبل معها تحيتي الصادقة على هذا الشعور الكريم الذي جعلك تود منذ زمان دراسة أنطون الجليل . وتحب أن تجعل منه مادة أدبية للدراسة التحليلية المهذبة المنظمة ؛ وإن مثلك في هذا الشعور كمثل البستاني ينظم الحديقة، ويتعمد زهارها وورودها لكي ينتفع ويتمتع بها جميع الناس، حتى أعداؤه وخصومه الألداء ؛ ورجو أن يكون هذا المثل الذي أصربه لك غير مصر عن الأداء . إذ نني أعتقد أن دراسة « أنطون » من الأشياء الثمينة التي تستمتع بها أنت قبل غيرك من الناس، وأتمتع بها أنا قبلك، ويتمتع بها الناس من بعدنا ؛ وقد تنتقل هذه المنفعة الأدبية إلى أبنائنا وأحفادنا، فيحمدوا لنا هذا الصنيع وتلك اليد البيضاء .

كنت في حياتي الدراسية الأزهرية قرأ مجلة « الزهور » وقرأها معي إخواني الطلاب، وكنا تتسابق في قراءتها لأنها تفيدنا كثيراً في دروس : الإلقاء والنحو والصرف، والبلاغة، والعروض ؛ وكان الشيخ الذي يدرس لنا تلك الدروس لكن العبارة، مبهم التعبير، قاصر الباع، لا يدرك سرار اللغة وبواطن الأدب العربي كما يجب أن تدرك ؛ وكان يقال لنا : إنه فقيه، وإنه عالم وإنه ديب من طراز صاحب لصناعتين والأغاني والأملاني ومن إليهم من خول الأدب العربي ؛ ويقال لنا كذلك إنه مؤرخ عظيم يجيد التاريخ في الآثار الإسلامية وفي « الخطط » التي أحتمها الملوك والأمراء والغزاة المسلمون الذين تعاقبوا على حكم مصر الإسلامية، ووصفها المقريري وابن إياس، وعبد اللطيف البغدادي، ومن إليهم من فطاحل مؤرخي الخطط والآثار، وكان الطلاب جميعاً يصدقون مثل هذه الأقوال ويعتقدون أن سكوت الشيخ في مواقف الإحراج بمثابة الوقار للعلماء ؛ وكنت أنا أشد عن إجماع الطلاب وأعتقد أن الشيخ، عفا الله عنه، لا يعرف من الآداب العربية إلا بعض النظريات العامة التي يتساوى في معرفتها الطالب

والمدرس، ويلم به كل الأئام جمهور المتأديين والمتعلمين؛ وكان الشيخ يحس من هذا الشعور فيحتمل على. ويدأب على التفنن في الأيذاء والأضرار بي، إلى أن كانت مناقشة حادة بيني وبينه، قال الشيخ في حلالها: إنك عاق وإنك غير مؤدب؛ وإنك كذا وكذا الخ؛ ولم يدعه فأخذ مني عدداً من مجلة «الزهور» كنت أقرأ فيه؛ وتصفحها ثم أعاده وطلب إلى أن أقرأ عندهم الطلاب هذين البيتين:

إن الكريم إذا نالته محصة أبدى إلى الناس رياءً وهو ظآن

يطوى الصلوع على مثل اللظى حرقاً والوجه طلق بماء البشر ريان

فلما قرأتها في إبانة ووضوح طلب إلى أن أعربهما. وأن صرف العاطفهما في مجال لأعراب. فصعدت بأمره وأجبت طلبه. ولما انتهيت أخذ المجلة ثانية وتصفحها ثم عادها إلى وقال: إقرأ هذا؛ وأشار إلى مقالة مسهبه جاء فيها أن محمد بن واسع قال لقتيبة بن مسلم «إني أيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فأذن الله فيها قضيتها وحمدك، وإن لم يأذن الله فيها لم تقصها وعذرك». فلما سمع الشيخ هذا الكلام العربي الجزل قال أعذنيه، فأعدته مرة واثنين وثلاثاً. إلى أن ابتسم الشيخ في وجهي وقال صفحت عنك؛ وطلب مني أن أعيره ذلك الجزء من مجلة «الزهور» فأعرتة إياه، ولما انتهى من قراءته أرسل إلى أنطون الجميل يقول له: عذبي مشترك في مجلتك، وكان كلما وصل إليه عدد أحضره بين يديه وأخذ يدرس لنا فيه الأدب العربي في مختلف أطواره وعصوره حتى اشتهر عنا هذا وأذيع، فوصفنا بعضهم بأننا طلاب في الأهرام اسمًا وجسمًا، وفي مجلة «الزهور» روحًا وعقلاً وماطقة.

أصبح معروفًا عنا نحن طلاب الفصل الرابع من السنة الخامسة الابتدائية، أننا نطلب العلم والأدب في مجلة «الزهور» التي كان يصدرها أنطون الجميل. وأصبح الشيخ الذي يدرس لنا الأدب من مشتركها وقراءها؛ وكنا جميعاً نقرأ ما يكتب فيها من القصص الأدبية الرائعة والفصول الاجتماعية السلسة الخصبه بشغف وإمعان؛ وكنا جميعاً نستلذ من قراءتها فنستظهرها، ونفهم معانيها ونستقصى أحكامها وعظائنها في كثير من اللطف والحنان؛ فلما كان آخر السنة وتقدمت إلى الامتحان الشفهي، سألتني أحد الأساتذة أن أقرأ له شيئاً من «المحفوظات» في الشعر أو في النثر، على أن أذكر المصدر الذي استقيته منه، فعدت إلى ذاكرتي أستحيثها وأستحجمها وأستعديها على هؤلاء الأشياء الذين كنت أتمرد عليهم في كثير من المواضع، كما تعرف أنت. وأخذت أقلب في رأسي ما قد قرأته إلى أن تذكرت قصيدة للشريف الرضي كنت درستها في مجلة «الزهور» جاء فيها:

وكم صاحب كالمح زانغت كعوبه أبي بعد طول الغمز أن يتقوما

تقبلت منه ظاهراً متبجلاً وأدمج دوني باطناً متجهماً
 فأبدي كروض الحزن رقت فروعها وضمر كالليل الخدارى مظلماً
 ولو أننى كشفتته عن ضميره فقت على ما بيننا اليوم مائماً
 كمضو رمت فيه الليالى بشادح ومن حمل العصور الأليم تألماً
 إذا أمر الطب اللبيب بقطعه أقول عسى ضنا به ولعلماً
 صبرت على إيلايه خوف قصه ومن لام من لا يرعوى كان لوماً
 هي الكف مض تركها بعد دائها وإن قطعت شانت ذرعاً ومعضماً
 دع المرء مطوياً على مادته ولا تشمر الداء العضال فتندماً
 إذا العضو لم يؤلمك إلا قفنه على مضض لم تبق لحماً ولا دماً
 ومن لم يوطن للصغير من الأذى تعرض أنت يلقى الجمل وأعظماً

وبعد أن قرئت هذه الابيات سألني رئيس اللجنة عن المصدر الذي استقيمتها منه. فقلت: إنه
 ياسيدي الأستاذ مجلة « الزهور ». فأجابني: مجلة الزهور !!! فيم تصدر !!! ومن ذلك الذي
 يصدرها ؟! فقلت: إنها تصدر في القاهرة لصاحبها ورئيس تحريرها أنطون الجليل: وهنا بدرت
 منه بادرة اعتقد أن شيوخ الأزهر يستنكرونها الآن. ويتقدمون على الأقل أنها تتضمن الخطأ
 الصراح، تلك قوله: لا اظن هذا صحيحاً، إذ لست أعتقد أن مسيحياً كائناً من كان قد تعمق
 في الأدب العربي حتى انتهى إلى مثل هذا الاختيار القاريق: العذب الخصب !!!

ولكنه ياسيدي الأستاذ مسيحي ديناً عربي أدبياً: وقد انتهى في دراسة الأدب العربي،
 إلى تعرف خططه وأكماره، وضعته ونغمته، وبهائه وروائه: وقد انتهى من هذا كله إلى أن نصب عقله
 ميرانا ووضع في كفتيه صحيح الأدب وزائته: وإلى أن قل لنا في مجلته: خذوا هذا الموضوع
 فادرسوه على شعاع تلك الحكمة التي يرمى إليها. وخذوا هذا الشعر فاقروه وأمعنوا النظر فيه،
 ثم صوروا إلى العصر الذي قيل فيه. وخذوا هذا المقال فاعنوه ومحصوه، واستنبطوا من بين
 سطوره وألفاظه كل الغايات التي يرمى إليها: وليس حسناً أن تعملوا ذلك غسباً. بل قارنوا غايات
 الأدب العربي ووسائله في القرن الثالث للهجرة أو الرابع مثلاً. وبين غاياته في هذا القرن الذي
 نعيش فيه. وانظروا إلى نسية الشعراء والكتّاب والأدباء والفلاسفة في تلك العصور الخوالي،
 ثم انظروا إلى شعرائنا وكتّابنا وأدبائنا وفلاسفتنا في هذا العصر، واقتدوا بهم فيما هو حسن
 وجليل. واعذروهم فيما بدر منهم من القصور أو العقم..

وليس الأدب عندي هو أن تقرأ كتب الأدب وتستظهرها عن ظهر قلب. وإن تعرف تاريخ
 المؤلفات الأدبية العربية، وتاريخ مؤلفيها وشعر الحوادث التي حدثت لهم في حياتهم: وليس الأدب
 عندي كذلك أن تفهم تاريخ قيام الدولة السككدينية أو الآشورية، وأن تبحث في حروف اللغة

العربية المعروفة عندنا بحروف الهجاء. أمي ياترى كلدانية أخذها العرب عن الكلدانيين دون
تبديل أو تغيير؟ أم أن العرب هم الذين أنشأوها واصطلحوا على وضعها بهذه الكيفية التي رآها؟
وهل هذه الحروف قاصرة عن الأداء والتعبير أم أنها سلمت من كل آفة وضحت من الكمال بحيث
تطأطأ لها الرؤوس وتخنى لها الرقاب والهلمات؟ أو أن تبحث في تاريخ السيادة التومية في الاسلام
والمسيحية أو البوذية أو الوثنية أو اليهودية، وفي غيرها من الديانات والملل؟ وإن قرأ أشهر
الحوادث التي وقعت للأبياء والرسول وأقديسين إبان تبليغهم الرسالات التي نزلت بهم، وهل
يا ترى تلك الرسائل موضوعة أم موحى بها؟ وهل جاءت إلينا كما أوحى بها من غير تحوير أو
تبديل أم قد زيد عليها أشياء لئلا نزال نخشعها إلى اليوم؟ وإن تعجب من الدولة العاطمية لم أكثر
من بناء المساجد وإقامة المعابد والمكاي في مصر؟ وهل كان الحكم السياسي عند لدول الاسلامية
غير مرهوب الجانب إلا إذا اصطبغ بالصبغة الدينية؟ أم أن تلك الدول كانت تجهل سياسة وكان
الدين عندها هو كل شيء؟؟

أقول ليس الأرب عدى مثل هذه الأشياء حسب، بل إنه هذه الأشياء كلها مجتمعة بنظر
أن تلبسها نفس الأديب، وأن تنفاني تلك النفس وتحتجب عن الجماعة في صورتها المادية، على أن
تغذيها وتخرج بها في صورتها المعنوية، أي أن نفس الأديب هي التي تهدي الجماعة وتؤمها ونصيها
لها طريق المستقبل الشائك الوعر من غير أن ترى الجماعة ذلك الذي يمسك لها للمصباح.

وهكذا «أنطون أجيل» : تراه يغذي في كل يوم بغذاء جديد. ويضيء لك طريق الذي
تسلكه من غير أن تراه. وهكذا سلكك أعرف أنطون وأغذي بأدبه وعلمه وبيانه زهاء العشرة
أعوام من غير أن أراه، فلما رأيته وجلست بجانبه شعرت أنه أديب بالفطرة وبالسليقة.

وتلك هي العاطفة الفنية في صناعة الأديب، بل هي العاطفة التي تلبس كل عاطفة، وتغذيها
وتضيء إليها الطريق من غير أن تعلم عن نفسها. ومن غير أن تقيم حولها لواء من ألوان جبهة
والضوضاء. وذلك هو الأدب كما يجب أن يكون، وبعبارة أوضح :

هذا هو «أنطون أجيل» كما يجب أن نفهم أنطون قبل أن نعرفه أو نصل به. فأما الحديث
عنه بعد ذلك : بعد دراسته وبعد تحليله ذيبا وفنيا، فذلك أمر يطول شرحه ترجئه إلى مقال
تال إن سمحت من

حمد عبد الحليم العسكري

تخـذير

يحذر صاحب «المعرفة» حصرات الكتاب ولأدباء وأصدقاء «المعرفة» ومشتريها جميعاً
وأصحاب المسارح وغيرها، من اعتماد أي شخص يتقدم إلى حضراتهم بدعوى تمثيلها أو الاتصال
بنا أو العمل معنا، ما لم يحمل كتاباً يوضح صفته. وموقفاً عليه من صاحب الجلة وعمره.

الاعتراف

بقلم الاستاذ محمد السيد

عزيزتي سميرة !

لست أعرف والله يا عزيزتي كيف 'كتب إليك' وأنا 'نوء' بأعباء ثقيلة من الوجد وال ألم. فأنا الآن تحت تأثير دكريات ناهكة : نعم إنها دكريات مؤلمة ومحزنة إلى نفسى التعسة بتدبر ما فيها من سحرية ولذات. ولكن يخفها عنى ما يخيل إلى من 'أنا' في هذه الدنيا مسوقون - تحت ضغط قوى مجهولة - إلى مقارفة أشياء قد تكون محبة إلى نفوسنا وهي مليئة بالنذالة والجبانة ...
وريد أن أعترف لك أن الإنسان مهم، وتى من فطنة ودكاء لا يستطيع مطلقاً أن يدفع عن نفسه الأقدار ... الأقدار الموفقة أو الأقدار قاسية حتى السواء. ثم ألسنا في النهاية مسوقين إلى ما هو مقدر لنا وسنلاقيه كما هو في سجل الأزل ؟

والمرء يسعى لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأويل
ولكن. لا يوجد ما يخفف آلام العذاب. أو ما يلين من حدة الألم وقسوة وخز انضمير
وتبكيت النفس ؟

قد يكون الاعتراف غثفاً. نعم قد يكون في الاقرار بالذنب نوع من طلب الغفران ...
ثم ليس في طلب الغفران استجابة لنفس. وإراحة للصير المعذب بتخفيف الويلات والمصائب ؟
نفسى تحدثنى بهذا. وهي تكرهنى على أن 'أبوح' لك بسرى. و'أطلب' إليك أن تغفرى لى هذه
الزلة يا كائنك أنت من أجمت فى حقى. وكأنت أنت صاحبة الحق فى المغفرة دون سواك !
ولكن لم تبوح لى بسرى... وتظهر لى على خبيثة نفسى حين كما جارتين فى صاحبة (واحات
عين شمس) وكان ذلك الجار الأعزب يشاغبك دائماً ؟

لقد قلت لى أكثر من هذا. وكيف أن يد الهوى قد لعبت بك فزلت إلى الميذان ... ولكن
العارق بيننا 'نك كنت عاقلة موفقة. صهرت التجربة. ثم خرجت منها سليمة تقيّة كقصعة الذهب
لازيردها النار إلا صفاء وبقاء ... أما أنا المسكينة فقد انعكست مع الآيه. وحاربتنى الأقدار.
نذكرى قريب زوجى ! ذلك الرجل الضويل الأسير الذى كان يزورنا كثيراً ... وتعرفين
أنه كان تاجراً واسع الثراء. وكان ذاك الرجل قد بنى لنفسه مراً لا 'نيق' (فيلا) بالصاحبة. وكان
زوجى قد ضمنه لى بعض البيوتات المالية ... ومن سوء الحظ أن الظروف عاكست ذلك
الرجل فأفلس. وقد خسر زوجى بسببه مالا كثيراً. ثم اشترى من وكيل الدائنين مراً له. وأقمنا به،
وأعتقد لى لست فى حاجة لأن أعرفك من هو زوجى ؟ فأنت تعرفينه ... سليم القلب مفتونا

بجأه. ولا أطيل: فقد شامت طبيته أن ينشئ لتربيته ذاك مسكنا في زاوية الحديقة الشمالية الغربية، أقام فيه الرجل هو وأهله .

وكان لذلك القريب ولد نجيب يطلب العلف في المدرسة الثانوية ... قعدت به ظروف بيته السائرة عن إكمال دراسته ... ولست في حاجة لأن أصف لك من هو؟ فلقد رأيته في مخدع في إحدى زيارتك لي . نعم هو ذلك الفتى الأسمر ذو العينين المتوقفتين دائما الأهداب الطويلة والنظرات الساحرة ... حقاً لقد فتني بنظراته وإلحاحه .

ولقد كنت قدمت له يداً: ذلك أنى رجوت زوجي في أن يتولى إتمام تعليمه. فخطبني هذا الجميل، وعرف لي تلك اليد...

وقد تكون قصة مسلية أو مضحكة أو مبكية . أن يهوى طفل امرأة ... ولكن المؤلم حقاً أن تجاريه تلك المرأة في الغواية والضلال .

ولقد كانت فتنة بل وسخرية يأسيرة! فانا كنا نستضيف ذلك الولد في أحيان كثيرة إشفاقاً عليه ورحمة به ... إذ ما كان يتبهاً له مطالعة دروسه في بيت أهله في ددوء. وكنت أرى من صالح أولادى أن يطالع دروسه معهم في منزلنا حتى يشجعهم ويعزيمهم بالاجتهاد. فلقد كان يجتهداً موفقاً للغاية . فأنسجت له من صدرى أو من صدر منرى. وشجعت روحه على هذا وأطقت عليه .

وفي بعض الأحيان كنت ألاحظه وهو يرمقني بعين حائرة في نظرات متقدة جامعة فيها من معاني الفتنة والغواية الشيء الكثير. وما كنت أعبا بهذا. فلهذا يراى مشفقة عليه فينظر إلى شاكراً متألماً. لكن تلك النظرات تكررت ثم تبادت في التكرار. وفي بعض الأحيان كان يصوب إلى عينيهِ التامستين ولا يخشاني.

وأخيراً فلا أعترف: لقد هزمتني نظرات ذلك الولد. ولهمتني معاني كثيرة ما كنت أعرفها من قبل. حتى لقد كنت بعد هذا أحس كأن نظراته إلى شىء أحبه. أو على الأقل أرتاح إليه. وأنه حين لا يرمقني بحديثيه الخلوطين أشعر كأننى لست مشرحة ولا مستقبلية بالحياة .

أواه ياربى! لقد أسرقتي عيونه. فهي سر سعادتي وسر شغائى! فانا لم أعرف هذا الذى يدعونه الحب « الحب الأثيم » إلا في تلك العيون. وفي سحرها الجذاب .

أحببت ذلك الطفل، ولقد كانت كبيرة على أن أحبه؛ ولن أنى حجبى منك وإشفاقى على نفسى حين لحظت على ذلك. وحين ألقيت إلى أنه يريد منى شيئاً .

ولقد كانت زيارات منعشة ومحبة إلى تلك التى كان يمنحني إياها في غرفتى أو في الشرفة حينما كنا نلعب (الورق) أو نتخذ أية سلوى أخرى... وما كانت لي حاجة بلعب الورق غير

أن تخلس أسمى طوال الوقت يقتلى بنظراته وإبتساماته: فأننا أجد كثيراً من اللذة في أن تكون نتيجة اللعب أنى مغلوبة وأنه الفائز .

لم يكن زوجي يعرف عن هذا شيئاً: فهو لا يظن في الخيانة . لأن الزمن الذي عشناه معاً كان كميلاً بأن يبقى من جهتي مطمئناً راضياً عني . فاعمالي وبأولادي .

ولست أخيف الحق ولا ركن الباطل . إذا قلت لك الآن: إن إغتيال زوجي لأمرى . فإنه ما كان يمنعني العناية الواجبة . تراقتي . شجعتني على أن ألقى بنفسى في الرذيلة . وأن أقع في حماة الحيون ... ثم من تلك التي تستطيع أن تزعم لنفسها العصمة فتدعى أنها هبطت من السماء . أو أنها ليست إحدى بنات حواء ؟ ...

ولقد شاءت العواطف الجامحة ونزوات الهوى الشريرة أن يرتفع التكليف من بيننا . وأن نقارف أموراً ما كان أحرانا بالبعد عنها . فما كنت أخرج عن أن تمتد يدي إليه بلفظة أو لكمة حينما كنا تتلاعب . فأغراه هذا على أن يبادلني سماوى سواء بسواء .

وفي إحدى تلك الأمسيات التي كان يذهب فيها زوجي وأولادي للرياضة . وكنت أتخلف في المنزل ... لكي أقبل صديقي وأنعم به ... ففى الحق أنى كنت قد سئمت اتزده والتريض . وسئمت كل شيء لا يكون معي فيه . رحنا نلعب أنا وهو . وكم بدا لي اللعب في تلك الليلة حلواً متمتعاً . فكنت أجريه من لعبة إلى أخرى . وكم جريتنا وكم لعبنا . وكم تصادمت أجسامنا بتصدوينير قصد ... ولكن كما التفتي جسمانا كنت أحس الحياة وأحس لذادة ومتعة حلوة . بل وإسرافاً في متعة محببة . وكنت تحت تأثير هذا الشعور أستريد صاحبي من اللعب والمرح . وكان هو يباريني في النشاط ... أوه !! لست أعرف لعبنا ساعة أو اثنتين . وربما ثلاثاً . ونحن لم نمل ولم نألم . بل ولم يبد أحدنا رغبة في طلب المهارة ... وأخيراً . وأخيراً جداً . وقد احتوائى الاجهاد وأضنائى الاعياء . اصطدمت قدمى بالأرض فوقمت على التكاثر . وكان هو يجرى خلفى فوقع فوقى ... أية حماقة وى جنون يا سيرة أحدثك عنه: لقد غبت عن الوجود لحظة ثم قمت أبكى . وراح هو الآخر يبكى . وجلسنا في الشرفة صامتين كأنما قد أصبنا بمكروه .

كم أنبني ضميري . وكما احتملت من آلام تلك الصدمة . نعم ! كم عانيت ! كم ذرفت دموعاً ! وكما قتلنى وخز الضمير حتى صممت على أن أقطع بصاحبي كل صلة .

لكن حينما كان يأتى إلى منزلنا كنت أراى . من غير وعى ولا شعور . قد هيأت له الفرصة ... فكم كنت مجرمة ... وما كنت أحسب قبل هذا أن مقارفة الرذيلة والادمان على مقارفتها يمتنان القلب . حتى ليكون شيئاً عادياً أن يقارف الانسان أية حماقة تكررت . ثم لقد أتم دراسة

الحقوق، وجملة زوجي سكرتيراً له، ثم تعين بعد هذا وكيلًا للنائب العام وسافر للأقاليم وعلاقتنا كما هي ... وكنا نتقابل في المنزل وخارج المنزل ... وكما شكائي ألم الفراق ... كنت أكتب له ويكتب لي، وتبادلنا رسائل الحب وكتب الغرام، وكنت أحسب أن الرمان قد صفا لي ونبي جد سعيدة ومفتبطة، فهأنا امرأة متروجة يحبني زوجي ويحب أولادي. وأنا حب زوجي وأحب صديقي. وأنعم بالاثنيين. وكل له في قلبي مكان؛ فأية سعادة؟ وأية غبطة؟ لقد كنت حين فكر في هذا أغبط نفسي ثم أخشى المستقبل؛ وكان زوجي رجلاً محباً للحياة ملحاً في هذا كل لالحاح. وكان سعيداً بي طوال تلك السنين. وأنا به جد مفتبطة. فهو لا يرهقني بتكليف. بل ولا يلبس إلى أن يكون إلا كما يريد. وهما وصديقي يخرق نفسه بخوراً كما رأيته. وحين لا يبدو منه مراحة طروباً كان يألم وتضييق به الأرض عن رحبها وسعها؛ فلماذا لا أسعد؟ ولماذا لا أرحم؟ ثم لماذا أخشى المستقبل؟

لزوجي أيامه. ولحبي أوقاتة المعسولة الحلوة. وهي دائماً في محبتي وفي قلبي. وكان من حسن الطالع أن أحداً منهم لا ينكر في صاحبه. وأما بين الاثنين لعوبه فزوب. أمنحه السعادة. وأجني من كل ما ثمار الحب وجنى البرحة والسرور. وكنت أخشى أن يقع زوجي برسائل صديقي التي أقدمها. فهي لدى نعم السوى عند الغياب ... فإذا خرجت لبعض شأني. وضعت « حزمة الرسائل » الملتونة في محل أحرر وأمزومة تحيط من الحرير الأحمر جانباً في حقيبة يدي ... فما كنت أخاف شي شيء في الدنيا غيرها.

وفي بعض الأيام ذهبت إلى المدينة واشتريت بعض لوازمي. ومنها احتفالات كنت أوصيت عليها من أوروبا كي أبعث بها إلى صديقي رسائل غرام ... ولما وصلت إلى ميدان القبة اقتعدت حقيقتي فلم أجدها، وكنت قد تأبطتها منذ زمن وجيز.

وأنت تعرفين ما شئت من قلق وخوف عن مافي الحقيقة؛ فعدت دهشة مرتعة درع (الموسكى) كاجنون ولا شيب. ولا من مغيب؛ ولما يأت من المهور عن الحقيقة لم تكن ندحة عن الرواح فتعلمت. ولكن كان اليأس والتقنوط باديين على وجهي. وفي المساء على زوجي بالحادث من الخادمة ... فأبت عليه مبروءة إلا أن يرفه عنى. ويطيب خاطري. ثم صلب إلى نسيان هذا الحادث التافه الذي يقع في كل يوم لكثير من الناس.

ولقد مر ذلك اليوم. وكأني قد نسيت ما كان؛ فان القلق الذي ساورني كان منشؤه الخوف على الرسائل؛ وقد هدئت ففكرت إلى أن الحقيقة قد وصلت يد السارق. وهو ما شأنه بالغرام. ورسائل الغرام؛ إنها لا تهمة. فسيحرقها وسيمزقها. وعلى أسوأ الفروض فسيلقيها في ذلك الوكر الذي يعيش فيه، فتلتهمها الأرضة والعناكب.

وفي أحد الأيام حضر زوجي في الظهيرة كمعادته، ولكن وجهه كان أصفر مغبراً كأنه

«دم من سفر طويل، وكانت عيناه قد حان بالشرر، ونوا حذره بادية. وكان يحمل بنفسه «حافطة»
لقضايا على خلاف عاداته، فقد كان يحضرها له أحد موظفيه.

سألته في إشفاق وخوف: ما وراءك يا حبيبي؟ فأشاح عني بوجهه المصفر، وتركني ومضى
معرفة مكتبته. فلم أشك حينذاك في أنه قد خسر بعض قضايا الهامة. وهو من أجل هذا عزوز:
وكان من طبيعته أن يحزن إذا خسر بعض قضايا كأنه هو صاحبها، وليس محامياً صناعته إبداء.
الدفاع وتقديم الألة والبراهين. وبعد ذلك فلما قضى الحرية في أن يحكم لمن يريد...
ما شككت لحظة في أن غضبه من أجل هذا، فدخلت عليه متوسلة مستعطفة أن كف
يحبيبي عن هذه العادة السيئة وأرحم نفسك. وماذا يضيرك وقد أدبت واجبك فأخذت أقاصي
التقدير؟

لم يجب بل فتح الحافطة، بحذر وغضب، وأخرج منها خطاباً ناولنيه فقراءت:
حضرة صاحب العزة الأستاذ... المحامي: ميدان...
رداً على كتب عزتكم ارقم ٨ الجاري نرسل مع هذا حقيبة تد تعلق السيدة حرمكم، وكان
قد عثر عليها بعض الأشخاص في (السكة الجديدة) ومعها مائتان: —

عدد صنف يسمان

- ١ منديل حرير رجال كبير كتب عليه بالفرنسي حرفاً F.I.
- ١ حزمة مدفوعة من الرسائل بعنوان السيدة شوهات (تحفظ بشباك ابوسته)
- ٥ جنميات ورق بنك نوت وعشرون ملية.
- وقد حجزنا من المبلغ قيمة العشر وأسلم لمن عثر بالحقيبة كالأصول.
- وتقبلوا تحيات... بأمر قسم الموسيقى - ١٧ مارس سنة ١٩٢١

لقد كانت النظرة الأولى إلى ذلك الكتاب اللعين قد ذهبت في إلى الجحيم. ولقد بقيت لحظات
وجدة... مدة... ما حدث؟ وماذا كان؟ ثم تلت قدمي وتضعفت قواي. ودويت إلى الأرض.
ولا شرف بعد هذا ما كان.

وفي اليوم التالي تيقنت نوعاً ما: ولكن ما كنت أحس بسى. بل كان يحيل إلى كأن السماء
قد أمسكت على الأرض. أو كأن حملاً تنبلا فوق غوري فدا أنوء به مثقلة متعماً. وفي لحظات
أخرى يحيل إلى كأن هذا السهل قد أصبح جبلاً. إلا أنه من ثلج. تتأخذني الرعدة وأغيب
عن لوجود نانيا. وفي لحظات كنت أتبه فأذكر أن زوجي قد كشف السر وعرف ما كنت
ريد أن لا يعرف فيرعبني الخوف من هول الخطب وفدا حتم. فأتصور في تلك اللحظات كأن
حيوانات الجحيم تمد إلى أعناقاً طويلة وفواها واسعة تريد أن تبتلعني. أو كأن ناراً أضمرت
من حولي وسألت فيها... آه! ياهول العذاب! وسوء الملقية... بالاحتصار قد عدت إلى

الدنيا مرة أخرى ، ولكن ماعدت لأعيش كما كنت . بل لألقى جزأى وأقبل سوء ما صنعت
يدأى ... فأنا أعيش الآن عيش الحنارة والندالة . فزوجى قد أضرب عن دخول البيت وتمة
شهور قد ذهبت وهو لم ينس لى جرمى : ولو أن الأمر وقف عند هذا الحد لكان الخطب
مما يحتمل ويهون ... ولكن هناك موراً أخرى تسبب العذاب . وتثير لشجون : فقد سئم
زوجى الحياة وعافها . فهو يحيا حياة المكروه أو المريض الذى أزمى معه دؤه العصل فهو
لا يبرأ ، فلا هو حى ولا هو ميت فيستريح .

ولقد أخبرنى (سكرتيره) أن حال المكتب المالية فى سوء مستمر : لأن (البك) لا يوافق على
الحضور فيه . وأن عملاءه لا يجدونه حين يطلبونه . وحتى إذا وجد فأن أحداً من الناس
لا يستطيع الدخول عليه ... وهو الآن لا يترافع فى قضاياهم الهامة ... وقد أضاف السكرتير :
أن خيراً لسمعت أن يصفى عمله تصورى معى ثم ارثى لحالى . فإن أربعة آلاف أو
خمس آلاف جنيه سنوياً كانت إراداً للمكتب قد صاعت ولى شفا أن تصيع نهائياً من أجل
ومن أجل حماقتى ثم تصورى الآنكى فى الألم الممض : ذلك أن الرجل يكاد يموت هو الآخر ...
وابنى وابنتى ما ذنبهم إذا كان هذا حظ ، بينهما وأمه المقتدر لها فى سجل الأزل ؟

آه يا سيرة ! ... فالبنت محطوبة منذ سنتين من موظف كبير . ونحن منذ هذا الحادث المشؤم
نسوف ، فإذا عساه يحدث لو عرف السر ؟ ماذا عساه يقول لو علم أن أم زوجته خاطئة ؟
وابنى البكر ! ذلك الفتى الغض الذى يتيه فى بذلة الضابط يحمل السيف ليدفع عن لوض .
ماذا يكون حاله لو عرف أن أمه خائنة ؟ ... آه ياربى ! ماذا يفعل هذا الشاب الذى يتقد بشاة
وفرحاً بالدنيا لو علم الحقيقة ؟ نعم ! ماذا يعمل بنجومه المضئبة على كتفيه ، وبسيفه اللامع فى يده
إذا عرف أن أمه خاطئة قد خانت ... واستحقت قرارة الجحيم ؟
ثم ماذا فعل أنا لأرتاح ويذهب هذا العار ؟ أموت ؟ وكيف أموت إذا كان فى الموت
ما ينجى هؤلاء البؤساء ؟ .

أنحر نفسى ؟ وكيف أنحر ؟ وماذا يكون نصيب زوجى وأولادى من العار والفضيحة ؟
لقد طلبت الموت ولم أجده ، وأنا الآن حائرة مرتاعة ... ويلاه ! ويلاه ! لقد أصبح الموت
غالياً يطلبه الناس ولا يجدونه .
ستسألين : وماذا فعل صاحبك ؟ سأشيع فضولك : لقد مات ، نعم ! مات منتحراً باسم الأيضا :
وهأنا قد خسرت زوجى وخسرت من كان السبب ، ثم إنى على وشك أن أخسر نفسى وأبنائى ...
أليس لهذا الداء من دواء ؟

أختك : . . .

فى انتظار الجواب . . .

لويـزا

للكاتب الفرنسي اندريا تيربت

١٨٣٣ — ١٩٠٧

ترجمها عن الانكليزية

محمد بهجت — الموظف بالمساحة

عاد القطار محطة (سيسترون)، ولم يبق من المسافرين سوى المصور أسبريت كابنديت وأمامه فتاة. ولأنه استقل القطار في بدء رحلته في الفجر من (بيرتس). فقد غلبه النوم فراح في سبات عميق. واستيقظ عند بدوغ الشمس في الوقت الذي فتحت فيه اللفتاة عينيهما الناعستين. وألقت الحمار ذا الخيوط السوداء السمكة الذي كانت ترتديه جانباً، وأخذت ترجل شعرها المبعثر الجليل، وتجمل وجهها في مرآة صغيرة.

ويلاحظ أنها تناهز الرابعة والعشرين من سنيتها، مملوءة صحة، عيناها زرقاوان جميلتان. تشعان شعاعاً جذاباً، على شفقتها العليا خال الجمال.

لاحظ المصور هذا الجمال، وأشداه خصرها النحيل. وقدها الأهيف الجميل. وصدرها اساهد، ويدها البضتان. وبينما يرمقها خفية، إذ رآها قد أخرجت من حقيبة سفرها رغيفاً من الخبز الجاف، ثم أخذت تبحث فيها عن شيء بلا جدوى، فما أعيأها البحث، استكنت في مكانها، بعد أن تنهدت تنهدة قصيرة. فأخرج المصور من حقيبته. مدفوعاً بعامل الشفقة. قطعة من الشيكولاتة، وقدمها إلى الصبية. وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تتم عن طيبة طبعه. وبده اليسرى تعبت بلحيته الجمدة قائلاً: استحي لي أن أقدم لك قطعة من الشيكولاتة عوضاً عما نسيت...

وبعد تردد، قبلتها شاكرة. واقترحت أن يقبل هو أيضاً نصف رغيفها، فقبله. وأخذوا يمشيان بشبهة قوية، بينما كان القطار ينهب سهل (بوش). فلم يفتحا أن تكتحل أعينهما بمشهد الجبال الشامخة المترامية على بعد سحيق. وكذا الحدائق الغناء النامية حول الدور التي تعلوها. ونزوداً أنظارهما برآى أشجار البرقوق والكرز. والجداول التي تجري على المنحدرات المنعكسة عليها أشعة الشمس فتري كالفضة الجارية، والكلاب النامى في المروج والزهريبدو فيه كالنجوم الساطعة.

وهذه الأكلة البسيطة أزالَت الكلفة بينهما ، وفاز المصور بثقة رفيقته ؛ فأخذ يحدثها عن سنه ، وصناعاته ، وأشغاله ، وأخبرها أنه آت من (سانزروفايل) ، وذهب إلى (جرينوبل) ليقابل عملاءه بشأن بعض الصور ؛ وهم مائة واحدة يتجرون في صنع القفازات ، ليس فيهم فرد يفخر بحس خلقته ، ينمون بثروة طائلة ، ومعاملاتهم حسنة ، ثم أخذ يشرح بعبارات تهكمية وصف نماذج المستقبل ، فضحكت الفتاة من قرارة نفسها ، وأخذت أوامر الصداقة تستحکم بينهما . وفهمت منه أنه يشتغل في التصوير ، وفهم هو أيضا منها أنها تدعى الآنسة لوزيا ؛ وعرض عليها أن يعمل لها صورة ، على أن تمكث يومين في (جرينوبل) .

فقال له وحمرة الخجل تكسر وجنتيها : أشكرك ، ولكنني لن أذهب بعيدا إلى ذاك البلد ، وسأتحلف في مونستيردي كليرمونت .

وبدأت تقص عليه تاريخ حياتها : فهي مربية تشتغل في أسرة مسجل في (اكس) ، يتيمة . ليس لها من تمت له بصلة القرابة سوى عم وعمة يعيشان في (مونستير) ، وهما يعملان على زواجها من تاجر معروف هناك أعزب ، ليس له أبناء ، يدعى (ليشوديل) ؛ وهي آتية لزيارتها في إجازة عيد الفصح ، ولتقابل هذا السيد في دارهما ، لأنها لم تر سوى صورته الشمسية .

واستمرت في حديثها بصراحة قائلة : — وإن هذا الرجل قد بلغ من الكبر عتيا ، دوما مطهر لا يبعث على الرضى ؛ غير أنني تعبت من سيطرة الغير على ، وبحزنى أن أحياء وحيدة لا أطمح من يبادلني الحب الذي لم تذوق أى قطرة منه ، ولو أنى تؤكد أن عشرته لا تسرنى ؛ ولكن من أنى سأقبله كزوج .

وبينما كانت تلتقي هذه الاعترافات ، كانت تسأوه وشفتاها الجراوان الجليتان مفتوحتين قليلا تظهر من بينهما أسنانها اللؤلؤية ، ورأى المصور في عينيها الزرقاوين الجذابتين ذلك البريق المغرى ، الدال على عذاب المرأة التى تفقد الحب ، وتكلف عليه . وتفتاق له : وهذا القول الملقى على عواهنه ، وهذا الاسترخاء بغير حذر ، يفرى على القلب التى تتسللها شفتاها ، واعترافها الصريح بتعبها من وحدتها في الحياة ، أيقظ فيه الرغبة إلى مفازاتها ، وتلك العوامل مجتمعة . بعثت فيه الميول الشديد في أن يحل محل هذا الشريك المجهول . الذى تحن هذه الفتاة لقضاء سنى شبابها معه . فصاح قائلاً : عجبا ! أنت كمين على نفسك بالزواج من صاحب حانوت عجور دميم الخلق . وتسجنين في قرية ؟ هذا أمر مستحيل ! أنت فتاة جميلة ، وليس من حقت أن تضحي بنفسك على هذا الوجه ، وتقضى على فؤادك ، أرجو أن لا تقترقي هذه الحمقة .

وليقوى احتجاجة أمسك يديها ، فضحكت في بادئ الأمر واستسلمت إليه . ولكنه أخذ يضغط عليها شيئا فشيئا ، ففرغت وحاولت عبثا أن تسحبها من بين يديه ، وفي أثناء ذلك غلا القطار هصبة عالية قد ران عليها الضباب السامح ، ثم اجتاز بعدئذ مرجا أضواء نور الشمس ، فدفع إلى العربة هواء يحمل بعض الزهور البيضاء الساقطة من أشجار الكريز ، يكسوها نلج

امتلات العربية بأريج الريح . وسار القطار بعدئذ نجاة في ظلمة تقش شديد الحلك ، فاستخدم المصور هذا الظرف ، وجلس بجوارها بلاطتها ، ولف ذراعه حول خصرها ، والفتاة في حيرتها تدافع عن نفسها ، يكسو وجهها الخجل ، ويتلأ مشاعرها الوجل ، حتى خرج القطار إلى الضوء ، فناد إليها بعض الاطمئنان ، بينما كان يناجيها المصور قائلا : دعيني أحبك .

ولم يلبث أن عاد القطار إلى سيره في تقف ، حتى فزعت لوزا ، إذ شعرت بشفتي رفيقها الجور ، تهلان على عينيها وشفتيها ثقيلتا ، واعتراها في الوقت نفسه شبق ورغبة مغرية ، إلا أنها أمالت رأسها وقاومت بضعف ، وأقنعتها من هذا الموقف عودة القطار إلى الضوء ووقوفه أمام محطة (سيلير) ، فتنهدت وتراجعت خجلة ، وقالت : يا إلهي ! سنكون في أقرب حين في (مستير) ، فأرجوك أن تدعني بمفردي ، وانتصبت على قدميها وأمسكت بقلنسوتها ، ونظمت شعرها بسرعة ، فأخذها المصور بين ذراعيه ، وقال : ماشأن (مونسير) بنا ؟ أنا أحبك ، ومحال أن أتركك ، إذ لا بد لي أن آخذك معي . فتمتمت قائلة : إنك مجنون ، أحمق . وتخلصت منه قليلا ، ونظرت من النافذة فظهرت لها أطراف القرية المنعكسة عليها أشعة الشمس في وسط الحقول وغابات الصنوبر ، وأمكنها أن تميز محطتها المنعزلة عنها ، ورأت على رصيفها ثلاثة شباب مغممين في هيئة المستقبلين ، فقالت له : إني أرى عمي وعمتي ، ولا بد أن يكون ثلثهما السيد (ليشوديل) . فأجابها المصور بدعاء : إنه دميم الخلقة جدا — وقام سدا حائلا بين الفتاة والباب ، وبحركة خجائية أقلل النافذة وبسط ذراعيه . وقال مؤكدا : كلا لن تكوني صاحبة لهذا الشرير ، إني أحبك ولا بد لي من الاحتفاظ بك .

وبعد أن هدأ سير القطار ، وقف ، وسمع صوت الخيز وهو يجري بجانب العربات صائحا :
مونسير دي كلير مونت !

ولا اعتقاد المربية أن كل هذا إن هو إلا دعاية ، حملت حقيقتها ومظلتها . وقالت : تعال ياسيدي ، وكن جادا ، أفسح لي الطريق .

فأجاب المصور مؤكدا : لا يمكن مادمت حيا .

ثم انهال عليها بالقبلات ، بينما كان صوت العم والعمة مسوعين يناديان لوزا ويطلقان على العربات . ولكن نداهما ذهب مع الريح ، وحال المصور يحسمه دوزر رؤيتهما ابنة أخيهما .

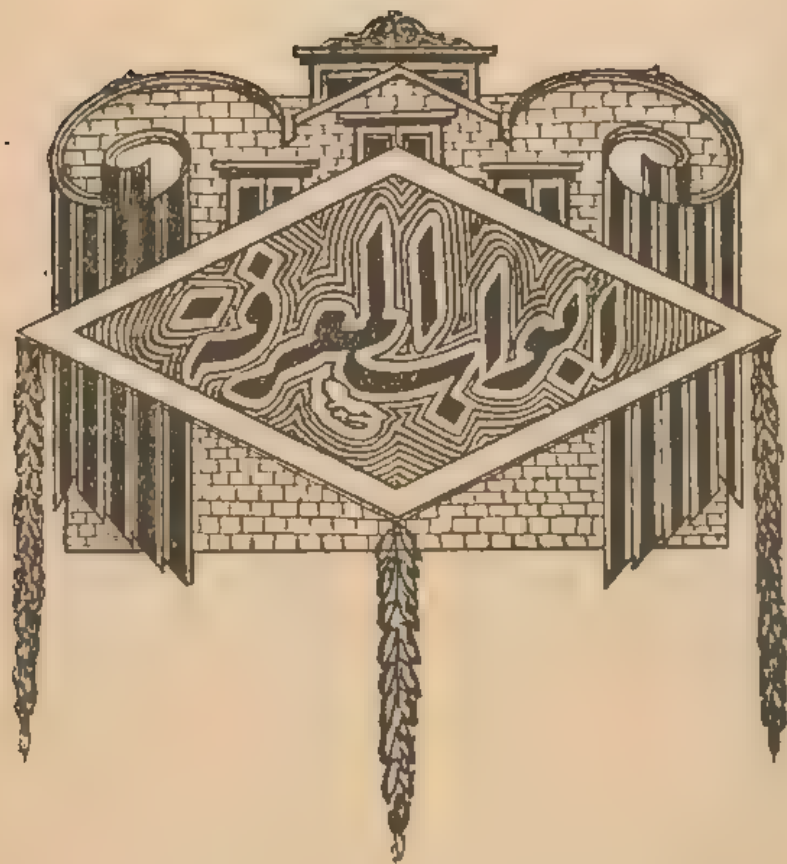
وناشدته لوزا والدمع يترقرق في عينيها أن يفسح لها الطريق . إذ أن هذا لا يليق . ولكن عينا كانت تحاول . فصفر القطار ، وسار . وسرعان ما اختفت المحطة كالحلم ، وقد أزهن لوزا التعب من المقاومة غير المجدية ، فجلست على المقعد ، وحاول المصور أن يطوق خصرها بذراعيه ، فصدته بشدة ، وأخفت وجهها يديها وأجهشت بالبكاء . وحاول المصور أن يسرى عنها بكلمات عذبة ، غير أنها أخذت تعبر عن كراهيتها واستنكارها لفعلة الشائن ، فصمت . إلى أن وصلا إلى محطة (فيريل) ، وعندها امتلات العربية بالمسافرين إلى (جرينوبل)

لقضاء عطلة الأسبوع، واستكننت الفتاة في ركنها عابسة مولية إياه نصف ظهرها، وأخذ هو يستمرض في نفسه هذا الفعل الجنوني الذي اقترفه نحو هذه الفتاة، والتبعة التي تقع عليه من جراء ما ارتكبه، ولم يتبادلا أية كلمة حتى وصلا (جرينوبل)، فقادها إلى خارج العربات صامتا وحمل حقيبتها، وهي تنظر إلى ما يفعله والحجل والدهشة يملآن مشاعرها فكأنها كالمخدرة. وتبعته متفاداة كمينقاد المنوم. فتأبط ذراعها، وأخذها إلى فندق في ميدان المحطة، وما أن انفرادا في إحدى غرفه حتى جلست لوزا على مقعد وأخذت تبكي بصوت عال، وتندق بدأ بيد كن فقد الأمل، تلبست التهنيدات من صدرها بحالة تنم عن الحزن الشديد، ففرع المصور لآله لم يك ينتظر هذا الاتجار الشنيع: وركع أمامها، وأخذ يحاول تهدئتها بضمها إليه، ولكنه كان يحاول عبثا، إذ تضاعفت تأوهاتا، وصدها له بازدرار، وصاحت قائلة: اذهب عني. لو كان باقي فيك ذرة من الشعور الحي، لما أتيت أكثر مما اقترفت، ما أنفست حظي! فسيستعبر أقربائي عني في (اكس)، وسوف يكون الرد مما لا يبلج له صدرى، وستعتقد تلك الأسرة في أسوأ الاعتقاد، وعندها أطرد شر طردة يتندى لها الجبين خجلا، وأبقى بلا عمل، كل هذا من جراء خطأك وسوء ظنك، ومما ملكت لى معاملة المرأة السيئة السيرة، لقد فقدت كل شيء! وتقاطرت دموعها ثانية: وتنازعت العوامل الشديدة في نفس (اسبريت)، وتأكد من سوء ما فعل، وأن ما هي إلا جرعة خفيفة.

والواقع أنه لم يك شريرا، ولم يعرف عنه سوء الخلق، وتجلت أمام نظره جريرته الكبيرة. وهي إرغام امرأة على فعل شائن على كره منها، وآلمه أن يرتكب هذا الجرم نحو هذا المخلوق الجميل الباكي، فافترسه توبيخ الضمير. وعول على أن يكفر عن جرمه، وأن يحو هذه الاساءة، فقبض فجأة على يدها، وقال لها في احترام: سامحيني، ولا تندفعي في الحزن إلى هذا الحد، وسأعود بك تورا إلى المحطة، وبذا سيقطع أول قطار يعود إلى (مونستير). وبهذا أ كفر عما فرط مني، وتصفح عما ارتكبت من طيش وزق، وتخبرين أهلك أنك كنت نائمة في القطار ولم تستيقظي إلا في (جرينوبل)، جففى عينيك فاني وإن كنت قد أجمرت جرما كبيرا غير مقتدر في نظر العاقلين، غير أني رجل ذو أخلاق مرضية.

وعاد بها إلى المحطة، واشترى لها تذكرة، واعتلت القطار، فدودها أيضا ببعض الخوى والفكاكة والكعك، فشعرت بالنجاة، وعادت إلى حالتها الأولى، وهدوئها، وتجي في أعينها الزرقاوين ذلك البريق الجذاب، وارتسمت على شفيتها الحراوين ابتسامة الشكر لعدم أوصد عليها باب العربة.

وسار القطار، فوقف المصور ينظر إليه، وقد امتدت على عراباته خطوط من الدخان الكثيف ثم تنهد بحزن، وقال: وارجتاه! فستزوج السيد ليشوديل! وارجتاه!



هو
من
ات
ة.
ان
بدأ
لأه
له
تعليم
في
من
سوء
رة.
هذا
نده
نزل
ا.
لك
ست
وي
في
لهما
ب

بين المتناظرين

- ١ -

تقييد النسل

أثبتنا بالأعداد السابقة من «المعرفة» أن تقييد النسل والزنا، ماهما إلا جرم واحد لا سمين. فإن الغرض منهما على السواء : هو جعل المرأة تمثالا حيا للمضاجعة والتمنذ، وإن خاف أصحاب هذا المذهب من التصريح برأيهم، وقد اضطربوا إذ جوبهوا بهذه الحقيقة المرة، وقالوا: ها توأبرهانكم إن كنتم صادقين .

وقبل الكلام في موضوع «قتل الجنين» نحيل حضرات القراء على ما كتبه بعض أفاضل الأطباء في موضوعنا السابق بإحدى البلات ، ولو أنهم تكلموا في هذا الموضوع من ناحيته العمرانية (تكوين الشعوب) وما يترتب عليها من النتائج السياسية.

تكوين الجنين : يتكون الانسان بمجرد البشاح أى بواسطة اتحاد البذرة الذكر بالبويضة الآتى فباستحادهما يتكون الانسان تدريجيا . وفى هذا يقول الدكتور خرى فرج : (والبذرة الذكر، والبويضة الآتى، والجاذبية ، هي التناسل، هي الانسان الجديد . هي الحياة بأكملها) وعلى ذلك يقول : إنه بالجماع ينصب المني (الذى يقذفه الذكر) في مهبل المرأة فيسير حيواناته المنوية إلى الرحم ويساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه فاذا وصلت إلى الرحم ذهبت إلى البوقين وهناك تتجمع وتعيش بصع سابيع فاذا صادفتها بويضة لقحتها وإذا لم تلتقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة بيضغ يام .

والتلقيح : عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوى وجسمه في البويضة مع سقوط دمه فيتحد الرأس بنواة البويضة بعد أن ينفصل عنها جزء كبير منها ويتكون من اتحادها نواة واحدة وهو يحصل مادة في بوق (فلو ييوس) .

وليس الجماع ، أو بعبارة أصح - إيلاج الذكر في فرج المرأة - شرطا لحصول التلقيح . بل لقد ثبت علميا، أنه قد يكفي قذف المني على باب الفرج ، ولو كانت النواة عذراء . أو نائمة أو مخدرة بالنرج . فإن للحيوانات المنوية من الحركة ما يكفي إلى توصيلها إلى البوقين . ويقولنا والحق يقال : أن هنا عادة منتشرة يطلق عليها الشبان (ضرب الفرشة) : يستعملها

جامع الشبان والشابات في مصر ، على أمل أن يتحصلوا على اللذة المحرمة ، في وقت يحافظون فيه على بكرة الفتاة ، أو خيفة حملها ، وقد ظهر أن هذه العادة لم تكن واقية من انتشار الأمراض الوبائية من ناحية ، ومن حمل الفتاة من ناحية أخرى ، وستكلم عنها في موضوع آخر انشاء الله ، في بحث عن تدهور العائلة المصرية ؛ والمهم الآن في هذه النقطة ، أنه قد يكفى قذف المتى على باب الفرج ، ليتم الحمل .

ومما ثبت مذهبنا إليه أولا في مسألة التلقيح قوله تعالى : «يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث» ، وقد يراد بالظلمات ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة الأغشية المبطنة بالسائل المنوي . أو أن تكون ظلمة المبيض الذي يكون البويضة في داخل الحويصلة ، ثم ظلمة البويق حينما تلتقي البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتم فيه صنع الإنسان .

وقد اكتشف في سنة ١٦٩٠ ، العلامة الهولندي (ليونيهوك) أن في عناصر التذكير ، جراثيماً حيطية الشكل ، شرطها في تمام التكاثر ، كشرط البويضات التي للأنثى تماما ، وكل كانت دمهشة لعلماء حين ذلك ، إذ تحققوا أن هذه الجراثيم الحيطية ، حيوانات صحيحة ساجدة في المائع الموي ، وأنها السبب الموجد للتناسل . وكل تكون دهمتهم أعم ، لوعلموا أن ما اكتشف سنة ١٦٩٠ م ، نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل اكتشافهم هذا بنحو ألف عام ، قال تعالى : «يأيتها الناس ، إن كنتم في ريب مما نبعث ، فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم . ونقر في الأرحام ما نشاء . إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا» صدق الله العظيم . . . «يرأى تفهم مما تقدم أن السائل المنوي لذكر حيوانات لها روح ونفوس تتحد مع السائل المنوي الأنثى فينتج من اتحادهما (الإنسان) .

فالشرع في قتل هذه الحيوانات الصغيرة . وسلب حياتها ، بالعقاقير الطبية وغيرها . جريمة فظيعة ، ضد حياة جديدة ؛ ضد إنسان جديد .

وقد نصت المادة ٢٢٥ ع أهلي (كل من أسقط عمداً امرأة حبلى بأعضائها أدوية ، أو باستعمال وسائل مؤذية إلى ذلك ، أو بدلائلها عليها ، سواء أكان برضاها ، أم لا ، يعاقب بالحبس) وجاء بالمادة ٢٢٦ منه (المرأة التي رضيت بتعاطي الأدوية مع علمها بها ، أو ، أو الخ ، وتسبب الإسقاط تعاقب بالمعقوبة السابق ذكرها) .

ومن هنا يتضح لنا أن القانون يحكم على من يسقط الجنين - وإن كنت أراه متساهلا ، إذ يجب أن يحاكم كقاتل - وهذا مما يؤيد نظريتنا .

تقييد النفس : يقول دعاة تقييد النفس إن هذه الحيوانات المنوية تموت فلا مانع من التمجيل بقتلها وسلب حياتها وهذا أغرب ما قيل أو تأويل مدهش وغريب جداً لأننا نعلم جميعاً أن جميع الأشياء الروحية مثل النبات والحيوان الأعجم ومنها (الحيوانات المنوية) والتي سبق أن قلنا إنها الإنسان الجديد والحياة الجديدة في دور التكوين لحياتها آجال عند انقضاءها تموت بالطبع كما أن بشر هذا العالم مصيره الزوال والموت ، أفلا أجل أنه صائر إلى الموت فمحفل في موته وهلاكه ؟ هذا تفكير عجيب ومدهش ، والله في خلقه شئون ؟

على نجيب

— ٢ —

الدعوة الاسماعيلية وآدابها

ردا على الاستاذ الهمداني

للسيد عبدالله أحمد يحيى العلوي

الحمد لله — وبعد — فقد رسي إلى مينائي العدد السابع من مجلة « المعرفة » ، تلك السفينة العلمية التي عرفت بمواضيعها الشيقة ، والتي امتاز رجالها الذين يكتبون فيها بسعة الاطلاع وحرية الفكر . واشتهر محررها وصاحبها الفاضل بالأدب الجم ، والفضل الوافر والعلم الغزير ؛ فصعدت في سلمها ، وعلوت فوق سطحها ، وتجولت في غرفها ، وتروضت في ساحتها ، وتفككت من ثمارها التي تحملها ، وتغذيت من طعامها ماشاء الله لي ذلك فرحى مرحى !!

ومن بين تلك الغرف التي زرتها وأنتت بها واطمأنتت إليها ، غرفة الدكتور حسين الهمداني . وقد أعجبتني ملاوة حديثه عن الدعوة الاسماعيلية وآدابها كثيراً ، غير أنه استوقفني فيها حادث تاريخي ، أرى أن الدكتور الهمداني قد كبا جواده فيه (والله أعلم) لاعتن عمد ؛ وإنما لعله لتحريف في المصادر التي نقل منها .

فللحقبة والتاريخ أخذت اليراع وكتب ما يأتي ؛ لأشارك الدكتور في بعض نقط من مبحثه الجليل ، وليكون لي بواسطة « المعرفة » في هذا ، الفضل الاول في التعارف معه على بعد الشقة وطول المسافة .

جاء في مقالته في صفحة ٧٩٨ مانصه (ولما توطلدت الدعوة للداعي الصليحي وصارت في حوزته جميع البلاد اليمنية من أقصاها إلى أقصاها ترك امرأته الحرة المصونة الصليحية أسماء بنت شهاب بمدينة صنعاء والية عليها لتوجهه لحج البيت بمكة الشريفة الخ) ثم قال بعد أسطر (وجد عزم السلطان الصليحي للحج للبيت مرة ثانية الخ) .

والمعروف عن تواريخ اليمن أن الداعي على الصليحي رحل إلى مكة مرتين في سنة ٤٥٩ هـ وفي سنة ٤٧٣ هـ، وفي كلتا الرحلتين صحبته زوجته أسماء بنت شهاب كما سيظهر مما نقله فيما يأتي عن بعض مؤرخي اليمن، لا كما يقول الدكتور الهمداني. إنه تركها في حجه الأول بمدينة صنعاء، فإن الداعي الصليحي - وهو ممن جمع بين دولتي الملك والأدب - كان معجباً بزوجته الفاضلة أسماء جدا لا عجب. وكان أدبه الجم يأتي عليه أن يبقى حليلته الكاملة العاقلة الكريمة الخازمة المدبرة بميدة عنه، كيف لا وقد أصبحت يده الثانية؟ فلذا رأى أن يصحبها معه في رحلاته وغزواته ليضم إلى دولتيه دولة السكالك من ربات الحجال، وفي كلتا رحلتيه إلى الحجاز أُناب عنه في إدارة الملك ابنه المكرم أحمد، لا كما يقول الدكتور الهمداني: إنه ترك في رحلته الأولى زوجته أسماء والية على مدينة صنعاء.

حاء في قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون لمؤلفه العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الديلمي عند ذكر ظهور الدولة الصليحية ما يأتي: « وأقام بصنعاء إلى سنة تسع وخمسين وأربعمائة. ثم توجه إلى مكة واستخلف ابنه المكرم على الملك، وسارت أسماء بنت شهاب أم ولده المكرم. وكانت من أعيان النساء مقصورة يمدح بها زوجها وأبناها. وكان الصليحي يكل إليها التدبير ولا يخالفها لكانها، ويحبها إجلالا عظيما، وكانت لا تستر وجهها من الحاضرين. وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن في غيرها؛ وفيها يقول الشاعر ابن القم:

قلت إذ عظموا لبقيس عرشاً دست أسماء من ذرى النجم أسمى

فما أراد الصليحي التقدم إلى مكة سار في خمسين منسكا من ملوك اليمن (وهذه هي الرحلة الثانية إلى مكة) وفي مائة أو سبعين من آل الصليحي وفي ألفي فارس الخ »
وورد في كتاب بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نهج و ذكر الصليحيين، للمؤرخ الديلمي المذكور مانصه: « ولم يزل هذه أحواله أعنى الصليحي إلى شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وعزم على التوجه إلى مكة حرسها الله تعالى فاستخلف ابنه المكرم على الملك وسار في ألفين فارس الخ »

ثم قال بعد كلام في كيفية مقتل الصليحي ما يأتي: « وجمع الأهل آل الصليحي خاصة فقتلهم رميا بالحراب وأخذ أسماء بنت شهاب زوج الصليحي فأركبها هو دجها الخ » ومن هنا نعرف أن أسماء صحبت زوجها في الرحلة الثانية ولم تكن بصنعاء والية عليها كما صحبته لاحق في الرحلة الأولى بصرح كلام المؤرخ الديلمي الأخير.

العلوم والفنون

الرصاص كوقاية ضد أشعة الراديو

كان الراديو معتبرا ، عند العالم والرجل العادي ، على شيء من الابهام منذ اكتشفته عائلة كوري في ابتداء القرن الحالى . وحقيقة يحيط بهذا المعدن جو من الغرابة يخيل لغير العالم أن أولئك النفر الذين يشتغون في تجارب هذا المعدن بارتدائهم هذه الأردية الغريبة إنما يشتغون بالسحر كمن يريد تحضير أرواح الجن والشياطين .

فالراديو هو تلك الأشعة القاتلة التى وردت كثيرا على ألسنة الروائيين وتحققت في عالم العلوم . وقد جاء في كتاب « مبادئ نظرية الراديو » للعالم (هايوارد دينش) ، عضو الجمعية الكيميائية الملكية : أن الاستعمال المتواصل - ولو لمدة قصيرة - لهذا المعدن أثناء التجارب يغير من أشكال أصابع وأيدي العمال الذين يشتغون في هذه التجارب . ولا بد من اتخاذ احتياطات سرية وقوية ؛ فالراديو يحرق ، ولذلك يجب أن تكون الأجهزة ذات مقابض خشبية أو مغطاة بالمناط بطول قدم على الأقل . ويجب أن تغطى الأيدي بقفازات من الجلد السميك جدا ، وذلك وقاية من تأثير الاحتراق الناتج من الإشعاع . ويجب أن يجلس المشتغون بهذه التجارب على مناضد مغطاة بالرصاص على سمك خمس سنتيمترات على الأقل وأن تغطى صدورهم بدروع مثبتة نهاياتها في المنصدة لتحجز كل الأشعة وتمنعها من الوصول إلى الجسم والرأس .

آلة كاتبة حديثة

رؤى أن المكاتبات بين المصالح في إنجلترا تستغرق زمنا في اتقائها فاخترت آلة كاتبة حديثة تسمى « التلغون الكاتب » وبها يمكن أن تنقل المراسلات والتقارير وغير ذلك في الحال من مصلحة إلى أخرى بحيث يكون في كل منهما هذه الآلة اختبار قوة احتمال المناط في الدراجات .

واخترت مصلحة البريد آلة حديثة يمكن بها معرفة الزمن الذى تحتله دراجة ساعى البريد . وهكذا يتقدم العلم في كل شيء . ويحاسبون العامل على كل دقيقة من عمله .

التلغون اللاسلكى

افتتح الرئيس مستر ماكدونالد الخط التلغون اللاسلكى بين إنجلترا وجنوب أفريقيا في أول فبراير الماضى ، وكان الصوت واضحا . فقد كبر بالميكروفون بحيث صار مسموعا للكثيرين .

مكتبة المعرفة

ماضي الحجاز وحاضره

وضع السيد حسين بن محمد بن ناصيف ، أحد أدباء نجد . كتابا قيما : واسع الجنبات رحيب الصفحات ، عن الحسين بن علي ، تناول فيه ولادته ونشأته وتربيته وتعليمه . وإبعاده عن مكة ، وإقامته بالاستانة . وتولييه الامارة ، فعوائده وحروبه وأعماله ، غلافته . ومبايسته . وقد حل كل ذلك تحليلا دقيقا ، في أسلوب تاريخي صادق ، وقد أيد مادكر بالوثائق والمستندات والاتفاقيات إلى غير ذلك مما يدعم الأغراض التي وضع من أجلها الكتاب . فثنى على همة الكاتب . ونرجو لكتابه الذبوع والانتشار .

مجلة الدجاج

طلع علينا صديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور أبو شادي ، بمحله علمية نفيسة . أسماها « الدجاج » لا تقل في نحوها . وموضوعاتها . وإتقانها . وطرق تنظيمها . عن زميلتها « مملكة النحل » . و« الدجاج » تعد أول مجلة من نوعها في مصر . فهي « تعمل على نشر أحدث المبادئ الإصلاحية ، ورائدها التصافر مع الحكومة . ومجالس المديرية . وجميعيات التعاون ، لسهوض بتربية الدجاج المصرية إلى أرقى مستوى يتفق وأهميتها ، كصناعة زراعية منتجة ، وهذا كله بعض الأغراض النبيلة . التي توفر حتى إنجاحها . الأستاذ الدكتور أبو شادي بما وهبه الله من علم غزير ونشاط وفير . ونحن نتمنى لهذه مجلة الفنية ، أرقى والذبوع والنجاح . وهي تطلب من إدارتها الكاتبة بشرع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر . أو من المكاتب الشهيرة . وبديل اشتراكها ثلاثون قرشا مصريا .

رباعيات الخيام

أهدانا الأستاذ الشيخ إبراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام . نسخة من رباعيات الخيام . التي ترجمها الأستاذ أحمد رامى شاعر اشباب . عن اللغة الفارسية لفظا . وقد تصفحناها ، فادابها تحفة من تحف الأدب الفنى الطريف . وقد اعتمد الأستاذ رامى في ترجمته على مصادر عديدة صادقة . متباعدة اللغات ، ما بين محطوط ومطبوع . شرقية وغربية . وقد قدم ترجمته بمقدمة نفيسة تناول فيها بالبحث والتحليل : حياة الخيام ، ومذهبه . وعصره الذي

نشأ فيه ، بما لا يدع مجالاً للشك في أن المترجم صرف جهوداً كثيرة ، في دراسة الخيام دراسة صادقة ، ومما نسوقه للقارئ للدلالة على ما عتاز به هذه الترجمة في عاكاة الأصل قوله :

بات نديمي ذو السنايا الوضاح وبيننا زهر أنيق وراح
وافترض من لؤلؤ أصدافها فافتقر في الآفاق نقر الصباح

ومنها :

أحس في نفسي ديب الهناء . ولم أصب في العيش إلا الشقاء
يا حيرة إن حارب حيني ولم يتح لفكري حل لنز القضاء
والترجمة تقع في ١١٢ صفحة في حجم الورق المتوسط وتطلب من ناشرها بشارع محمد علي بمصر .

الدهور

اسم لمجلة انتقادية ، في العلم والفلسفة والآداب لصاحبها ومحررها الأستاذ إبراهيم حداد وهي تصدر في بيروت أول كل شهر ، وقد نصفناها فاداً بها مليئة بالابحاث العمية السافعة والآراء الفكرية الحديثة . مما يحتاج إليه طلاب الثقافة ، ومحبو الاطلاع ، فنحن القراء على اقتنائها .

بين المتناظرين

بقية المنشور على الصفحة رقم (١٤٠١)

وجاء في مقالة الدكتور الحمداني أيضاً ما نصه : «ولما طاعت الأمور للملك المكرم واستقرت الأحوال أشارت عليه امرأته الحرة السيدة ابنة أحمد أن يجعل (ذي جيلة) دار قراره وأن يتحصن فيها بجنوده ، فعمل بشورتها واتخذ ذي جيلة مسكناً ثم أصابه الفالج وقوى عليه ، فأشار عليه الأطباء بالاحتجاب عن الناس وصرف أمر الدعوة والملك إلى امرأته الحرة السيدة الصليحية الخ » .

والمعلوم عن تواريخ اليمين أن إصابة الفالح الملك المكرم كانت عقب دخوله زبيد وإقاده لوالدته من الأسر ، فقد دهمه الفالج وهو عرقان إثر تلك المعركة التي أبى فيها بلاء حسناً . لا بعد اتخاذه لذي جيلة مقراً كما يفهم من صريح مقال الدكتور الحمداني . ويؤيد هذا ما جاء في كتاب بغية المستفيد بالحرف قال : (ودخلت العرب زبيد قهراً . وكان أول فارس وقف تحت طاق السماء ولدها المكرم . فقال لها : أدام الله عزك يا مولاتنا . فقالت له مرحباً يا وجه العرب ، ولم تعرفه فسألته من هو ؟ فانصب لها فقال أحمد بن علي فقالت : أحمد بن علي في العرب كثير ، وأمرته برفع المفقر فرفعه وهو يتصبب عرقاً من المعركة . فعرفته . فقالت : مرحباً بمولانا المكرم ؛ ويروي أنها قالت له حينئذ : من كان محيئته كمحيئك فما أبطأ ولا أخطأ ، فأصابته ريحار تمس لها فاختلجت بشرة وجهه الخ) .

ويؤكد هذا أيضاً ما في كتاب قرة العيون ، ولولا خوف السأمة لأثبتنا ، وكفى من الكاش جرة ؟

الحديثة

عبد الله بن أحمد بن يحيى العلوي

بين المعرفة وقراءتها

كيف يصبح أديبا

(اسكندرية . مصر — عبد العزيز أحمد حلاية) كيف يستطيع الكاتب الناشئ أن يصبح أديبا؟ وما هي الكتب التي تشيرون عليه لدراستها لتحقيق هذه الأمنية؟ (المعرفة) يرى بعض علماء الأدب أن الأدب رياضة، واذن فهو يخضع لحدود العلم وأوضاع الاستقرار، ونحن نعتقد بأن الأدب فن، فإن صح هذا: وهو مالا نشك فيه، فلا يخضع لحدود ولا يتقيد بأوضاع، وإنما هو وحي الخاطر ومنطق السليقة، على أنه لا بأس من إتمام هذه الملكة وتزكيتها بالاطلاع، والدرس في قديم كتب الأدب وحديثها، وقد نرى - إذا كان ثمة مجال للتخصيص - أن ننصحك بقراءة ما يأتي:

الكتب الأربعة، أو كتب الأدب الأربعة على حد تعبير ابن خلدون، وهي: البيان والتبيين للجاحظ، الكامل للمبرد، العقد الفريد لابن عبد ربه، الأملاني لابن علي القالي؛ ولا بأس من درس كتب النقد الأدبي: كالعمدة لابن رشيق وكتاب القيرواني، وكتب المحدثين: كهيكل، ومطه حسين، والرافعي، وزكي مبارك، والمازني الخ.

ولا بد من الرجوع إلى الموسوعات العربية والأجنبية، والامام بشي من آراء ويلز الانجليزي، وقصص أناطول فرانس، ونظريات شوبنهاور، ومقدمة ابن خلدون.

كثرة النسل

(عمروس . مصر — بهجت عبد الرحمن) تزوجتها من عشرة أعوام، فولدت مني سبعة أطفال، فكرهت للعيشة، مع أنها تحبني وأخاف الزيد وحالتي المالية لا تساعدني من علاج غير الطلاق؟ (المعرفة) كنا نود ألا يأتي ذكر الطلاق على لسان السائل فإن ذلك يشعر بالضعف، ثم ليس في قولك (الطلاق) منافاة لدعوى الحب الذي زعمت. إننا نعتقد أن مسألة كثرة النسل إنما هي مسألة عمرانية، ولا يجوز للانسان المحب لوطنه، أن يكره كثرة أولاده، ويسمى للتخلص منها، وإننا نرى أن مسألة الرزق التي يرتب عليها السائل خوفه وإشفاقه مسألة تتعلق بارادة الله أولا ثم بسمي الشخص ثانيا، وما عليه إلا أن يسمى لما فيه السعادة لبيته؛ ويرى آخرون وجوب مساعدة الحكومة والجماعات للعائلين كالمتمتع في فرنسا وألمانيا، بينما يرى فريق ثان وجوب تقييد النسل بأدوية خاصة، ولنا مع هذين الرأيين، لما في الأول من الاعتماد على الغير، وما في الثاني من مخالفة الشريعة والطبيعة.

علم الفقيرزم

(القاهرة . مصر — أحمد فتحي ناصف) ما هو علم الفقيرزم وماذا يقصد به؟! (المعرفة) علم الفقيرزم من العلوم الروحية الهندية القديمة، وهو في الواقع يقوم على تصفية

الروح وتخليص النفس من الغلف الجسدانية، وذلك بتعويدها على تحمل المشاق واستئثاره الآلام وغير ذلك مما يختلط في بعض النواحي بشيء ليس بالقليل - من الشعوذة: كالوقوف على قدم واحدة لمدة شهر أو اثنين أو أكثر، وكوضع بعض الأسياخ الممّاة بالنار في الأنوف، وكإيقاف الدورة الدموية لمدة تتراوح بين الدقائق والساعات، بل تتراوح بين الساعات والأيام الخ... وهو يعتمد في أساطيره على غلقات البراهمة الأقدمين .

قرارات المؤتمر الاسلامي

(أم درمان . سودان — محمد الطيب) لماذا لم تنتشر قرارات المؤتمر الاسلامي وهي مهمة جدا لدى العالم الاسلامي ، وهل لكم أن تقوموا بنشرها ؟
(المعرفة) كنا نود ذلك لولا أنها نشرت في الصحف السيارة ، وبما أننا لا ننشر ماسبقتنا اليه الصحف الأخرى، فانا نأسف لعدم استطاعتنا ذلك إلا لضرورة .

خرافة

(اسكندرية . مصر — ابن شامة الاسكندراني) كثيرا ما نسمع من الأمهات من تقول لطفلهما (اسم الله عليك وعلى أختك ، وقعت على أحسن منك) ، وكذا لبنتها (اسم الله عليك وعلى أخيك) فما أصل ذلك وما معناه ؟

(المعرفة) هناك أسطورة قديمة تقول: إنه عندما يولد من بنى الانسان طفل تولد في نفس اللحظة قرينة له من الجن، وكذلك إذا ولدت طفلة ولد قرين لها من الجن، فلكي ترضى السيدة هذا القرين أو تلك القرينة تقول لطفلتها أو لطفلها هذه الجملة درأ لعطف الجن على أطفالها حتى لا يصيبوهم بأذى ما .

وهذه خرافة من الخرافات الشائعة في الأسرة المصرية والتي يجب أن تتخلص منها .

كلمة صوفي

(شبين الكوم . مصر — ابراهيم محمد بجمعية المساعي المشكورة) وعدتم قراء المعرفة بنشر رد لكم على رد الأستاذ مرجليوث في مسألة (منشأ كلمة التصوف) وقد صدر العدد الأخير ولم يكن به هذا الرد، وكلنا شغوف بنتيجة الجدل في هذا الموضوع الخطير، فأرجو ألا نحرّموا قراءكم من نشره في العدد التالي .

(المعرفة) لقد أثار هذا البحث جدلا طويلا وسبب لنا مشاغل عدة لتعدد الرسائل المتباينة التي وردتنا فيه ، فرأينا الاكتفاء بما نشرناه حتى لا تكون زوبعة .

أما رأي الشخصى والذي لا أنحول عنه: فهو أن الكلمة يونانية الأصل والمنبت، وأحيلكم على ما كتبتة حول هذا الموضوع في الجزئين: الثالث والرابع من المجلة .

فهرس المعرفة

الجزء الحادى عشر من السنة الاولى

صفحة	
١٢٨٧	الشرق كما أراه
١٢٩٢	رسائل باريس
١٢٩٤	الأسلوب القصصى
١٢٩٧	تاريخ حياة ألف ليلة وليلة
١٣٠٧	الحب
١٣٠٨	لسان الدين بن الخطيب
١٣١٣	على باشا مبارك
١٣٢١	عبرة من التاريخ
١٣٢٦	حياتنا الأدبية
١٣٢٩	بركان الشرق الأقصى
١٣٣١	تجاريى فى الحياة
١٣٣٦	تحية (للشاعر أنى الوفاء)
١٣٣٨	شاعر شاكر إلى إخوانه (قصيدة)
١٣٤٠	تاريخ البمارستانات
١٣٤٥	الصعلوك (قصة مصرية)
١٣٥٣	المحاورات السقراطية
١٣٥٦	كيف نقتنع بقوانين الوراثة ؟
١٣٦١	المنثور والمنظوم
١٣٦٥	الجبر والاختيار وأثرهما فى الأدب
١٣٦٩	بشار بن برد
١٣٧٤	فن النشر والاعلان
١٣٧٧	فى المغرب الأقصى
١٣٨٢	أنطون الجميل
١٣٨٧	الاعتراف (قصة مصرية)
١٣٩٣	لوزا
	للأهـير سعيد شامل
	للأستاذ عثمان أمين
	للدكتور أحمد ضيف
	للأستاذ أحمد حسن الزيات
	لمبد العزيز جادو
	للشيخ أحمد السكندرى
	لمبد الرحمن بك الرافعى
	للشيخ عبد الوهاب النجار
	للدكتور زكى مبارك
	للأستاذ محمد شاه كوجين
	للأستاذ أسعد لطفى حسن
	للأستاذ فؤاد صروف
	للشاعر محمود أنى الوفاء
	للدكتور أحمد بك عيسى
	للأستاذ محمود بك تيمور
	تعريب الأستاذ ابراهيم زكى
	للأستاذ حامد عبد القادر
	للأستاذ السباعى السباعى
	بقلم أحمد أحمد بدوى
	للأستاذ أحمد القرنى
	بقلم محمد أمين حسونة
	للسيد محمد الزاهرى
	بقلم أحمد عبد الحليم المسكرى
	للأستاذ محمد السيد
	تعريب محمد افندى بهجت

أبواب المجلد

١٤٠٢ العلوم والفنون
١٤٠٥ بين المعرفة وقراءها

١٣٩٨ بين المتناظرين
١٤٠٣ مكتبة المعرفة

المعرفة في الخارج

تطلب « المعرفة » في الخارج من المكاتب الآتية : —

- أم درمان (السودان) : المكتبة العربية ، ومكتبة البازار السوداني
الخرطوم (السودان) : مكتبة البازار السوداني ، ومكتبة النهضة السودانية
حمص (سوريا) : مكتب الصحافة العربية لصاحبه عبد السلام أفندي السباعي
تونس (تونس) : المكتبة العلمية لصاحبها السيد محمد الأمين وأخيه طاهر
بغداد (العراق) : المكتبة المصرية لصاحبها محمود أفندي حلي
الموصل (العراق) : المكتبة المصرية بشارع السراي
البصرة (العراق) : المكتبة المصرية : طريق السيف
مكة المكرمة (الحجاز) : السيد مصطفى محمد يغمور بالمسمى بجوار البلدية
تطوان (المغرب الأقصى) : المكتبة الأدبية بشارع القيسارية
ومن وكلائنا في : —

- سان باولو (البرازيل) : مكتبة فرح 15, Lda. porto Geral
سورابايا (جاوه) : السيد عمر على مكارم
سوريا وفلسطين : الخواجات فرج الله إخوان
عدن (اليمن) : السيد معروف عمر عقبه

أَعْلَان

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر رسائل عديدة ، وموعدا بنا بها العدد القادم .

(مطبعة المعرفة)